



جامعة الجزائر 02 – أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

الصراعات القبلية والمذهبية بالمغرب الإسلامي وآثارها على نظم الحكم

122 هـ - 440 هـ / 740م - 1048م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
الحاج عيفة	أستاذ دكتور	جامعة الجزائر 2	رئيسا
عبد الحميد خالدي	أستاذ دكتور	جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقررا
نبيلة عبد الشكور	أستاذ دكتور	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
بن موسى جميلة	أستاذ دكتور	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
صاحي بوعلام	أستاذ دكتور	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
مزاري عبد الصمد	أستاذ دكتور	جامعة المدية	عضوا مناقشا

من إعداد الطالب

عمارة سماعين

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الحميد خالدي

السنة الجامعية 2019-2020

كلمـــــة شكـــر

الحمد لله الذي بعونه تتم الصالحات،الحمد لله الذي وفقنا في طلب العلم

وابلغنا ما يحب ويرضى نسال الله التوفيق والإخلاص في إعمالنا كلهــا

أتقدم بباقة مكللة بالشكر والعرفان للأستاذ المشرف:"عبد الحميد خالدي"

على ما أجاد به من توجيه ونصح ورعاية علمية لإنجاح هذا العمل.

وبكل ما تحمله كلمات الشكر والتقدير والعرفان إلى كل أساتذة قسم التاريخ

بجامعة الجزائر.

أتقدم بتحياتي الحارة لكل من ساهم من بعيد أو قريب في إنجاح هذا العمل.

إهـــداء

هي أندى من قطرات الندى واصفي من ماء الدجى

إلى .....المثل العالي والقدوة الصارخة رمز الإرادة المتجددة

إلى من رافقتني دعواتها في كل خطوة من خطواتي حياتي إلى اعز أم في الدنيا حفظك الله

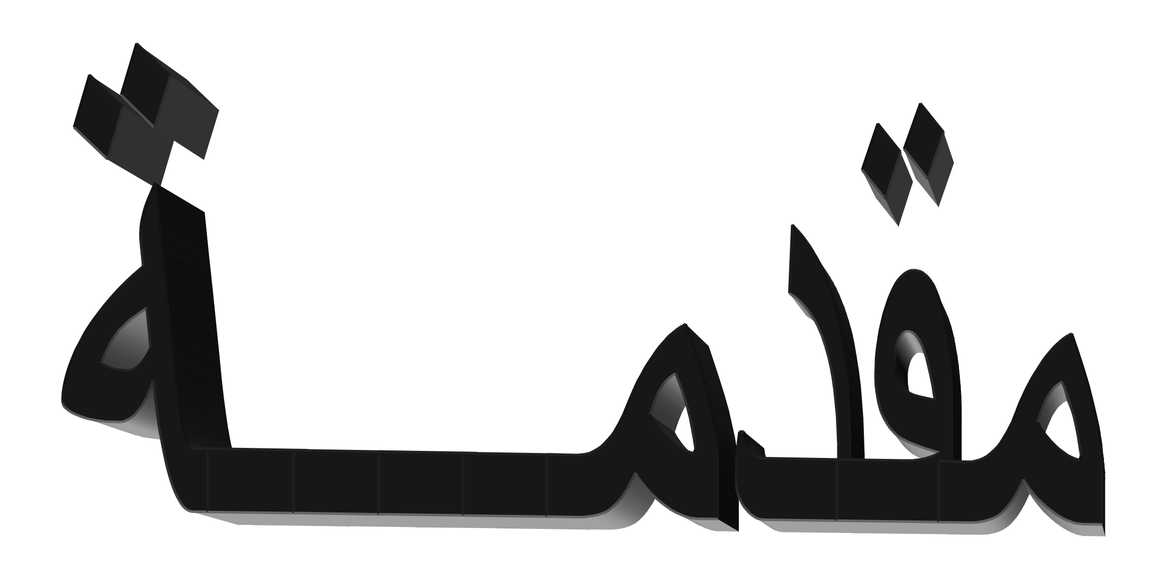
إلى من استند منه قوتي و استمراريتي في الحياة، إلى من ألبسني ثوب مكارم الأخلاق والأدب والى

اعز أب في الدنيا حفظك اللـــــــه

إلى من كانت بسمتهم ونظرتهم تبث في نفسي القوة وحب الحياة والصبر إخوتي الأعزاء:

إلى أصدقاء العمر ورفقاء الدرب

إلى الزملاء الذين ساعدوني على إنجاح هذا العمل


مقدمـــة

أصبحت بلاد المغرب بلاد إسلامية مع نهاية القرن الأول الهجري / السابع ميلادي، أي بعد إتمام عملية الفتح علي يد موسى بن نصير، إلا أن تبعيته للخلافة الأموية لم تدم أكثر من مدة الفتح ذاتها إذ قامت الاضطرابات، وظهرت نتيجتها في العهد العباسي بقيام الدولة الرستمية ودولتي الأغالبة والأدارسة، والتي مثلت بداية التحول السياسي في المنطقة، وإذا كانت هذه الدول قد قامت على يد قيادات غير بربرية، فإن النظام الاجتماعي القائم على القبلية والزعامة الفردية على ما يبدو لم يصل إلى درجة الوعي والنضج السياسي لتكوين دولة، ذلك أن المجتمع المغربي مازال يعيش بين نمطي التحضر والبداوة وحياة الاستقرارو الترحال، ولو يكن قادرا على تحقيق الانسجام الذي يمكنه من الخضوع لحكومة قوية، وحتى الدولة الرستمية التي قامت في المغرب الأوسط كنموذج على هذاالتحول لم تكن في الحقيقة سوى إمارة مدينة عجزت عن بسط نفوذها الفعلي خارج تيهرت.

و مما زاد هذه الوضعية تعقيدا الاختلافات المذهبية التي ستشهد مع حركة التشيع وقيام الدولة العبيدية أواخر القرن الثالث هجري / مطلع القرن العاشر ميلادي، والتي كان تأثيرها واضحا على الوضع السياسي والاجتماعي لبلاد المغرب.

بعد هذه اللمحة التاريخية المختصرة عن بلاد المغرب بشكل عام يجدر بنا أن نتطرق إلى أحد الجوانب الاجتماعية المشار إليها أنفا وهي الحياة القبلية، ولما كانت هذه المواضيع على علاقة مباشرة بالأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية وغيرها باعتبارها من أوجه الحياة ذاتها، والتي من مظاهرها تنقل القبائل وتحركها تبعا لهذه الظروف، وبناءا عليه كانت دراستنا هذه حول: الصراعات القبلية والمذهبية بالمغرب الاسلامي وأثرها على نظام الحكم (122هـ – 440هـ

وقد حصرت هذه الدراسة في الفترة المذكورة سالفا لعدة اعتبارات:

- ❖ إن هذه الفترة شهدت أحداثا تاريخية هامة تمثلت في جملة من التحولات السياسية كقيام الدولة العبيدية، والدولة الزيرية والدولة الحمادية، ودولة المرابطين، ثم الصراع العبيدي الأموي، والمذهبية بتغلغل المذهب الشيعي إضافة إلى المذهب الإباضي، والسني التي انعكست على قبائل وسكان المغرب.

❖ هجرة القبائل العربية واستقرارها ببلاد المغرب، والتي أحدثت تغيرات عميقة عرقيا واجتماعيا وثقافيا.

❖ بداية بروز الشخصية السياسية والاجتماعية للمغرب.

الحقيقة أنه لا توجد دراسات (مذكرات ماجيستر – أطروحات دكتوراه) جدية وشاملة لظاهرة هجرة وتحركات القبائل وصراعاتها في المغرب ، أما المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع فلدينا كتاب بوزياني الدراجي بعنوان : القبائل الأمازيغية – أدوارها – مواطنها – أعيانها. وهو اختصار لتاريخ ابن خلدون، أو كتاب نوسى لقبال عن دور كتامة في تأسيس الخلافة الفاطمية . الذي لم يكن شاملا لكافة قبائل المغرب . ومن هذا المنطلق كانت رغبتنا في دراسة هذا الموضوع والمساهمة في تغطية النقص الحاصل في هذا الميدان لإبراز تحركات القبائل وصراعاتها التي شكلت جزءا من تاريخنا الاجتماعي والسياسي والثقافي.

ومما دعاني لاختيار هذا الموضوع جملة من الدوافع والأسباب يمكن أن نلخصها في النقاط الآتية :

● التوجهات الحديثة نحو دراسة مواضيع التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، والتي دعتنا إلى مسايرة هذا التوجه أولا ثم أهمية هذا الموضوع لعلاقته المباشرة بحياة السكان والقبائل.

● قلة الدراسات الحديثة التي تناولت قبائل المغرب بالذات، وبخاصة ما تعلق بتحركاتها وهجراتها وصراعاتها بالمغرب الاسلامي .

● طغيان الطابع القبلي كنظام سياسي واجتماعي ونمط حياة، وأثره وعلاقته بالدول القائمة وبالمجتمع المغربي ،والذي كانت فيه العصبية روح القبيلة، والتي لازمت مسيرته التاريخية

● إن هذه الفترة عرفت أكبر هجرة بشرية نحو المغرب الإسلامي، وهي الزحف العربي الثاني المتمثل في قبائل بني هلال وسليم.

أما الإشكالية التي أثارتها في هذا البحث فتتضمنها الأسئلة الآتية : هل تعتبر هذه الصراعات والنزاعات ظاهرة عادية وطبيعية ارتبطت أساسا بنمط الحياة القائم على الترحال، أم أنها نتاج

تحولات سياسية وسوسيولوجية ومذهبية شهدتها المنطقة والعالم الإسلامي ؟ وما هي أبعادها داخل بلاد المغرب وخارجه اجتماعيا وسياسيا وثقافيا ؟ وهل هذه الظاهرة ارتبطت زمنيا بتلك الفترة أم أنها حادث ممتد كانت قد شهدته المنطقة سابقا، وهذه الأسئلة سنناقشها ونعمل على إيجاد تفسير لها من خلال فصول هذا البحث.

هذا البحث عبارة عن مقاربة سوسيوتاريخية، عالجت فيه الموضوع بتتبع الأحداث المرتبطة بظاهرة الحركة والهجرة كأسباب ودوافع أو نتائج لها بعد تحليلها وترتيبها، ثم وضعها في إطارها الجغرافي والتاريخي، أو إسقاطها بعد مقارنة حيثياتها في المصادر، ثم مطابقتها لوضعها في السياق التاريخي، كما عملت على إبراز وتفسير الظواهر والإحداث عن طريق الاستنتاج بعد المقارنة، وعرض مختلف الأراء التي تناولت قضية لإشكالية ثم ترجيح إحداها بعد مناقشتها، أو الاحتفاظ بأراء أصحابها.

ترتبط أحيانا بعض الظواهر والأحداث بمجال جغرافي محدود، أو تكون خارج حدود المغرب الأقصى إلا أن أثرها قد يكون ممتدا إلى مجال واسع، فنقوم بتعميمه أي إسقاطه على كامل بلاد المغرب وإعطائه حكما عاما في إطار شمولية الظاهرة.

ومن أجل دراسة ومناقشة هذا الموضوع اتبعت خطة تقوم على مدخل وخمسة فصول.

المدخل :و هو عبارة عن مقدمة ركزت فيها على الجانب الجيوتـاريخي أي تحديد الإطار الجغرافي – المكاني – للمغرب الاسلامي وذلك بالعودة إلى جذوره التاريخية، ثم تتبع تطور مدلول هذا المصطلح جغرافيا من اجل ضبط مجال الدراسة لأن التاريخ مكان وزمان وأحداث.

- ❖ **الفصل الأول:** بعنوان " القبائل البربرية في المغرب "، وبما أن الموضوع يبحث في ظاهرة متعلقة بالقبائل كان لزاما علينا منهجيا وعلميا أن نعرض القبائل المتوطنة في المغرب الاسلامي باعتبارها محور الدراسة، وتناولتها في مجموعتين رئيسيتين وهو التقسيم المعتمد لدى جل المؤرخين تقريبا، وذلك بذكر القبائل وبطونها، وأفخاذها ومواطن تواجدها، وأحيانا تكون القبيلة ممتدة خارج مجال المغرب فنكتفي بالإشارة إلى ذلك.

❖ **الفصل الثاني** : الموسوم بـ: " التحركات والهجرات القبلية والسكانية خلال القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي "، وتناولت فيه هذه الظاهرة داخل مجال المغرب الأوسط – هجرة داخلية– أو منه نحو المغرب الأقصى والصحراء ونحو الأندلس أو شرقا نحو مصر وما والاها – هجرة خارجية – مع ربط هذه الظاهرة بأسبابها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمذهبية، وقد ركزت في ذلك على الدولة العبيدية باعتبارها العامل الرئيس في ذلك.

❖ **الفصل الثالث:** بعنوان الصراعات والنزاعات القبلية بالمغرب بداية بعلاقة الدولة الفاطمية في المشرق بالمغرب الإسلامي وزحف القبائل العربية على هذا الأخير وما نتج عنه من صراع الهلالي الزيري والصراع الهلالي الحمادي وآثاره على الدولة الصنهاجية.

❖ **الفصل الرابع:** هو امتداد للفصل السابق ليس زمنيا طبعا، ولكن من حيث تواصل التحرك والهجرة، وتطرقت في إلى تطور الظاهرة سواء من حيث إطارها الجغرافي أي المكان التي تمت فيه، أو من حيث دوافعها وحجمها واتجاهاتها مع التركيز على دور العرب خلال زحفهم نحو بلاد المغرب، ودورهم في تغيير الخريطة السكانية .

❖ **الفصل الخامس:** بعنوان " نتائج وأثار الصراعات القبلية "، وحيث أن لكل حدث أو ظاهرة نتائج متمخضة عنها، فلابد منإبراز ما ترتب عن هذه الظاهرة من نتائج وأثار في الميدان السياسي والاجتماعي والعمراني والثقافي، وقد ركزت على ثلاث مناطق هي مصر والمغرب الأقصى والأندلس.

❖ **الخاتمة:** وهي عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات والملاحظات التي خلصت إليها، وقد أوردتها على شكل نقاط مختصرة يمكن أن تكون بدورها مجال للبحث.

❖ **عرض ونقد المصادر:**

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر، وهي تتوزع حسب أهميتها كما يلي:

❖ **كتب الجغرافيا والرحلات:**

❖ **الاستبصار في عجائب الأمصار**: لمؤلف مجهول عاش في القرن السادس الهجري، ويتكون من ثلاث أقسام، القسم الأول خاص بمكة والمدينة والقسم الثاني خاصبمصر أما القسم الثالث فهو خاص ببلاد المغرب، ينقل صاحبه كثيرا عن البكري مع بعض الإضافات من عنده، وقد اعتمدت على هذا الأخير الذي أفادني في تحديد المغرب الأوسط والتعريف بمدنه، كما تضمن بعض المعلومات التاريخية.

❖ **المسالك والممالك :** لأبي عبيد الله البكري (ت 487 هـ /1094 م) وهو كتاب جغرافي عام، كما تضمن معلومات تاريخية هامة، وقد اعتمدت عليه في الجزء الثاني الذي يعرف بالمدن من مصر إلى المحيط زيادة على التعريف بالقبائل حيث عادة ما يذكر القبائل التي تسكن المدن المذكورة، أو يحدد القبائل التي أسست هذه المدينة .

❖ **صورة الأرض :**أو المســالك والممالك والمفــاوز والمهــالك لأبي القاسم ابن حــوقل (380 هـ / 990 م) الذي تطرق فيه لوصف المدن والقرى بدقة، وتأتي أهميته نتيجة أخذ معلومة من رحلته الشخصية إلى بلاد المغرب واطلاعه على المدن أو من الأخبار التي استقاها من شاهدي العيان، كما تضمن كتابه بعض المعلومات التاريخية وكذا ذكر قبائل المغرب ونمــط حياتهــا.

❖ **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق :** للتشريف الإدريسي (ت 558 هـ / 1163 م) وهو كتاب جغرافي عام يتطرق إلى أقاليم الأرض، وقد اعتمدت على الجزء الخاص ببلاد المغرب، ورغم أهميته الجغرافية إلا أنه لا يغطي كامل بلاد المغرب وبخاصة المد الصحراوية كما يفتقد إلى بعض التفاصيل التاريخية عندما يتطرق إلى القبائل مثلا، وهو لا يرق إلى مستوى البكري وابن حوقل وبخاصة في القرون الأولى، لكنه يضيفمعلومات مهمة في الفترات التالية ولا سيما القرن 5 هـ /11 م.

❖ **الروض المعطار في خبر الأقطار :** لمؤلفه عبد المنعم الحميري (ت 726 هـ / 1326 م) وهو عبارة عن معجم جغرافي عام حيث يتطرق لإلى كل المدن حسب الحروف، ويهمنا فيه مدن المغرب والأندلس، كما يتضمن أحيانا تفاصيل تاريخية واقتصادية مطولة يمكن الاستفادة

منها في هذا الجانب، وتأتي أهميته من أن مؤلفه من بلاد المغرب- صنهاجي- مطلع على الأحداث.

❖ **<u>معجم البلدان :</u>** لصاحبه ياقوت الحموي (626 هـ / 1228 م) وهو عبارة عن معجم جغرافي شامل، وهو مصدر لا يمكن الاستغناء عنه لسهولة استعماله، إضافة إلى أنه يجمع بين الجغرافيا والتاريخ والتراجم، وقد استفدت منه في هذه الجوانب أي من حيث التعريف بالمدن وبالقبائل وبعض الشخصيات ولا سيما المهاجرة إلى الأندلس .

❖ **<u>وصف إفريقيا :</u>** للحسن الوازن القاسي (توفي على الأرجح سنة 957هـ /1550 م) ورغم أنه متأخر كثيرا إلا انه أفادني في بعض المعلومات التاريخية والجغرافية المفقودة في غيره، وقد اعتمدت على الجزء الثاني منه .

❖ **كتب التاريخ :**

❖ **<u>كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر</u>**:- تاريخ ابن خلدون – لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1406م) وهو كتاب تاريخ عام وشامل، وقد كان هذا الكتاب عمدتي وقاعدة انطلاق البحث باعتباره من المؤرخين الذين اعتنوا بشعوب وقبائل بلاد المغرب من حيث نسبها وقبائلها وبطونها ومناطق انتشارها، وابرز أعلامها وأهم الدول والإمارات التي أسستها إلا أنه أحيانا لا يحدد تواريخ الأحداث، وهو ما يتطلب البحث عنها في مصادر أخرى أو استنتاجها.

❖ **<u>البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب</u> :** لابن عذاري المراكشـي الذي كان حيا سنة 712 هـ /1312 م، وهو من أهم مصادر التاريخ الإسلامي، ولا سيما تاريخ المغرب من الفتح إلى دولة الموحدين، وهو يعتمد على روايات قدامى المؤرخين من المغاربة والأندلسيين، وقد اعتمدت بصفة خاصة على الجزء الأول الذي يؤرخ لبلاد المغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، أما الجزءان الثاني والثالث فقد استفدت منهما في أحداث الأندلس، أما الجزء الرابع فهو خاصة بدولة المرابطين، وهو كتاب سهل البحث والاستعمال لأنه يعتمد طريقة التأريخ الحولي، إلا أنه يتميز بالاختصار أو السكوت عن بعض الأحداث وعدم التفصيل .

❖ **<u>تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب</u>**: لصاحبه الداعي إدريس (ت 872هـ /1468م) وهو السبع الخامس من كتاب عيون الأخبار وفنون الآثار. وهو ذو اتجاه شيعي خالص اعتمد فيه أساسا على مؤرخين شيعة ومنهم القاضي النعمان، وقد أفادني في علاقة الفاطميين وسياستهم بقبائل المغرب، حيث تضمن بعض المعلومات النادرة لكن يجب التعامل معه بحذر نظرا لتطرفه الفاضح.

❖ **<u>مفاخر البربر</u>** : لصاحبه صالح بن عبد الحليم الإيلاني (كان حيا سنة 712هـ/1312م)، ويتعرض لتاريخ البربر في الأندلس والمغرب، وقد استفدت منه فيبعضالأعلاموأحداثالصراعالعبيديالزناتي، والعلاقات الأندلسية المغربية ولا سيما خلال القرن الرابع الهجري

❖ **<u>نهاية الأرب في فنون الأدب</u>** : للنويري (ت 732هـ/1331م): وهو موسوعة في الأدب والجغرافيا والاجتماع، يخصص الجزء الثاني والعشرين لتاريخ المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي إلى عهده (719هـ/1319م)، لا يهتم كثيرا بإيراد اختلافات الرواة بل يأخذ بالرواية التي يفضلها هو، وقد اعتمدت على الجزء الخاص بتاريخ المغرب الإسلامي التي تضمن معلومات تاريخية وجغرافية .

❖ **<u>المقتبس في أخبار بلد الأندلس</u>**: لابن حيان القرطبي (ت 469هـ/1076م) وهو خاص بتاريخ الأندلس يتميز بالدقة والتفصيل، وقد أفادني في الصراع العبيدي
الأموي ولا سيما فترة الحكم المستنصر التي شهدت هجرات من المغرب إلى الأندلس، حيث أورد أسماء الشخصيات التي انتقلت إلى هناك .

إضافة إلى مصادر أخرى مكملة للبحث نذكر منها كتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم لأبن حماد الصنهاجي (ت 626هـ / 1228م)، وكتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م)، وكتاب التبيان لعبد الله بن بلكين (484هـ /1091م)، والكامل في التاريخ لأبي الحسن بن الأثير (ت 630هـ/1233م).

❖ **كتاب الأنساب :**

❖ **جمهرة أنساب العرب** : لابن حزم الأندلسي (ت456هـ/1064م) وهو من أشهر الكتب التي اعتنت بأنساب العرب، وقد خصص قسما في أخر الكتاب لنسب البربرو بيوتاتهم في الأندلس، وقد اعتمدت عليه في هذا الجانب، وكذا في ترجمة بعض الأعلام. إلا أنه لا يحدد الفترة الزمنية التي هاجر فيها المغاربة إلى الأندلس .

❖ **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب:** للقلشقندي(ت821هـ/1418م) تضمن التعريف بأنساب قبائل العرب والقبائل البربرية، استفدت منه في هذا الجانب عندما تطرقت للقبائل العربية المهاجرة إلى بلاد المغرب .

❖ **كتب الطبقات والتراجم :**

نظرا لطبيعة الموضوع الاجتماعية وجوانبها الثقافية المتعلقة بالأشخاص فقد اعتمدت على مجموعة منها وذلك لترجمة بعض الشخصيات الهامة.

❖ **كتاب الصلة** : لابن بشكوال ت (578هـ /1182م)، استفدت منه في ترجمة المغاربة الداخلين إلى الأندلس الذين وضعهم في طبقة الغرباء.

❖ **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** :للحميدي (ت 688هـ/1289م) : وهو كتاب تراجم لاعلام أندلسيين ووافدين، ورغم أنه اهتم بأعلام ومشاهير الأندلس حيث تضمن تراجم لشخصيات مغربية، وهو ما استفدت منه .

❖ **كتاب العبر في خبر من غير وكتاب دول الإسلام:** لشمس الدين الذهبي (ت748هـ /1347م) وهو عبارة عن سلسلة من تراجم، ورغم تركيزه على المشارقة فقد أورد بعض التراجم لشخصيات مغربية وأندلسية، إضافة إلى بعض المعلومات التاريخية .

❖ **الحلة السيراء:** لابن الأبار القضاعي (ت 658هـ /1260م) وهو عبارة عن كتاب تراجم لبعض الخلفاء والأمراء والقادة من القرن الأول الهجري إلى القرن السابع الهجري، ورغم تركيزه على الأندلس فقداستفدت منه في ترجمة شخصيات مغربية وأندلسية .

كتب المذاهب والفرق:

نضطر أحيانا لاستخدام هذا النوع من الكتب للتعريف ببعض الفرق الدينية والمذهبية ومن أهمها.

- ❖ **الفصل في الملل والأهواء والنحل** : لابن حزم الأندلسي (456هـ/1064 م) الذي يتطرق للفرق الإسلامية من شيعة وخوارج، وقد اعتمدت عليه في التعريف ببعضها .
- ❖ **الملل والنحل**: للشهرستاني(ت 548هـ / 1153م) والذي يعرف بالفرق والمذاهب، والذي استفدت منه في التعريف ببعض الفرق الواردة في البحث.
- ❖ **كشف اسرار الباطنية وأخبار القرامطة**: لابن أبي الفضائل (ت470هـ/1077م) وتضمن تفاصيل دقيقة عن نشوء هذه الفرقة وعلاقتها بالفاطميين، وقد استفدت منه في التعريف بهذه الفرقة وصراعها ضد الفاطميين بعد انتقالهم إلى مصر، ودور بعض الشخصيات المغربية في هذا الصراع مثل جعفر بن فلاح الكتامي.

كما استعنت بمجموعة من المراجع التي لها علاقة بالموضوع ومنها:

- ❖ **قبائل المغرب** : لابن منصور عبد الوهاب الذي تطرق لتصنيف قبائل البربر وذكر بطونها، وقد أفادني كثيرا في التعريف بهذه القبائل وأماكن استقرارها .



الإطار الجغرافي للمغرب الاسلامي

- تمهيـــــــــــد
- أقسام بلاد المغرب
- إفريقية
- ظهور المغرب الأوسط
- تطور مصطلح المغرب الأوسط
- تحديد المغرب الأوسط والمغرب الأقصى
- الإطار البشري
- الوضع السياسي والمذهبي

تمهيـــــد:

ظهر مصطلح المغرب في العصر الإسلامي خلال النصف الأول من القرن الأول الهجري للدلالة على الجزء الغربي من الدولة الإسلامية، ويتضمن الشام ومصر وما اتصل بهما في مقابل المشرق، وأول من استعمل هذا اللفظ علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه– زمن الفتنة سنة 37هـ /657 م حيث خطب في أنصاره قائلا: " تيسروا للميسر إلى عدوكم من أهل المغرب"[1]، ثم كتب إلى ابن عباس: " فأن خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة"[2]، وقد اجمعنا على الميسر إلى عدونا من أهل المغرب "، كما كتب إلى الخوارج عندما استتابوه قائلا لهم: " ادفعوا إلى قتلة إخواني فاقتلهم ثم أتارككم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب"[3]، يقصد أهل الشام.

وقد استعمله ابن عبد الحكم عند ذكره فتح طرابلس وإفريقية حيث قال: " وأراد عمرو أن يوجه إلى المغرب "، ثم يضيف: " خرج إلى المغرب بعد عبد الله بن سعد، معاوية بن حديج سنة أربع وثلاثين"[4].

إذا عدنا إلى ما قبل التاريخ الإسلامي فإن اليونانيين كانوا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد يسيطرون على إقليم برقة أين أنشأوا مستعمرة قرينة[5]، بينما كان القرطاجيون على الساحل من خليج سرت وما يليه غربا، وبذلك تكون هذه هي الحدود الفاصلة بينهما، والتي مثلت الملامح الأولى لارتسام حدود المغرب في العصور القديمة المتأخرة، بل سنجدها الحدود المعتمدة لاحقا.

[1]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ – بعناية محمد العرب – المكتبة العصرية – بيروت -2009-مج2 ص 596/ بيروت –ط2- 1984-ص-576.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك – دار الكتب العلمية – بيروت –ط2- 1988-مج5-ص 117.

[2]- النخيلة: تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة على سمت الشام، والنخيلة أيضا ماء عن يمين الطريق قرب المغيثة العقبة على 7 أميال. ياقوت الحموي: معجم البلدان – تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي – دار احياء التراث العربي – بيروت –ط2-1984- ص 576.

[3]- المسعودي: مروج الذهب – شرح وضبط عفيف نايف حاطوم – دار صادر – بيروت – ط1-2005-ج2-ص237.

[4]- ابن عبد الحكم:فتوح افريقية والأندلس – تحقيق وتقديم عبد الله أنيس الطباع –دار الكتاب اللبناني – بيروت – ص 46-/ البلاذري: فتوح البلدان – لجنة تحقيق التراث- مكتبة الهلال – بيروت 2000 ص 221/ ابن الأبار: الحلة السيراء – تعليق علي ابراهيم محمود – دار الكتب العلمية – بيروت –ط1- 2008- ص 13.

[5]- محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1979 – ص 79..

و قد أشار ابن خلدون إلى هذا عندما قال: "و أما العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الأقاليم فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا برقة، وإنما يختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب، وهو الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم"[1].

تطور مفهوم المغرب مع بداية الفتوحات الإسلامية انطلاقا من منتصف القرن الأول الهجري عندما ولى معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع سنة 50 هـ /670 م[2]، فارتأى أن يفرد إفريقية وفتوح المغرب بعامل مستقل، وعليه يكون هذا التاريخ هو ميلاد إفريقية والمغرب كقسم إداري قائم بذاته من أقاليم الدولة الإسلامية، وبخاصة بعد بناء مدينة القيروان[3] التي ستكون مستقر المسلمين وقاعدة بلاد المغرب.

أما لغويا فيعرف ابن خلدون هذا المصطلح بقوله: " إن لفظ المغرب في أصل وضعه اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة المشرق، إلا أن العرب قد تخصص هذه الأسماء بجهات معينة وأقطار مخصوصة "[4].

يكاد يجمع المؤرخون والجغرافيون على أن حدود بلاد المغرب تمتد من طرابلس شرقا إلى البحر المحيط غربا،و من البحر الرومي شمالا إلى بلاد السودان جنوبا، وهي حدود ولاية جرجير البيزنطي التي وجدها العرب عند دخولهم المنطقة ولو من الناحية النظرية، لأن سلطان البيزنطيين الحقيقي كان محصورا في المناطق الساحلية الشرقية لبلاد المغرب، وقد أكد ذلك عبد الوهاب بن منصور بقوله: " ولم يثبت لهم البيزنطيين – وجود بالمغرب الأقصى إلا ما يردده بعض المؤرخين من غير تأكيد من أنهم وصلوا إلى سبتة وطنجة[5]، كما لم يثبت لهم

---

[1]- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر – مراجعة درويش الجويدي- المكتبة العصرية – بيروت -2009-مج 2 ص 1830.

[2]- إبن عذاري المراكشي – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – تحقيق ومراجعة – ج س كولان، ليفيبروفنسال – دار الثقافة – بيروت – ط3 -1983- ج1 ص 19 / إبن الأثير المصدر السابق – مج 1 ص 645.ح

[3]- القيروان: مدينة بناها عقبة بن نافع الفهري عند فتحه إفريقية سنة 50 ه حيث أصبحت قاعدة المسلمين وعاصمة لولاية إفريقية، خربت بعد زحف عليها العربعند منتصف القرن 5 ه /11 م.مؤلف مجهول: الإستبصار – نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد دار النشر المغربية – الدار البيضاء - 1985 ص 113 / البكري: المسالك والممالك – تحقيق جمال طلبة – دار الكتب العلمية – بيروت ط1 2003 مج 2 ص 197/.الإدريسي: نزهة المشتاق قسم خاص بالمغرب الإسلامي – تحقيق محمد حاج صادق – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1983 – ص 146/ النويري: تاريخ المغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب – تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد – دار النشر المغربية – الدار البيضاء -184 – ص 187 / الحميري: المصدر السابق – ص 486 / ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج 4 ص 106-107 / ابن عذاري: المصدر السابق – ج 1 ص 20/ البلاذري – المصدر السابق – ص 225 / ابن الأثير – المصدر السابق –مج 2 ص 645.

[4]- ابن خلدون: المصدر نفسه – مج 2 ص 1830.

[5]- طنجة مدينة قديمة بالمغرب على ساحل البحر بينها وبين سبتة ثلاثون ميلا: الحميري: المصدر السابق – ص395/ مجهول: الإستبصار –ص 138 / ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج 3 ص 267- 268.

وجود في داخلية البلاد ولا سيما الجهات البعيدة عن السواحل التونسية"[1] رغم تأكيد مؤرخي القرن الثالث الهجري باعتبارهم أقرب زمنيا للأحداث كابن عبد الحكم (ت 257 هـ /871م) عندما قال: " وكان مستقر سلطان افريقية يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة"[2]، ثم قوله: " وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة"[3]، والبلاذري (ت279هـ /892 م) بقوله " وكان بها – افريقية – بطريقة سلطانه من أطرابلس إلى طنجة"[4].

وبالعودة إلى تحديد المؤرخين والجغرافيين يمك أن نستعرض إضافة إلى قولي ابن عبد الحكم والبلاذري والسابقين، المقدسي (ت 387 هـ / 997 م) الذي يقول:
" فأول كورة من قبل مصر برقة ثم افريقية"[5]، أما الاصطخري (ت 346 هـ /957 م) فيقول: " وأما المغرب فهو نصفان يمتدان من بحر الروم، نصف من شرقيه ونصف غربيه، فأما الشرقي فهو برقة افريقية"[6]، واما ابن دقمان (ت 809هـ /1406م) فيعرف باقليم برقة قائلا: " وهو حد مصر من الغرب، وكان في قديم الزمان مدن كثيرة عامرة"[7]، وفي حين يحدد صالح بن عبد الحليم الأيلاني (كان بقيد الحياة سنة 712 هـ / 1312 م) بلاد المغرب من مصر إلى البحر المحيط قائلا: " فصار المغرب كالجزيرة دخل فيها مصر والقيروان والمغرب الأوسط والزاب والسوس الأقصى"[8] وعندما يذكر ابن الأبار (ت 658 هـ / 1260 م) محاولة فتح افريقية من طرف عمرو بن العاص بعد أن فتح برقة وطرابلس يقول: " ولم تزل – برقة – من أعمالها قديما وحديثا"[9] ويحدد ابن ظهيرة بوضوح الحدود بين مصر وبلاد المغرب فيقول: "فالذي يقع

---

[1]- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب – المطبعة الملكية – الرباط 1968 – ج1-ص 104.
[2]- قرطاجنة: اسم لثلاثة مواضع أو مدن، الأولى قرطاجنة إفريقية وهي مدينة رومانية أسست على أنقاض مدينة قرطاجة الفينيقية بعد أن دمرها القائد الروماني شيبيوت الافريقي خلال الحرب البونية الثالثة (149 -146 ق م)، ثم أعيد بناؤها سنة 46 قم من طرف يوليوس قيصر حيث أصبحت قاعدة مستعمرتهم،و يبدو أن توالي الحروب على افرقية قد ألحق الخراب بهذه المدينة سواء في العهدين الوندالي والبيزنطي أو عند الفتوحات الإسلامية =والثانية بالأندلس عند جبل طارق وتعرف بقرطاجنة الخلفاء من كورة تدمير وهي فرضة مدينة مرسية، وهي مدينة قديمة بها ميناء الإستبصار: المصدر السابق –ص 121 وما بعده / البكري: المصدر السابق – ص 118/116/ الحميري: المصدر السابق – ص 462-465 / المسعودي: المصدر السابق –ج 2 ص 112/ ياقوت الحموي ك المصدر السابق – مج 4 ص 31/ الإدريسي: المصدر السابق ص 149-151 / عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب – تحقيق صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا بيروت – ط1 2006 ص 252/ محمد البشير شنيتي: الإحتلال الروماني لبلاد المغرب – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ط2 1985 – ص 129 / حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس – الدار التونسية للنشر – 1983 –ص 23-27.
[3]- ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص 35.
[4]- البلاذري: المصدر السابق ص 224.
[5]- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – دار صادر – بيروت – مطبعة بريل – لندن -1906 –ص216/ ابن الأبار: المصدر السابق ص 14.
[6]- الأصطخري: المسالك والممالك – دار صادر –- بيروت – مطبعة بريل – لندن -1906 –ص36.
[7]- ابن ظهيرة: الإنتصار بواسطة عقد الأمصار- منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت 1893- ص 198.
[8]- صالح بن عبد الحليم: مفاخر البربر – دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية – دار أبي رقراق للطباعة والنشر – الرباط – ط 2 2008 –ص 198.
[9]- ابن الأبار: المصدر نفسه ص14.

عليه اسم مصر من العريش إلى أخر لوبية ومراقية وفي أواخر أرضها تلقى أرض انطابلس وهي برقة"[1]، وعندما يتطرق صاحب الاستبصار إلى مدن افريقية يبدأ بمدينة اطرابلس[2]، ويعتبرها أول مدن افريقية على الساحل، ثم يضيف: " وحد افريقية طولا من برقة شرقا إلى مدينة طنجة غربا، وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي حاجز بين بلاد افريقية وبلاد السودان"[3]

يؤكد ابن حوقل (ت 380 هـ / 990 م) حد المغرب ببرقة قائلا: " وهذه جملة أحوال المدن المشهورة والمراسي والقرى المعروفة على نحو بحر المغرب من حد برقة إلى بحر المحيط"[4]، وقد أورد الداودي في كتاب الأموال فتوى الإمـــام سحنون[5] حول حكم فتح افريقية...ثم قال: " حد افريقية من اطرابلس إلى طبنة"[6]، وهو ما يذهب إليه تقريبا عبد الواحد المراكشي (ت 647 هـ / 1249م) عندما يقول: " وأول حد بلاد افريقية والمغرب مدينة انطابلس المذكورة المدعوة – برقة –"[7]، وعلى العكس من ذلك يجعل ابن الوردي (ت 861 هـ /1456 م) مدينة الاسكندرية أخر مدن الغرب[8].

جمع ابن خلدون هذه الاراء كلها وأعطانا تحديدا دقيقا وشاملا، وهي الحدود التي استقر عليها المغرب في عصره، وفي ذلك يقول: " المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار، فحده من جهة الغرب البحر المحيط... وأما حده من جهة الشمال فالبحر الرومي... وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال المتهيلة الماثلة حجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر، وتعرف عند العرب الرحالة البادية بالعرق.. ومن دون هذا العرق سياج أخر على المغرب مما يلي التلول منه،

---

[1]- ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصدر القاهرة – تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس – وزارة الثقافة – دار الكتب مصر 1969- ص 9.

[2]- اطرابلس: مدينة في أول أرض افريقية في أخر حدود برقة، وقيل معنى اطرابلس بالرومية ثلاث مدن – مجهول: الإستبصار – ص110.

[3]- المصدر نفسه ص111-112.

[4]- ابن حوقل: صورة الأرض – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – د ت ص 83.

[5]- الإمام سحنون: هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي ولد سنة 160ه /776 م أو 161ه 777م، أخذ العلم بالقيروان عن مشايخها كبهلول بن راشد وعلي بن زياد، ولى قضاءالقيروان سنة 234 ه /848م توفي سنة 239 ه / 853 م. تنظر ترجمته عند القاضي عياض – ترتيب المدارك – تحقيق محمد سالم هاشم – دار الكتب العلمية – بيروت –ط1- 1998- مج 1 ص 339-365 / ابن فرحون المالكي – الديباج المذهب – دراسة وتحقيق مامون بن محي الدين الجنان – دار الكتب العلمية – بيروت –ط1 –1996 –ص 263.268/ الحافظ الذهبي: العبر في خبر من غبر: تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني – دار الكتب العلمية – بيروت – ج1 ص 240.

[6]- الداودي: كتاب الأموال: تحقيق رضا محمد سالم شحاذة – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 2008 – ص 79.

[7]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق – ص 250.

[8]- ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب – تحقيق محمود فاخوري – دار الشرق العربي – بيروت –ص 40.

وهي الجبال التي هي تخوم تلك التلول ممتدة من لدن البحر المحيط في الغرب إلى برنيق من بلاد برقة"[1]

يظهر مما سبق أن هذا التحديد ارتكز على أسس تاريخية، فشبه الجزيرة العربية والعراق وفارس وما إليها شرقا المشرق، وبلاد الشام ومصر وما إليهما غربا المغرب، وقد رأينا كيف جعل علي بن أبي طالب بلاد الشام مغربا زمن الفتنة رغم انها متاخمة للعراق.

استمر هذا التقسيم خلال القرن الثاني الهجري / الثامن ميلادي حيث كانت افريقية والمغرب والأندلس تمثل القسم الغربي للدولة الإسلامية، وفي ذلك يقول ابن الأثير: " وفي هذه السنة (117 هـ /735 م) استعمل هشام بن عبد الملك على افريقية والأندلس عبيد الله بن الحبحاب، وكتان ولي على مصر"[2]، ويؤكد ذلك ابن عذاري بقوله: " ثم تناهت به الحال إلى ولاية مصر وإفريقية والأندلس والمغرب كله "[3]

أما الجغرافيون فيبدو أنهم اعتمدوا تحديدهم على المعالم الطبيعية كالبحار، ولما كانت مصر وبلاد المغرب على امتداد واحد تنحصر بين ثلاث بحار وهي: بحر القلزم والبحر المحيط والبحر الرومي جعلوها إقليما واحدا، ينقل ابن خلدون قولهم هذا: " وكان المغرب عندهم جزيرة أحاطت بها البحار من ثلاث جهاتها "[4].

وفي الأخير يخلص إلى الحدود التي استقر عليها المغرب فيقول ك " وأما العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الأقاليم فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا برقة وإنما يختص بطرابلس وما وراءها إلى جهات الغرب.. وهذا الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم"[5]، وقد يكون ابن خلدون مرتكزا في تقسيمه هذا على أساس قبلي، فسكان مصر هم الأقباط[6]، وسكان المغرب البربر، وهنا يبرز الطابع الاجتماعي في الكتابة التاريخية عنده.

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 1831-1832.
[2]- ابن الأثير: المصدر السابق – مج 2 – ص987.
[3]- ابن عذاري: المصدر السابق – مج 1- ص51.
[4]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص1833.
[5]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص1833
[6]- مجهول: الاستبصار – ص 65-66.

أقسام بلاد المغرب:

قسم مؤرخو وجغرافيو العرب بلاد المغرب إلى قسمين رئيسيين، والحقيقة أنه تقسيم قديم اعتمدوه أثناء الفتوحات الإسلامية حتى أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي.

إفريقية:

أطلق الفينيقيون اسم أفري على أهل البلاد الذين كانوا يسكنون حول مدينة أوتيكا[1] وحول عاصمتهم قرطاجة، ثم عممه اليونانيون على سكان البلاد الذين كانوا يقطنون المغرب من حدود مصر إلى البحر المحيط أما الرومان فأطلقوا على أراضي دولة قرطاجة بعد هزيمتها والقضاء عليها في الحرب البونية الثالثة سنة 146 ق م مقاطعة أفريكا[2] والتي ستصبح أول ولاية رومانية في بلاد المغرب، وتمتد من مدينة لبدة إلى طبرقة[3]، وقد عربها المسلمون إلى أفريقية، وقيل سميت بأفريقية لأنها فرقـت بين المشرق والمغرب،و قيل باسم أهلها وهم الأفارقة من ولد فارق بن مصرايم[4].

وبالنظر إلى الأحداث التاريخية فإن إمارة الأغالبة التي تأسست بافريقية سنة 184 هـ / 800 م كانت أخر حدود الدولة العباسية من ناحية الغرب، وعلى هذا الأساس ما وراء افريقية غربا هو المغرب.

حافظت إفريقية على مدلولها كولاية إسلامية يضاف إليها المغرب، وهذا خلال القرون الثلاثة الأولى أي إلى سقوط دولة الأغالبة، ويرى البعض أن افريقية مصطلح سياسي ذو مضمون جغرافي غير محدود، وإذا كان هذا المصطلح ينطبق على عهد الأغالبة وفي أوائل عهد العبيديين على حدود تونس الحالية تقريبا فإن مدلوله قد اتسع في عهد الزيريين ليشمل المغرب الأوسط والأراضي التي فتحوها في المغرب الأقصى[5]، وعليه فافريقية هي أول بلاد المغرب، وإن كانت أحيانا تطلق على كامل بلاد المغرب، ولذلك أصبح لها مفهومان، أحدهما

---

[1]- أوتيكا أو عتيقة: مدين ساحلية أسسها الفينيقيون سنة 1101 ق م – وتعرف ببرج بوشاطر: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس – دار النهضة العربية – بريوت -1988 ص 17 / الجزائر في التاريخ من الفتح إلى العد العثماني – مجموعة من المؤلفين – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر -1984 – ص12/ محجمد الصغير غانم: المرجع السابق ص69-ص93.
E.F GAUTIER: le passe de l'Afrique du nord. les ciecles obscurs – nouvelle édition – petite bibliothèque pavot – paris 1952 p 115.

[2]- محمد البشير شنيتي : المرجع السابق – ص 54-55

[3]- محمد البشير شنيتي : المرجع السابق – ص 55-/و طبرقة مدينة قديمة بالقرب منها مرسى الخرز: مجهول: الإستبصار – ص126 / الإدريسي: المصدر السابق –ص152/ الحميري: المصدر السابق –ص 386.

[4]- ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس – تحقيق وتعليق محمد شمام – المكتبة العتيقة – تونس ط2 – 1967 –ص19.

[5]- اسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية – الشركة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1980 –ص35.

عام يكاد يعادل مفهوم المغرب، والأخر خاص يعني الأجزاء الشرقية من بلاد المغرب،و التي هي ولاية افريقية الرومانية.

❖ ظهور المغرب الأوسط:

لمعرفة ظروف وتاريخ ظهور هذا المصطلح لابد من العودة إلى جذوره التاريخية، أي فترة الإحتلال الروماني حيث كانت الحدود بين افريقية الرومانية ونوميديا خندقا يمتد من طبرقة شرقي القالة يعرف بالخندق الملكي[1] fossa Regia، والذي يأخذ شكل هلال مفتوح أكثر في نهايته بحيث بقيت مدينتي باجة ودوقة ضمن تراب نوميديا[2].

وسع الرومان حدودهم غربا في عهد يوليوس قيصر (101- 44 قم) بعد انتصارهم على بومبي وحليفه يوبا الأول في حرب افريقية إثر معركة ثابسوس[3] عام 46 ق م حيث استولى يوليوس على مدينة زاما[4] عاصمة يوبا الأول، وحول مملكته إلى مفقاطعة على رأسها كريسبوس سالوستيوس[5] وهي المقاطعة الثانية التي اطلق عليها اسم افريقية الجديدة تمييزا لها عن افريقية القديمة، وتشمل جزء فقط من مملكة يوبا الأول، يفصلها عن المقاطعة القديمة الخندق الملكي شرقا، أما غربا فتمتد على خط ينطلـــــق من غرب بونة إلى الجنوب الغربي من قالمة[6]، أي من الميلية على الوادي الكبير قرب جيجل شمالا إلى أوراس جنوبا.

والحقيقة أن هذه الحدود لم تكن ثابتة في العهد الروماني حيث ضم هؤلاء ما تبقى من نوميديا إلى موريتانيا مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد ، وهي المنطقة التي أصبحت تعرف بموريتانيا الكبرى أو الموسعة، لكن سرعان ما فصل الإمبراطور كلوديوس (41- 45م) بين الموريتانيتين الطنجية والقيصرية عام 42م ، وقد امتدت هذه الأخيرة من إفريقيا الجديدة إلى نهر ملوية[7] ، وهي نفس الحدود تقريبا التي استقر عليها المغرب الأوسط لاحقا.

---

[1]- يوليوس قيصر: حرب افريقية – ترجمة محمد الهادي حارش – دار هومة – الجزائر 2000-ص67.
[2]- محمد البشير شنيتي: المرجع السابق ص55.
[3]- ثابيوس: مدينة على بعد 22 كلم إلى الشمال من موقع أغار (سيدي عمارة) وتعرف حاليا برأس ديماس: يوليوس قيصر – المصدر السابق – ص124 هامش 56/ محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية والحضارة البونية – دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر -1998-ص132.
[4]- زاما: قرية قرب مدينة الكاف غربي تونس تعرف بحامة: حسن حسني عبد الوهاب – المرجع السابق – ص21.
[5]- يوليوس قيصر: المصدر السابق ص66-67/ محمد البشير شنيتي: نفسه ص60-65.
[6]- يوليوس قيصر: المصدر السابق –ص67 هامش 154/ محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية والحضارة البونية –ص 132.
[7]- محمد البشير شنيتي: التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في المغرب أثناء الإحتلال الروماني – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر -1984 – ص162.

❖ تطور مصطلح المغرب الأوسط:

ليس لدينا تاريخ مضبوط ومحدد عن ظهور أو استعمال هذا المصطلح في العصر الإسلامي قبل نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي على الأقل،فالدولة الأغلبية شملت بلاد الزاب[1] وبلاد كتامة وتاهرت، حيث أورد بعض المؤرخين بناء الأغالبة لمدينة قرب تاهرت تسمى العباسية[2]، لكنها لم تدم طويلا حيث أحرقها الإمام افلح بن عبد الوهاب، رغم أن المصادر الإباضية لا تشير إلى ذلك، وبخاصة في ولاية أفلح (208–258 هـ/ 823–881 م). وهو ما يدل على أن هذه المناطق لم تكن ضمن حدود الدولة، بل أن بعض مناطق افريقية ذاتها لم تكن تحت نفوذ الأغالبة، ويؤكد ذلك اليعقوبي عندما يقول: " ومدينة أربة وهي أخر مدن الزاب مما يلي المغرب في أخر عمل بني الأغلب لم يجاوزها المسودة"[3]، أما المناطق التي كانت تبدو أنها تحت حكم الأغالبة، فالحقيقة أنها لم تكن تابعة لهم إلا إسميا، إذ حكمتها زعامات بربرية أو عربية، يتضح ذلك من الحوار الذي دار بين أبي عبد الله الشيعي وحجاج كتامة حيث نفوا وجود عمال للأغالبة بمناطقهم، ومن خلال الأحداث والأقوال يلاحظ نوعا من الغموض والاضطراب في الوضعية السياسية لهذه المناطق، ففي الوقت الذي ينكر فيه الكتاميون سلطان الأغالبة عليهم، يقوم ابراهيم بن أحمد الأغلبي (261–289 هـ/874–901م) بتوجيه رسالة للشيعي يأمره بالانسحاب من مملكته، ويظهر أن ذلك كان مجرد تهديد وتخويف، القصد منه إبعاده عن حدود دولته التي أصابها الوهن، وجد فيها الكتاميون سبيلا للقيام مع الشيعي سنة 280 هـ /893 م.

[1]- بلاد الزاب: قيل زاب الشيء إذا جرى، وقيل زاب ملك من قدماء ملوك الفرس وهو زاب بن توركان بن منوشهر، حفر عدة أنهر بالعراق فسميت باسمه، وأما زاب المغرب فهو كورة كبيرة في بلاد البربر على طرف الصحراء في سمت بلاد الجريد وهي مدن كثيرة وأنظار واسعة وعمائر متصلة من مدنها: المسيلة، طبنة، بسكرة، باديس،و قد يكون اسم الزاب مأخوذ من المدينة الرومانية ZABI التي أسست قريبا من المسيلة والتي ذكرها البكري باسم بشليقة / مجهول: الاستبصار – ص 170 -173 /

[2]- العباسية: مدينة بناها أبو العباس محمد بن الأغلب سنة 239 ه /853 م حسب ابن الأثير وسنة 227 ه /841 م حسب ابن خلدون ويظهر أن التاريخ الأول هو الأقرب للصواب ذلك أمن أبا العباس الذي تولى الإمارة سنة 226ه / 840 م لا يمكنه أن يتم هذا المشروع في سنة واحدة من توليه الحكم، كما أن القرائن والأحداث تؤيد ذلك حيث أن بنائها تزامن مع الفتوحات الأغلبية في ايطاليا خلال سنوات 237 ه إلى 239 ه / 853 م وإلى 855 م فكان إنشاؤها كنوع من الشكر والفرح. وللإشارة فإن هناك مدينة أخرى بنفس الاسم بناه إبراهيم ابن الأغلب قرب القيروان: ابن عذاري: المصدر السابق – ص 220 / ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج 3- ص292 / عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق – ص 143/ عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية – جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد ومحمد ادريس – تقديم ومراجعة حمادي الساحلي – دار الغرب الإسلامي – بيروت -1990 –ص 205..

[3]- اليعقوبي: المصدر السابق – ص 191.يقصد بالمسودة العباسيين بسبب راياتهم السود.

الحقيقة أن أقاليم المغرب قد اختفت في ظل سيطرة الدولة العبيدية التي كانت تعتبر بلاد المغرب منطقة واحدة خاضعة لسلطتهم، وإذا كانت قبائل زناتة من أشد المعارضين لهذا المد فإن تبلور فكرة استقلال الزيريين عندهم اتضحت مع أواخر القرن الرابع الهجري حيث تشكلت ملامح قسمي المغرب لتبرز أكثر مع مطلع القرن الخامس الهجري بقطع الدعوة العبيدية وقيام الدولة الحمادية.

إن الفراغ السياسي الذي نتج عن رحيل العبيديين إلى مصر سنة 361 هـ / 972 م أحدث تطورات عسكرية وسياسية جديدة في الساحة المغربية حيث لم يتمكن خلفاؤهم من أل زيري الاحتفاظ بالوحدة السياسية والمذهبية، حيث زاد خطر القبائل كمغراوة وبني يفرن التي وجدت الدعم من أموي الأندلس[1]، الأمر الذي اضطر المنصور ثم ابنه باديس إلى الاستعانة بعمه حماد فعقد له على ولاية أشير[2]، وكلفه بحرب زناتة سنة 387هـ / 997 م فأثخن فيها ودوخ المغرب، ونتيجة لذلك اتسعت عمالته، وكثرت عساكره وعظم شأنه[3]، وهو ما جعله يفكر في الاستقلال وتأسيس دولة له ولعقبه.

ظهرت نوايا حماد الإستقلالية باختطاط مدينة القلعة سنة 398 هـ/1007 م[4] وعليه يمكن اعتبار نهاية القرن الرابع الهجري / مطلع القرن الحادي عشر ميلادي هو بداية بلاد المغرب والأوسط ككيان سياسي ومجال جغرافي، وفي ذلك يقول حسين مؤنس: " وعندما ينشئ بنو حماد بن بلكين قلعة بني حماد، وتطمح أنظارهم إلى الاستقلال عن بني عمومتهم أل زيري بن مناد أصحاب افريقية ستظهر شخصية المغرب الأوسط بقسميه الشرقي والغربي "[5].

حاول أمراء افريقية أثناء حماد عن عزمه بالقوة فقاتله باديس ثم ابنه المعز[6] بنواحي شلف والمسيلة والقلعة، فلجأ حماد إلى الصلح الذي أقره باديس وهو ما يمثل اعترافا رسميا باستقلال حماد بالمغرب الأوسط سنة 408 هـ / 1017 م وإنهاء تبعيته لإفريقية، ويصور ذلك ابن

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 1867-1875/ ابن عذاري: المصدر السابق – ج1 ص 244

[2]- ابن عذاري: المصدر السابق – ج1- ص248.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق – ج1- ص248

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 1875

[5]- حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته – من القرن السادس ميلادي إلى القرن التاسع عشر ميلادي – العصر الحديث للنشر والتوزيع – لبنان – ط1 – 1992-مج1-ج1-ص 584.

[6]- ابن الأثير: مج 2 ص 1915 / ابن خلدون مج 2 ص 1868 ص 1876 / البيان المغرب ج1 – ص 263-269.

خلدون قائلا: " وأشفق حماد فبعث ابنه القائد لإحكام الصلح بينه وبين المعز، فوصل إلى القيروان سنة ثمان واربعمائة...و أمضى له المعز ما سأل من الصلح..و استقل حماد بعمل المسيلة وطبنة والزاب وأشير وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب.. ووضعت الحرب أوزارها من يومئذ واقتسموا الخطة والتحمـــــــوا

بالأصهار وافترق ملك صنهاجة إلى دولتين، دولة أل المنصور بن بلكين أصحاب القيروان ودولة أل حماد بن بلكين أصحاب القلعة"[1].

دعم حماد استقلاله السياسي بالقطيعة المذهبية سنة 405 هـ /1014 م، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " فأبى حماد ونبذ طاعة الشيعـــة، وراجع دعوة أل العباس، وذلك سنة خمس وأربعمائة "[2]، وبذلك تعد الدولة الحمادية أول دولة بربرية خالصة تتأسس بالمغرب الأوسط، ثم كانت أخر محاولة زيرية ضد أل حماد سنة 432 هـ/ 1041 م لإخضاعهم، وهو ما يعتبره البعض البداية الحقيقية لاستقلال الحماديين[3].

وبقيام هذه الدولة مع مطلع القرن الخامس الهجري ميز الجغرافيون بين افريقية وباقي المغرب بدوره إلى قسمين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، فبالنسبة للأول لا يبدو أنه قد ظهر قبل القرن الخامس الهجري حيث أن المصادر التي تتطرق إلى حروب الزيريين ضد أمراء زناتة لا تشير إلى مصطلح المغرب الأقصى وإنما تذكر بلاد المغرب فقط، ومنها قول ابن عذاري: " وفي سنة 389 هـ/990 م زحف زيري بن عطية صاحب فـاس وما والاها من بلاد المغرب إلى مدينة تيهرت"[4]، ثم يضيف قائلا: " وفي سنة 390 هـ / 991 م خرج نصير الدولة باديس إلى رقادة متوجها إلى قتال زيري بن عطية أمير الغرب"[5].

أطلق المؤرخون على الأقاليم الغربية البعيدة اسم المغرب الأقصى، وبذلك أصبح المغرب مغربان، مغرب أقصى في أخر البلاد، والذي يرى فيه البعض أنه أقدم من مصطلح المغرب

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 1868-1870/ النويري: المصدر السابق ص 339.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 1876. قد يكون موقف حماد هذا نتيجة محضر القدح في نسب العبيديين الذين كتب في بغداد سنة 402 ه / 1011 م أيام الخليفة القادر والذي شهد فيه شخصيات علوية. / الحافظ الذهبي: دول الاسلام:تحقيق حسين اسماعيل مروة –دار صادر – بيروت –ط2-2006-ج2-ص353/ العبر في خبر من غبر-ج2-ص200/ ابن الاثير: المصدر السابق –مج2-ص1919

[3]- ابن الأثير: المصدر نفسه- مج 2 ص 1868 / النويري – المصدر نفسه –مج 2ص1878.

[4]- ابن عذاري: االمصدر نفسه – ج1 –ص249.

[5]- ابن عذاري: المصدر نفسه – ج1- ص251 // ابن خلدون: المصدر نفسه –مج2-ص1868

الأوسط، ذلك أن الأجزاء الشرقية من بلاد المغرب وهي افريقية لم يطلق عليها اسم المغرب الأدنى بل حافظت على اسمها القديم أو أطلق عليها أحيانا اسم بلاد القيروان[1]، وهذا يعني أن اصطلاح المغرب الأوسط إنما هو نسبة إلى المغرب الأقصى، ولما كانت هذه البلاد مغربا بالنسبة لافريقية ومشرقا بالنسبة للمغرب الأقصى أطلق عليه المغرب الأوسط لوقوعه بين افريقية في الشرق والمغرب الأقصى في الغرب[2].

تحديد المغرب الأوسط والمغرب الأقصى:

إنه لمن الصعوبة بمكان تعيين تحديد جغرافي واضح وثابت للمغرب الأوسط، فموقعه وسط المغرب جعله مركز تجاذبات سياسية وعسكرية تتداخل فيه افريقية من شرقه والمغرب الأقصى من غربه، وعليه لم تكن حدوده ثابتة على مر التاريخ، وإذا كان التحديد من الغرب أوضح نوعا ما حيث يعتبر نهر ملوية[3] المعلم الرئيسي للفصل بين المغربين، فإن الأمر يزداد صعوبة نحو الجنوب حيث كانت بعض القبائل تمتد في مجال واسع خاصة إذا علمنا دور العصبية في وحدة القبيلة التي لا يمكن أ تفصل بينها الحدود، كما أن شساعة الصحراء وتقلب السكان فيها لا يمكن معه رسم معالم ثابتة ودائمة، ثم إن الجغرافيين أنفسهم عندما يصفون الأقاليم لا يتطرقون إلى المجال الجغرافي للدول وإنما يتعرضون للمسالك والطرق وللمدن وساكنيها وما اشتهرت به ومن الصعوبات التي تواجهنا في هذا الإطار مسألة الحدود بالظروف السياسية والعسكرية، أين تخضع فيها الدولة للتمدد والتقلص تبعا لميزان القوة والضعف.

إن التطورات السياسية هي وحدها التي تصنع حدود الدول والأقاليم، ومع ذلك لا يمكن رسم إلا الإطار العام فقط.

1- البكري: المصدر السابق –ص 147 / مجهول: الاستبصار – ص 154-155.

2- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال – نشر منشأة المعارف – الأسكندرية – مصر -2003- ج1- ص 78.

3- مجهول: المصدر نفسه – ص 179 / ابن خلدون: المصدر السابق –مج 2- ص 1833.

من المصادر الجغرافية التي أعطتنا تحديدا للمغرب الأوسط كتاب الاستبصار الذي يجعل صاحبه حد المغرب الأوسط من وادي مجمع[1] إلى تازا في الطول، ومن سواحل وهران ومليلة إلى مدينة تيزيل[2].

وانطلاقا من مختلف الروايات يمكن أن نحدد مجال المغرب الأوسط بصورة تقريبية من الزاب على حدود بلاد الجريد مرورا ببسكرة والأوراس وبونة شرقا أما غربا فيعتبر نهر ملوية الفاصل الطبيعي بين المغربين أما جنوبا فيمتد عبر الصحراء من فجيج والساورة غربا إلى بلد مصاب ووراكلا إلى بلاد سوف[3].

يمكن أن نجمع هذه الحدود في قول ابن خلدون عندما يتطرق إلى الصراع الحمادي الزيري: " واقتطع (حماد) ممالك المغرب لنفسه ما بين جبل أوراس إلى تلمسان وملوية، واختط القلعة بجبل كتامة حيال المسيلة ونزلـــــــــــها، استولى على مركزهم أشير بجبل تيطري.... وبقى أل باديس بالقيروان وما إليها "[4].

أما جنوبا فيمتد إلى الصحراء في مجالات غير دقيقة يحددها ابن خلدون بالعرق الذي تتخلله الحمادة وهي الأرض المحجرة، ثم يذكر المدن والقرى التي هي في سمت المدن والقواعد من لدن التل فيقول: " وفي قبلة تلمسان قصور متعددة ذات نخل وأنهار وفي قبلة تاهرت قصور أيضا، بلاد متتالية على سطر من المشرق إلى المغرب أقرب ما إليها جبل لبني راشد.. ثم قصور معينات تناهز المائة وأكثر قبلة الجزائر.. ثم بلد واركلا قبلة بجاية.. وفي سمته إلى جهة التلول بلاد ريغ.. قاعدتها بسكرة من كبار الأمصار بالمغرب "[5].

ويحدد حسين مؤنس المغرب الأوسط وافريقية فيقول: " أما افريقية فهي ولاية واسعة كانت تشمل إقليم طرابلس وافريقية القديمة ثم إقليم الزاب، وهو إقليم واسع يمتد من الحدود الغربية

---

[1]- قد يكون المقصود بوادي مجمع وادي الشلف ويؤيد ذلك قول ابن خلدون بقوله " ويمر في شلف بني واطيل النهر الأعظم منبعه من بلد راشد في بلاد الصحراء... ثم يمر مغربا ويجتمع فيه سائر أودية المغرب الأوسط مثلمينا وغيره " – مج 2 ص 1834. يذكر البكري في وصف مدينة أفكان واد يسميه مجمع الأودية (وادي سيرة، وادي سي، وادي هنت) المصدر السابق ص263/ أحمد ابي رأس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار – تقديم وتحقيق محمد غالم – منشورات مركز البحث في الانتربولوجيا الإجتماعية والاقتصادية – وهران -2009-ج2ص49 هامش 50.

[2]- مجهول: الإستبصار – ص 176 – يذكرها باسم تنزل وهو خطأ والصحيح عند البكري حيث يقول:" وفي الجنوب من تلمسان قلعة أبي الجاهل وهي قلعة منيعة يتصل بها جبل تارف.. إلى مدينة تيزيل وهي أول الصحراء ومنها يسافر إلى مدينة سجلماسة وإلى أرجلان " ص 260

[3]- سوف: مدينة بالقرب من درجين وبقرب نفطة من البلاد الجريدية لا يعرف عليها عمران إلا جبال ورمال ومنه تكون قد اتخذت اسمها فالسائفة المال الدقيقة: مجهول: الاستبصار – ص 159.و يرى البعض أن اسم سوفة نسبة إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية الملثمين الذين قد استقروا بها وتركوا بها ما يذكر بهم. ابراهيم مياسي: من تاريخ وادي سوف – مجلة الثقافة العدد 117- السنة 21 1996 – ص 189-228 بنظر الخارطة ص 150.

[4]- ابن خلدون: المقدمة – دار الكتب العلمية – بيروت – ط9- 2006-ص 229.

[5]- ابن خلدون: المصدر نفسه – مج 2 ص 1832.

لإفريقية إلى مجرى نهر الشلف.. ويليها بعد ذلك غربا المغرب الأوسط فيما بين نهر الشلف ونهر ملوية "[1]، وقد ذكر محمد أبي رأس الناصر أن أول من وضع التخوم بين المغربين هو زيري بن عطية المغراوي[2] الذي اختط مدينة وجدة[3] واتخذها عاصمة لإمارته بدلا من مدينة فاس البعيدة عن موطنه الأصلي وذلك سنة 384 هـ /994 م.

إن هذه الحدود لم تكن ثابتة بصفة دائمة، حيث كانت تمتد أحيانا إلى المغرب الأقصـــى وافريقية، ثم تتقلص إلى ما دون ذلك أحيانا أخرى.

حاول ملوك الدولة الحمادية توسيع نفوذهم شرقا وغربا حيث امتدت سلطتهم في عهد بلكين بن محمد بن حماد[4] إلى مدينة فاس، أما شرقا فقد استغل الحماديون الاجتياح الهلالي لإفريقية لضم بعض مناطقها، ويصور ابن خلدون ذلك قائلا: " وكان بين تميم – ابن المعز بن باديس – والناصر صاحب القلعة أثناء ذلك فتن كان سماسرتها العرب يجأجئون[5] بالناصر من قلعته، ويوطئون عساكره ببلاد افريقية وربما بعض أمصارها"[6].

تحالف الناصر بن علناس مع العرب وحاصر مدينة الأربس[7] حتى سنة 460 هـ / 1067 م فافتتحها ثم تمادى إلى القيروان فدخلها[8]، كما صارت إليه مدينة تونس لكنه تخلى عن هذه المدن تحت ضغط العرب أو بالمصالحة مع تميم سنة 470هـ / 1077 م.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2 ص 1833

[2]- زيري بن عطية: هو زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر بن حفص بن صولات بن ونزمار، أحدى أمراء مغراوة، كان مواليا لبني أمية في الأندلس رفقة أخيه مقاتل ملك فاس وكون بها إمارته، وفي سنة 381 ه/991 م استولى على قسم كبير من المغرب الأوسط، ثم تنكر للأمويين فحاربه المنصور بن ابي عامر بطنجة فانهزم إلى الصحراء بعد أن أصيب بجروج إثر طعنة من أحد عبيده سنة 388 ه / 998 م توفي بسببها وهو محاصر لاشير سنة 391 ه/1000 م.يراجع عنه ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2080-ص2084./ ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-253.

[3]- وجدة: مدينة كبيرة مسورة كثيرة البساتين والجنان والمياه بينها وبين تلمسان ثلاث مراحل، وهي طريق المار والصادر من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب وسجلماسة وغيرها دمرها السلطان المريني يعقوب المنصور في زحفه على تلمسان في رجب من سنة 670 ه/1272 م / الحسن الوزان: وصف افريقيا – ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر – دار الغرب الإسلامي بيروت – ط2 –1983-ص 12-13./ ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان – تحقيق هاني سلامة – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة –ط1-2001-ص66-67/ الاستقصا: ج1-ص113.

[4]- كان بلكين كثيرا ما يردد الغزو إلى المغرب، وبلغه استيلاء ابن تاشفين والمرابطين على المصامدة فنهض نحوهم سنة 454 ه / 1062 م وفر المرابطون إلى الصحراء وتوغل بلكين في ديار المغرب ونزل بفاس واحتمل بكبار أهلها وأشرافهم على الطاعة: ابن خلدون – المصدر السابق –مج 2- ص 1876.

[5]- جأجأ: طلب المجيء يقال جأجأ بالإبل إذا دعاها للشرب: ابن منظور: لسان العرب – تحقيق عامر أحمد حيدر – دار الكتب العلمية بيروت ط1 – 2005 –مج 1-ص 52.

[6]- ابن خلدون: المصدر نفسه – مج 2 ص 1869

[7]- الأربس: مدينة في وطاء من الأرض بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، وهي مدينة مسورة قديمة من بناء الرومان، وهي على مزارع الحنطة والشعير في سهل جميل هو زهرة أقاليم افريقية / البكري: المصدر السابق –ص 290 / ياقوت الحموي – المصدر السابق – مج 1 ص 115 /ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص146/النويري: المصدر السابق –ص290/ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج1-ص115./ البكري: المصدر السابق – ص223 / الحميري: المصدر السابق –ص24/ الحسن الوزان: المصدر السابق –ج2-ص65.

[8]- ابن عذاري: المصدر السابق – ج1 ص 299.

وإذا كان الحماديون قد تراجعوا شرقا عن افريقية، فإن حدودهم الغربية ستتقلص أيضا حيث ستطهر إمارة بني يعلى من أل خزر الذين استقلوا بتلمسان مستغلين الصراع الحمادي ضد الزيريين وضد العرب فاستوثق لهم ملك المدينة إلى أن غلبهم عليها المرابطون في زحفهم على المغرب الأوسط سنة 473 هـ / 1080 م[1]

وعلى العموم فإن الدولة الحمادية التي كانت تمثل المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي تمتد من بونة وقسنطينة والزاب شرقا، وتمتد غربا من مواطن قبائل بني ومانو وبني يلومي[2] من أرض الشلف الأسفل إلى حدود الصحراء.

❖ الإطار البشري:

لم يعن المؤرخون القدماء من يونانيين ولاتتيين بتفصيل قبائل البربر وبيان مراكزهم، ولم يلتفتوا إلى النظام الاجتماعي السائد في بلاد المغرب القديم، وإنما كانوا يميزون بأوطانهم، فقاموا بتقسيمهم على أساس جغرافي أو إداري وليس اجتماعي أو قبلي، أما العرب فقد وجدوا أن نمط حياة البربر القائم على النظام القبلي لا يختلف عن حياتهم في شبه الجزيرة العربية حيث البدو والحضر، وممارسة الرعي والفلاحة[3]، كما أن توغلهم في المناطق الداخلية والصحراوية ومخالطة قبائله جعل العرب يبحثون في أصول البربر، وبذلك أسسوا لعلم الأنساب في المغرب لنه من العلوم التي اعتنى بها العرب في الجاهلية وفي الإسلام، وعليه فقد اهتموا بمعرفة شعوبهم وتقسيم العرب إلى شعبين كبيرين منحدرين من قحطان[4] وعدنان، فقسموا البربر إلى مجموعتين أساسيتين هما البرانس والبتر، ويبدو أنهم استعانوا بنسابة البربر، وأخذوا عنهم في تفصيل قبائلهم كسابق بن سليم المطماطي وغيره من الذين اعتمد عليهم ابن خلدون واستشهد بأقوالهم ومنها قوله: " وقال هانىء بن بكور الضريسي وسايق بن سليم المطماطي وكهلان ابن أبي لوا وأيوب بن أبي يزيد وغيرهم من نسابة البربر"[5]، ثم يضيف:"و كان من مشاهيرهم أيضا

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2 ص 2091.
[2]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق – ص253/ ابن خلدون: المصدر نفسه – مج 2- ص2098.
[3]- ابن خلدون: المقدمة ص 97.
[4]- قيل أن قحطان هو بن الهميسع بن نابت بن اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام. وقيل أن قحطان يقطن بن عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام – ابن حزم: جمهرة أنساب العرب – تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون – دار المعرف – القاهرة –ط 6 -199- ص 8-9/ المسعودي: المصدر السابق – ج1- ص 355.
[5]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- 1828.

النسابة سابق بن سليم وهو كبير نسابة البربر ممن علمناه"[1]، ولا شك أن هؤلاء المذكورين قد تأثروا بنسابة المسلمين وتنبهوا إلى اهتمام العرب بهذا العلم، وهكذا لم يكد ينتهي القرن الرابع الهجري حتى كانت أنساب االبربر قد دونت باللغة العربية[2]، ثم اكتمل ونضج هذا الفن على يد ابن خلدون[3] الذي قام بتصنيف القبائل والتعريف بأصولها وفروعها وبطونها وتحديد مراكز استقرارها حيث خصص الكتاب الثالث لأخبار البربر[4].

❖ الوضع السياسي والمذهبي:

إن ما ميز المغرب الأوسط أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي هو بداية تضعضع الدولة الرستمية مع إمامة أبي حاتم يوسف[5] نتيجة التطاحن والخلافات داخل الأسرة الحاكمة وفي هذه الأثناء كانت شوكة دعاة العبيديين قد اشتدت بجبال كتامة، وأصبحت من القوة ما مكنها من إزالة دولة الأغالبة في رقادة والقيروان، ومن ثم اكتساح تيهرت عاصمة الرستميين وتصفية أخر أئمتـــها اليقظان بن أبي اليقظان[6] رفقة أفراد عائلته سنة 296 هـ/908 م، وهكذا انتهت أول إمارة مستقلة بالمغرب الأوسط وضمت أملاكها إلى الدولة الجديدة، أما غربا فإن سلطة الأدارسة على تلمسان أصبحت في خطر أمام المد العبيدي الذي لم يكن ليتوقف عند القيروان وتيهرت.

لقد أصل وجود العبيديين بمذهب الشيعي الإسماعيـلي لصراع مرير بين السنة والشيعة من جهة، وبين الشيعة والخوارج من جهة أخرى،و إذا كان قضاؤهم على المذهب الخارجي قد تم في ظرف قصير نوعا ما فإن صراعهم ضد سنة زناتة سيتواصل ويطول إلى ما بعد رحيلهم إلى مصر، وأيا كانت أسباب ودواعي هذا الصراع دينية وسياسية أو اقتصادية، فإن القبائل

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2 ص 1848

[2] - EF GAUTIER:op.cit – P213

[3] - Ibid. – p203

[4]- ابن خلدون: المصدر نفسه – مج 2- ص 1826-2334.

[5]- أبو حاتم يوسف: سادس الأئمة الرستميين (281-294ه/ 894-906م) ثار عليه عمه يعقوب ابن افلح وأخرجه من تيهرت فلجأ إلى قبيلة لواتة إلى أن اغتيل سنة 294ه/906 م

[6]- اليقظان: بويع بعد مقتل أخيه أبي حاتم لم يتمتع بالحكم (294-296 ه/ 906-908م) حيث غمرته الفتن السياسية المائجة والأحوال المتدهورة: أبو زكريا: المصدر نفسه – ص 112 / رابح بونار: المغرب العربي وتاريخه وثقافته – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – ط2 1983 – ص 37..

الزناتية (بنو يفرن، مغراوة، مكناسة) ستصنع حلقات هذا الصراع، وبالتالي ستكون الأكثر تأثرا بالأحداث التي ستؤدي إلى حركة دائمة.

إن السؤال الذي يمكن أن يطرح في هذا الإطار هو: هل أن هذه التحركات هي جزء من حياة النجعة والترحال التي اعتادتها القبائل أم أن الظروف السياسية الطارءة كانت وحدها وراء هذا الوضع ؟ وبالمقابل فإن كتامة التي كانت العمود الفقري للدولة العبيدية منذ مرحلة الدعوة فإنها ستلاقي مصيرا أشد من التشتت والهجرة.

أما مذهبيا فإن عموم المغرب الأوسط وإفريقية كانوا على المذهب السني المالكي الذي انتشر منذ القرن الثاني الهجري على يد الفقهاء والمعلمين الذين توافدوا على المنطقة، وقد لاقى هذا المذهب إقبالا من قبل الأهالي، وذلك أن فقهاءه لم يخوضوا في العقائد والأصول والفلسفة، بل تركوا ذلك للفطرة وظواهر النصوص، بالإضافة إلى السنة وجد المذهب الخارجي بفرعيه الإباضي والنكاري بمعاقله الأولى تيهرت ووراكلا وبعض القبائل شرقي تيهرت حيث أشار اليعقوبي إلى إتباع هذا المذهب حيث يقول: " وإذا خرج الخارج من عمل الزاب مغربا صار إلى قوم يقال لهم بنو برزال وهم فخذ من بني دمر من زناتة وهم شراة كلهم "[1]، مع أقلية متشيعة من سكان كتامة.

إن الضعف السياسي والإنقسام الذي عرفه المغرب والإختلافات المذهبية شجع العبيدين على إعلان خلافتهم القائمة على المذهب الإسماعيلي، والتي ستحدث انقلابا سياسيا وإجتماعيا في المغرب الأوسط وافريقية طيلة تواجدهم بهما -296- 362 هـ/ 908-972م)، وحتى بعد رحيلهم إلى مصر.

[1]- اليعقوبي: المصدر السابق – ص191

الفصل الأول

القبائل البربرية في المغرب الإسلامي

- تمهيـــــــــد:
- شعوب البربر وقبائلهم
- البرانس
- أزداجة
- أوربة
- كتامة
- صنهاجة
- عجيسة
- أوريغة
- هكتارة
- البتر
- نفزاوة
- لواتة
- ضريسة
- بنو سنجاق
-

تمهيـــــد:

شكل النظام القبلي أساس البنية الاجتماعية والسياسية لبلاد المغرب منذ أزمنة بعيدة، فقد كانت العصبية محرك القبيلة في علاقاتها ونظام حياتها، فقد قام هذا النظام على نمطين، نمط الترحال والذي يعبر عنه ابن خلدون بحياة الطعن حيث يرتاد أفراد القبيلة مواطن الماء والكلأ بمواشيهم فيتنقلون من مكان إلى أخر، أما المستقرون فهم مرتبطين بالأرض يمارسون الزراعة والصناعة والتجارة وهم أقرب إلى الحضارة من سابقيهم، ورغم ذلك لم يتمكن هؤلاء من تكوين دولة بالمعنى الحقيقي حيث ظلت القبلية ميزة المجتمع المغربي، والعائق أمام تجسيد ذلك.

اتسمت القبائل البربرية بتشعب وتعدد بطونها بتوالي الأزمان وتفرقها في الأوطان، وربما عجز النسابة عن إحصائهم لكثرتهم، وقد أشار إلى ذلك ابن حوقل بقوله: "و البربر السكان بالمغرب فقبائل لا يلحق عددهم ولا يوقف على آخرهم لكثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم وتوغلهم في البراري وتبددهم في الصحاري"[1].

يعد ابن خلدون من المؤرخين الذين يعود إليهم الفضل في تصنيف قبائل البربر، وإحصاء بطونها وأفخاذها وفروعها، وتتبع مواطن حلها وترحالها وانتشارها في مناطق بلاد المغرب وجهاته، وقد ساعده على ذلك:

1- اطلاعه على كتب المؤرخين والنسابة السابقين كالطبري (ت 310هـ- 922م)، والرقيق القيرواني (ت363 هـ/974م)، المسعودي (ت346 هـ/957م)، وابن حزم الأندلسي (ت 456هـ/1064م) أو على كتب الجغرافيين كابن حوقل (ت 380هـ/990 م) وغيرهم، وعلى نسابة االبربر كهانئ بن بكور الضريسي وأيوب بن أبي يزيد (عاش في النصف الأول من القرن 4 هـ) وسابق بن سليم المطماطي وكهلان بن أبي لوا.

2- تقلبه في أقاليم الغرب الإسلامي (افريقية – المغرب – الأندلس) ولا شك أنه خلال هذه الرحلات قد اتصل بالشيوخ والنسابة الذين أخذ عنهم هذا العلم.

[1]- ابن حوقل: المصدر السابق – ص97/ ابن خلدون: المصدر السابق –مج 2- ص 1826.

3- تقلده لعدة مناصب ووظائف إدارية منها كتابة العلامة وهي وضع " الحمد لله الشكر لله " بالقلم الغليظ مما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم[1] للسلطان الحفصي أبي اسحاق ابراهيم (751-770هـ / 1350-1368 م) ثم لدى السلطان المريني أبي عنان 755هـ 1354 م وبعده في الأندلس لدى ملوك بني الأحمر.

خصص ابن خلدون قسما كبيرا من تاريخه[2] لأخبار البربر فأعطانا صورة تكون تكاد متكاملة عــن تاريخ قبائــل البربر، وإن كان تركيزه على الفترة التي عايشها أي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي إلا أنه يبقى المصدر الوحيد تقريبا المعول عليه في هذا الشأن.

لو عدنا إلى فترة ما قبل الإسلام خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد فإن مؤرخي اليونان والرومان كسالوست[3]،يوليوس قيصر[4] وغيرهما قد أوردوا بعض أسماء القبائل مثل الماسيل والمازيس وقبائل نوميديا (Numidae) والمـوزولامي أو المزالمة (Musulamaes)[5]،الجيتول[6] التي تكون قد عربت إلى جدالة، لكن هؤلاء المؤرخين لم يهتموا بمعرفة تفاصيل حياة هذه القبائل.

لما فتح العرب المغرب ولاحظوا التشابه الكبير بينهم وبين البربر في انقسامهم إلى قبائل أو في طريقة حياتهم وما اتصفـــــــوا به من سجايا كالكرم والشجاعة.. قسموهم حسب التقسيم المعروف لديهم إلى مجموعتين كبيرتين هما البرانس والبتر[7].

يرى البعض أن سكان المغرب يعودون إلى موجتين مختلفتين إحداهما تمثل السكان الأصليين والأخرى تمثل الوافدين الذين استوطنوا بلاد المغرب وزاحموا أهله[8]،الذي يتوافق مع ما أوردته بعض المصادر[9].

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – القسم الخاص بالتعريف بابن خلدون – مج 2 ص 2350.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق – الكتاب الثالث – مج 2 –ص 1826-2334

[3]- CAIUS CRISPUS SALLUSTIUS 86-34 ق م وهو من اسرة غنية من العوام انتخب محاميا سنة 52 ق م ثم أصبح عضوا في مجلس الشيوخ، وبعد ان اشتدت الحرب بين يوليوس قيصر وبومبيوس انحاز إلى الأول فعينه محاسبا ماليا ثم قائدا عسكريا، ثم حاكما لمقاطعة افريقية الجديدة سنة 46 ق م.

[4]- اشتهر كقائد عسكري ثم مؤرخ كتب تاريخه على شكل مذكرات منها حرب افريقية عاش بين 100-44 ق م.

[5]- محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية والحضارة البونية ص 161.محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب ص 18

[6]- يوليوس قيصر: المصدر السابق – ص 40-41

[7]- البرانس: نسبة إلى برنس بن بر، والبتر نسبة إلى مادعيس الملقب بالأبتر – ابن الحزم: المصدر السابق –ص 495./ ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2 –ص 1826

[8]- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق – ص294.

[9]- ذكر صاحب مفاخر البربر: ص209/ ابن عبد الحكم: ص28 ان البربر سارو نحو افريقية وأهلها الروم والأفارقة من الأعاجم فحاربوهم فظفرت عليهم فقتلوهم وهزموهم.. وقطنت البربر بافريقية والمغرب.

وهناك من قسم سكان بلاد المغرب على أساس نمط الحياة، فهناك سكان مستقرون يمارسون الفلاحة يسكنون البيوت بالطين على شكل قرى ويعرفون بأهل الوبر (الخيام)، ويصف ابن خلدون ذلك بقوله: " ويظعن أهل العز منهــم والغلبة لانتجاع المراعي... ومكاسبهم الشاه والخيل"[1].

اختلف المؤرخون هل هما لجد واحد كما هو الحال عند العرب في انتساب كل من القحطانيين والعدنانيين إلى ابراهيم عليه السلام، فيرى ابن الحزم أنهما لأب واحد وهو من النسابة المعول عليهم في هذا الشأن.

❖ شعوب البربر وقبائلهم:

1- البرانس:

وهم المستقرون الذين ينزل معظمهم في المناطق الساحلية القريبة من البحر والجبلية الممتدة عبر المغرب، وتكون الزراع فيها ميسورة والحياة مستقرة، وعلى هذا الأساس فسر البعض كلمة BARANOS اليونانية بالمستقرين[2] وبسبب ارتباطهم بالأرض نمت فيهم روح المقاومة، وهو ما جعلهم يستميتون في التصدي للعرب لأول الفتح بخلاف البتر الذين تعاونوا مع العرب لتشابه الحياة لدى الطرفين.

أما نسب البرانس فهم بنو برنس بن سفجو بن أبزج بن جناح بن واليل بن شراط بن تام بن دويم بن دام بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهو الذي يعتمده نسابة البربر[3]، وقد كانوا من الكثرة ما أنه لا يكاد يخلو قطر من الأقطار في بسيط أو جبل حتى زعم كثير من الناس أنهم ثلثا أمم البربر[4]، اما شعوبهم فتجمعها سبعة أجذام[5]، وزاد ةسابق بن سليم وأصحابه: لمطه وهسكورة وكزولة.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 1826..
[2]- موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية بالمغرب – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – 1979 – ص 59.
[3]- ابن الحزم: المصدر السابق ص 495./ ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 1828.
[4]- ابن خلدون: المصدر نفسه – مج 2-ص 1864..
[5]- الجذم بالكسر أصل الشيء وقد يفتح، وجذم كل شيء أصله والجمع أجذام وجذوم، وجذم الشجرة أصلها، وجذوم القوم أصلهم: ابن منظور: المصدر السابق – مج 7 – ص 81.

1-1- أزداجة:

ويقال لها كذلك وزداجة ويعتبرهم بعض النسابين بطنين مفترقين فيقولون من زناتة ووزداجة من هوارة[1].

كانت مواطنهم بناحية وهران، ومن بطونها مسطاسة وبنو مسقن[2]، وغرب افريقية ما بين باجة، والقالة وفي ذلك يقول اليعقوبي: " ويلي مدينة باجة قوم من البربر يقال لهم وزداجة"[3]

1-2- أوربة:

بنو أورب بن برنس، كانت مواطنهم بنواحي تلمسان إلى المغرب الأقصى، كان لهم التقدم لأول الفتح بما كانوا أكثر عددا وأشد بأسا وقوة، ومن بطونها لجاية ونفاسة ونيجة وزهكوجة ومزياتة ورغيوة وديقوسة، وقد استقر جمهورهم بالمغرب الأقصى بعد مقتل زعيمهم كسيلة سنة 69هـ /688 م[4].

1-3- كتامة:

بنو كتام أو كتم بن برنس، وهم أشهر شعوب البربر وأشدهم قوة وأكثرهم استقرارا.

كانت مواطن جمهورهم بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية إلى جبل أوراس وفيهم يقول ابن خلدون: " وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم، وبين ديارهم ومجالات تقلبهم مثل إيكجان[5] وسطيف[6] وباغاية[7] ونقاوس[8] وبلزمة[9] وتيجس[10] وميلة[1] وقسنطينة[2] والقل[3] وجيجل[4] من جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة [5]".

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق– مج 2 – ص 1859/ ابن الحزم: المصدر السابق – ص 495.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق– مج 2 ص 1859/ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج 4 –ص 464.

[3]- اليعقوبي: المصدر السابق – ص 188/ وباجة مدينة بافريقية تعرف بباجة القمح، وهي على جبل شديد البياض يقال له عين الشمس / ياقوت الحموي: المصدر نفسه –مج1-ص251/ الحميري: المصدر السابق –ص75..

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2 – ص 1861 / ابن عذاري: المصدر السابق – ج1 – ص 31-32/ ابن عبد الحكم: المصدر السابق – ص 62

[5]- ايكجان: جبل بين سطيف وقسنطينة فيه قبائل كتامة وبه حصن حصين ومعقل منيع: الحميري: المصدر السابق – ص 71

[6]- سطيف: مدينة في أرض كتامة بينها وبين ميلة مرحلة وهي قديمة أزلية كثيرة الخلق كان عليها سور صخر عظيم خربته كتامة مع أبي عبد الله الشيعي.- مجهول – الاستبصار – ص 166/ الحميري: المصدر نفسه – ص318

[7]- باغاية: مدينة عظيمة في أقصى افريقية بين مجانة وقسنطينة تحت جبل أوراس بالقرب منها قبر مادغوس، وهي إحدى مدن وقواعد الزاب.البكري: المصدر نفسه –ص227

[8]- نقاوس: من بلاد الزاب وهي مدينة صغيرة كثيرة الأنهار والثمار والمزارع، منها إلى المسيلة أربع مراحل أو ثلاثلو منا إلى بسكرة مرحالتان حول البربرمن مكنانة بطن زناتة.- اليعقوبي ك المصدر نفسه – ص 190.

[9]- بلزمة: حصن أولي في بساط من الأرض كثير المزارع والقرى وفي أهله عزة ومنعة وله ربض وسوق وأبار طيبة الماء – البكري: المصدر نفسه – ص 190.

[10]- تيجس: مدينة أزلية شامخة البناء كثيرة الكلأ بمقربة من تيفاش عند الإفريقي منها إلى بونة ثلاث مراحل ومنها إلى المسيلة ثلاث مراحل ومنها قسنطينة يومان – - الادريسي: المصدر نفسه – ص 156.

تعود بطون كتامة كلها إلى غرسن ويسودة، فمن يسودة فلاسة ودنهاجة ومتوسة ووريسن[6] و من غرسن مصالة[7] وقلان وماوطن ومعاذ ولهيصة، التي كان منها مهدي بن كناوة اللهيصي أحد أنصار أبي عبد الله الداعي[8]، ودواس بن صولات اللهيصي الذي ولاه الداعي العبيدي على تيهرت[9]، وجيملة ومسالتة التي كان من زعمائها هارون بن يونس، وأجانة التي كان من زعمائها فرح بن خيران وغشمان، وأوقاس[10]، وملوسة ومنهم بنو زلدوي أهل الجبل المطل على قسنطينة[11] وبنو يستيتن وهشتيوة.وعد ابن حزم منهم زواوة بجميع بطونهم[12]، وقد ناصرت كتامة الدعوة العبيدية عند ظهورها بالمغرب الأوسط وبرز منها قيادات حملوا دولتها.

1-4- صنهاجة:

من ولد صنهاج وهو صناك بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم، إلا أن العرب عربته فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاجة ثم أضافوا هاء الجمع الدال على القبيلة فصارت صنهاجة، وينقسمون من حيث الوطن إلى:

- **صنهاجة الشمال:** سكنوا البسائط والسهول وبعض الجبال فيما يقرب الساحل، وكانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وافريقية بالمسيلة إلى حمزة إلى الجزائر ولمدية ومليانة، وربما إلى تاهرت فقد أشارت بعض المصادر إلى وجودهم هناك[13] ومن أشهر بطونهم بالمغرب الأوسط:

---

[1]- ميلة: مدينة أزلية فيها بعض أثار للأول تدل على أنها كانت مدينة كبيرة، كثيرة الخصب رخيصة السعر، على نظر واسع وقرى عامرة، وهي كثيرة الأسواق والمتاجر وبالقرب من ميلة جبل العنصل يسمى جبل بني زلدوي وهم قبائل كثيرة من البربر وهي في الشرق من قلعة بني حماد على أربع مراحل منها – مجهول – الاستبصار ص 166/ الحميري المصدر السابق– ص 569

[2]- قسنطينة: مدينة كبيرة عامرة قديمة أزلية فيها اثار كثيرة للأول وهي حصينة في نهاية المنعة والحصانة بها اسواق وتجار وأهلها مياسير.- مجهول – الاستبصار – ص 165.

[3]- القل: مدينة قديمة فيها أثار للأول وهي على ضفة النهر، وهي مرسى مدينة قسنطينة كثيرة الفواكه والخيرات – مجهول: الاستبصار – ص 127

[4]- جيجل: مدينة قديمة على البحر وهي كثيرة العنب والتفاح والفواكه وعلى هذه المدينة جبل كتامة يسمى جبل بني زلدوي – مجهول: الاستبصار – ص 128.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2-ص 1862 / ابن الوردي تتمة المختصر في أخبارالبشر تحقيق أحمد رفعت البدراوي – دار المعرفة – بيروت – ج1- ص136.

[6]- الإدريسي: المصدر السابق – ص131/ القاضي نعمان – افتتاح الدعوة وابتداء الدولة – تحقيق فرحات الدشراوي – الشركة التونسية للتوزيع – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ط2 – 1986-ص 80.

[7]- توجد بلدة غرب ميلة تسمى فج مزالة بالزاي منسوبة إليهم – محمد الميلي – تاريخ الجزائر في القديم والحديث – مكتبة النهضة الجزائرية - 2004-ص 108..

[8]- القاضي النعمان: المصدر نفسه – ص80.

[9]- ابن عذاري: المصدر السابق – ج1 – ص153/ ابن خلدون: المصدر السابق – مج 1-ص1076.

[10]- توجد بلدة قرب بجاية باسم أوقاس قد تكون منسوبة إلى هذا القبيل.

[11]- ابن خلدون: المصدر نفسه- مج 2-ص 1862.

[12]- ابن الحزم: المصدر السابق – ص501/ ابن خلدون: المصدر نفسه – ص1862.

[13]- يقول الدرجيني " وكان موضع تاهرت ملكا لقوم مستضعفين من منداس وصنهاجة فراودهم عبد الرحمن على البيع " طبقات المشايخ بالمغرب – تحقيق ابراهيم طلاي – مطبعة قسنطينة – ج1- ص 44/ ابن خلدون: المصدر نفسه –مج2-ص1864.

- **بجاية:** سكنت الجبال الواقعة غرب وادي الصومام قريبا من البحر.[1]
- **تلكاتة:** أو وتلكاتة وهي من أعظم قبائل صنهاجة، وهم من أعظم قبائل صنهاجة، وهم بنو تلكات بن كرت وفيهم كان الملك الأول، ومنهم بنو مناد ملك القلعة والمهدية.
- **ملوانة:** وهي تعريب كلمة إيملوان البربرية، وإليهم تنسب حمام ملوان جنوب مدينة الجزائر[2].
- **لمدية:** ولامها أصلية كلام لمتونة ولمطة وإنما أضيفت الألف لما اطلقت على المدينة[3].
- **مزغنة:** أو مزغناي وهي قبيلة مشهورة وإليها تنسب مدينة الجزائر[4] (جزائر بني مزغنة).
- **متنان:** كانت مواطنهم بالعدوة اليمنى لوادي السفلات أحد روافد وادي يسر قرب عين بسام[5].
- **بنو جعد:** ومنهم بقايا قرب البويرة وعين بسام جنوب مدينة الجزائر[6].
- **بنو حميد:** وبقاياهم مندرجون في قبيلة يسر الغربي.
- **بنو خليل:** يعرفون اليوم ببني خليلي، ومواطنهم ما بين بجاية وتيزي وزو[7].
- **بنو عمران:** وتوجد منهم خمس قبائل: بنو عمران الساكنين بالساحل بالعدوة الغربية لوادي يداس على بعد ثمانية عشر كيلومتر شمال غربي بجاية، وبني عمران الساكنين قرب وادي يسر وبلدة الأربعاء جنوب مدينة الجزائر، وبني عمران الساكنين قرب برج منايل وتيزي وزو ومنهم قرب جيجل[8].
- **بني وارث:** ويعرفون بالاسم المبـــربرو بني وارثن، توجد بـــقاياهم بناحية بجاية ويعرفـــون بأبناء وارث.

---

[1]- ياقوت الحموي: المصدر السابق– مج 2-ص 270/ ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1878/ عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق – ص380.

[2]- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق – ص 380.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق –ص 1865.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق– مج2- ص 1865/ مجهول: الاستبصار – ص 132.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج 2- ص 1865/ عبد الوهاب بن منصور: المرجع نفسه – ص331

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج 2- ص 1865/ عبد الوهاب بن منصور: المرجع نفسه – ص331.

[7]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج 2- ص 1865/ عبد الوهاب بن منصور: المرجع نفسه – ص331.

[8]- عبد الوهاب بن منصور:المرجع نفسه –ص 334..

- **أنوغة:** (ونوغـــة) منهم بطن منـــدرج في قبيلة بني مكلا قرب يسر شرق مدينـــة الجزائـــر.
- **بني ورياكل:** وكانت منازلهم بالقرب من بجاية، وعليهـــم نزل المهدي بن تومرت صاحب دعوة الموحدين بملالة[1]، إضـــافة إلى بطون أخرى مثل بني سلـــيم، وبطوية وبني زروال[2].

1-5- عجيسة:

من ولد عجيس بن برنس ومدلول هذا الاسم البطن، فإن البربر يسمون البطن بلغتهم عدس بالدال المشددة فلما عربتها العرب قلبت دالها جيما مخففة[3]،كانوا مجاورين لصنهاجة، ولم يحدد ابن خلدون بطونهم واكتفى بذكر مواطنهم بجبال القلعة والمسيلة، وقد يكون مرد ذلك إلى قلة عددهم أو اندراجهم في قبائل أخرى[4].

1-6- أوريغة:

ويقال لهم كذلك هوارة، وهم ولد هوار بن أوريغ بن برنس، وتعود شعوب هوارة كلها إلى أربعة من ولد أوريغ وهم: هوار ومغر وفلدن وملد[5].

كانت مواطن جمهورهم لأول الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة، فمن بطون ملد بالمغرب الأوسط ورفل ومنها بطن مندرج في قبيلـــــــــــــة أولاد سيدي يحي قرب تبسة[6]،من بطون مغر: منداسة وهم أبناء منداس بن مغر وإليهم ينسب وادي منداس قرب زمورة[7].

ومن بطون هوار بن أوريغ كذلك: زكارة أو زكاوة حسب ابن خلدون وإليهم ينسب جبل زكار بمليانة[8]، وبنو كهلان، وكانت مواطنهم بجبل أوراس ونواحي المسيلة انحاشوا إلى أبي يزيد أثناء ثورته[1].

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق- مج 2-ص 1910./ ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج 4- ص313./ ابن سماك العاملي: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية – دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية – دار الكتب العلمية – بيروت –ط 1 -2010-ص 124./ ابن القطان: نظم الجمان – تحقيق محمد على مكي – دار الغرب الأسلامي – بيروت –ط2- ص1990 – ص 124.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق –ص 1864./ عبد الوهاب بن منصور: المصدر السابق ص 330

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق –ص 1860..

[4]- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق –ص 336.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق –ص 1857/ ابن الحزم: المصدر السابق – يذكرهم باسم هوار، ملك، مقر، فلدن، ص 497.

[6]- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق – ص 316.

[7]- ابن خلدون: المرجع السابق ص 1857/ عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق –ص 316.

[8]- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق –ص 317.

1-7- هكتارة:

وهم سكان الصحراء الذين عرف بهم الجبل (جبل هكتارة او الهقار) وفيهم يقول ابن خلدون:" ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوزوا لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه افريقية ويعرفون بنسبهم هكارة قلبت العجمة واوها كافا أعجمية تخرج بين الكاف العربية والقاف"[2].

2- البتر:

وهم بنو مادغس بن بر، ويلقب مادغس بالأبتر[3]، وتعود قبائل البتر كلها غلى أربعة من ولد زحيك وهم: نفوس وأداس وضري ولوا[4].

كانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما إليها، وهي أول ما فتحه المسلمون[5]، وبشط الجريد وجبل أوراس وبلاد الزاب، وتصعد مواطنهم إلى الشمال وفي جهات تاهرت حتى جبال الظهرة التي يسميها الحسن الوازن جبل مغراوة، ومجرى نهر الشلف، ثم تسير هذه القبائل مغربة حتى تجاوز نهر ملوية، وقبائـــــــــل.

البتر معظمها قبائل بدوية رحالة تجوب المناطق الرعوية حتى تخوم الصحراء، وقد استقر بعضها بمنطقة التل والساحل.

2-1 نفزاوة:

وهم بنو يطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك بن مادغيس، وكانت مواطن جمهورهم الأولى جنوبي شط الجريد، وإليه تنسب بلاد نفزاوة التي تحتوي على عدة مدن وقصور وعمائر مثل بشرى وطرة وإيتملين[6]، ثم تفرقت بطونهم في سائر بلاد المغرب أشهرها.

- **زاتيمة:** وموطنها بساحل برشك[7].

---

[1]- البكري: المصدر السابق – ص 239-240.
[2]- ابن خلدون: المصدر السابق–ص 1857.
[3]- ترى بعض الدراسات الحديثة أن ضريح المدراسن وهو قبر أحد الملوك النومديين قد يكون مشتق من اسم مادغسن جد البتر وهو قرب مدينة باغاية: EF.GAUTIER: OP.CIT – P 220-221.
[4]- ابن خلدون: المصدر السابق– ج2-ص 1842.
[5]- اليعقوبي: المصدر السابق – ص 184/ البلاذري: المصدر السابق – ص 223.
[6]- البكري: المصدر السابق –ص224/ ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج4-ص396.
[7]- برشك: مدينة صغيرة على الساحل بينها وبين تنس ستة وثلاثون ميلا ومنها إلى شرشال عشرون ميلا، بها مزارع الحنطة والشعير: الحميري: المصدر السابق– ص 88/ ابن حوقل: المصدر السابق – ص 78/ الحسن الوازن – المصدر السابق – ج2-ص 32./ الإدريسي: المصدر السابق – ص 112/ ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص1842

- **سوماتة:** التي استقرت فرقة منها قرب مليانة ومن قراها حمام ريغة وبومدفع، ومنها بطن باسمها المبربر يسوماتن من قبيلة بني جناد بجبال زواوة [1].
- **ورغوس:** توجد بقاياها بحوز بسكرة تسمى ودرغوس[2].
- **ولهاصة:** وهي أكبر قبائل نفزاوة سميت باسم أبيها ولهاص بن يطوفت وإلى ولديه ترغاسن (ترغاس، ترغاش) وداحية تنتمي بطونها، ومنهم قبيلة بساحل تلمسان على نهر التافنة[3] مندرجين في قبيلة كومية.

2-2 لواتة:

و هم أبناء لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك بن مادغيس الأبتر، ويذكر النسابون أن أباه تخلفه حملا فسمي باسم أبيه، وينسبون جميعا إلى لوا الأكبر والبربر إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف والتاء فصارت لوات فلما عربته العرب حملوه على الإفراد وألحقوا به هاء الجمع فصارت لواتـــــة[4].

كانت مواطن لواتة بنواحي برقة[5]، واستوطنت معظم شعوب لواتة المغرب الأوسط مع تقدم الفتوحات الإسلامية لاعتبارها أولى القبائل التي صادفها المسلمون أثناء تقدمهم فانساحوا معهم حيث استقر جمهورهم بجبل أوراس[6]، وقد ذكر ابن خلدون أن بعض أمراء القيروان أن نقلهم معه في غزوة وانزلهم هنالك لكنه لم يحدد الفترة التي نقلوا فيها ولا طبيعة الغزوة ومن غير المستبعد أمن يكون ذلك في عهد الولاية لأن عبد الرحمن بن رستم الفارسي (160-171هـ / 776-787م) عندما دخل المغرب الأوسط سنة 144 هـ /761 م وجدهم قرب تيهرت[7]، وهم الذين احتضنوه وبهم أسس الدولة.

تعود بطـــون لواتة كلها إلى أربعـــة من أبنائه وهم ماصـــلت وزائـــر ونيطـــط وكطـــوط.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق –ص1843.

[2]- ابن حزم: المصدر السابق –ص 497./ عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق –ص 307.

[3]- التافنة: نهر صغير يصل إلى أرشقول على ساحل تلمسان على نحو خمسة عشر ميلا: البكري: المصدر السابق –ص 260/ الحسن الوازن: المصدر السابق – ج2-ص 250.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 1843-/ ابن الحزم: المصدر السابق –ص497.: المصدر السابق – ج1 ص 244

[5]- برقة مدينة كبيرة أزلية قديمة واسمها بالاغريقية بنطابلس- تفسيره خمس مدن، بينها وبين البحر ستة أميال: مجهول – الاستبصار – ص143./ الحميري: المصدر اسابق –ص91/ البلاذري: المصدر السابق – ص 221/ اليعقوبي: المصدر السابق – ص 182 / وقد اشار ابن عبد الحكم إلى أن البرب خرجوا وانتهوا غلأى لوبية ومراقية غرب مصر فتفرقوا هناك فتقدت زناتة ومغيلة إلى المغرب وسكنوا الجبال، وتقدمت لواتة فسكنت انطابلس وهي برقة.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص1843.

[7]- البكري: المصدر السابق –ص 249/ ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج 1- ص 226-227.

- **مزاتة:**و هي مــن أكبر قبائل لواتة من ولد زائر، ومن بطونها بلايان، وترنة ومجيجة ودكمة وحمزة ومدونة، ولاتزال فرقة منها معروفة باسمها الأصلي قرب سطيف[1].
- **عزوزة:** من بني ماسلت، منها بقية بمرسى أزفون بجبال زواوة معروفة باسمها الأصلي[2].
- **جرمانة:** منها بطن مندرج في قبيلة بني محمد القريبة من بجاية.
- **مغانة:** يوجد بطن بهذا الإسم مندرج في قبيلة الدواير بحوز وهران، ولهم قرية معروفة بهم أعالي وادي سيبوس جنوب قالمة[3].
- **سدراتة:** وهم بنو نيطط بن سدرات، وقيل إن مغراو وهو من زناتة تزوج أم سدرات فصار أخا لأولاد مغراو لأمهم، لذلك أختلط نسبه بهم، وقد حافظت بعض بطونها على اسمها الأصلي منها بلدة سدراتة قرب برج بوعريريج، ويكون بعضهم قد نزل إلى الصحراء أين استقروا بالزاب[4].

2-3 ضريسة:

وهم بنو ضريس أو ضري بن زحيلك بن مادغيس، وتعود بطونهم كلها إلى ولديه يحي وتمصيت (تمزيت)[5].

أ- **بنو فاتن بن تمصيت بن ضريس:** وهم منتشرون في المغرب تلوله وصحراؤه، يلون صنهاجة غربا ومن بطونهم:

- **كومية:** وهم المعروفون قديما بصطفورة، وكانت مواطنهم لسيف البحر من ناحية أرشكول[6] إلى تلمسان، ولهم ثلاثة بطون منها تفرقت أفخاذهم وهي:
- **ندرومة:** وبهم سميت مدينة ندرومة[1]، ومن ندرومة نغوطة وحرسة وفردة وهفانة وفراتة، ومن بني يلول مسيفة ووتيوة وهبيئة وهيوارة ووالغة، ومن صفارة ماتيلة وبنو حياسة.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – ص 1843/ البكري: المصدر السابق – ص 227/ عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق – ص 304

[2]- عبد الوهاب بن منصور: المصدر السابق –ص 304.

[3]- عبد الوهاب بن منصور: المصدر السابق–ص 305.

[4]- ابن حزم: المصدر السابق –ص 497/ البكري: المصدر السابق – ص230.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 1845./ ابن حزم: المصدر السابق–ص 496.

[6]- أرشكول: مدينة في ساحل تلمسان بينهما فحص طوله خمسة وعشرةدون ميلا، وهي على نهر تافنة، نزلها عيس بن محمد بن سليمان الإدريسي، لجأ إليها الحسن بن عيسى بن أبي العيش صاحب جراوة لما غلبه موسى بن ابي العافية: البكري: المصدر السابق – ص260-263./ الحمري: المصدر السابق –ص26./ الأدريسي: المصدر السابق –ص191./ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق – ص148.

- **لماية:** وهم اكبر قبائل ضريسة وأوفرها عددا، كان جمهورهم على تخوم الصحراء، وهم الذين نزل عليهم عبد الرحمن بن رستم فبايعوه بالخلافة وبنوا له مدينة تاهرت[2]، ومن أهم مراكزهم أرض االسرسو قبلة منداس ونواحي جبل وانشريس، ومن بطونها بنو زكوفة ومزيزة ومليزة.
- **مطماطة:** تعود شعوب مطماطة إلى مطماط بن لوا واسم مطماط مصكاب، ومن أبنائه الثلاثة تفرقت بطون مطماطة وهم: ورماكسن ويلاغف ووريكول، فمن ورماكسن مصمود ويونس ويفرين، ومن وريكلوم كلثام ومسيدة وفيدن، أما يلاغف فمنه دهيا وثابتة ولكل هؤلاء بطون ذكرها ابن خلدون[3] وكانت مواطن جمهورهم بتلول منداس وعند جبل وانشريس[4] وجبل كزول من نواحي تاهرت.
- **مديونة:** كانت مواطن جمهورهم بنواحي تلمسان ما بين جبل بني راشد إلى الجبل المعروف بهم قبلة وجدة، وكان يجاورهم من ناحية المشرق بنو يلومي وبنو يفرن واستوطن بعضهم حول نهر الشلف مابين تنس والخضراء[5].
- **مطغرة:** وهم من أوفر شعوب ضريسة، توجد بطونهم نواحي تلمسان ويتصلون بكومية، لهم قصور متقاربة إلى القبلة منها، وقد انتشرت بعض قبائلهم وسط المغرب الأوسط بين الخضراء وتنس، وقد ذكر البكري أنه في الطريق إلى أشير مدينة لمطغرة تسمى بني جليداش[6].

[1]- ندرومة: مدينة في طرف جبل تاجرة بينها وبين البحر عشرة أميال، لها مرسى مأمون مقصود: البكري: المصدر السابق – ص263/ الحميري: المصدر السابق – ص576.

[2]- تاهرت: مدينتان إحداهما قديمة والأخرى محدثة وهي في سفح جبل على نهر كبيريأتيها من ناحية المغرب يسمى مينا،و نهر أخر يجري من عيون، تسكنها عدة قبائل بربرية مثل لواتة وهوارة وهي في الطريق بين تلمسان والمسيلة.: مجهول – الإستبصار: ص 178

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2-ص 1848.

[4]- وانشريس: وهو على ثلالثة أميال من مدينة مليانة وفي قبلة أفكان، طوله أربعة أيام. ينتهي طرفه إلى قرب تاهرت تسكنه قبائل من البربر منها مطماطة: البكري: المصدر السابق-ص107.

[5]- الخضراء: مدينة بقرب مليانة على مسيرة يوم وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين لذلك سميت الخضراء وهي على نهر الشلف: مجهول – الأستبصار –ص171/ الحميري: المصدر السابق – ص223./ البكري: المصدر السابق –ص258/ ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1849.

[6]- البكري: المصدر االسابق –ص 251./ هناك بلدة تسمى جليدة شرق عين الدفلى وجنوب مليانة قد تكون منسوبة إليهم.

- **مغيلة:** كان جمهورهم عند مصب الشلف في البحر نواحي مازونة[1]، ومن ساحلهم أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، ومن زعمائهم دلول بن حماد الذي اختط بلد إيكري على اثنتي عشرة ميلا من البحر[2]، ولهم كذلك مدينة على البحر تدعي أسلي[3].

ب-البربر البتر من ولد يحي بن ضري بن مادغيس:

1- **قبائل زناتة:** وهم أبناء جانا أو زانا أو شانا بن يحي بن ضري، والبربر إذا ارادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات، وإذا أرادوا الجمع زتادوا مع التاء نونا فصارت جاناتن فأبدلت الجيم زايا محضة فصارت زانات لفظا مفردا دالا على الجنس، ثم ألحقوا به هاء النسبة وحذفوا الألف التي بعد الزاي تخفيفا لكثرة دورانه على الألسنة.

لم يعثر على اسم زناتة ضمن أسماء القبائل الأمازيغية التي وجدت في كتابات المؤرخين القدماء من يونان ورومان، على أنه عثر على كتابة في منطقة شلف وشرشال تدل على أن هذه التسمية كانت موجودة في العصر الروماني، وكانت
تطلق على شخص وهو كلوديوس زناتوس claudius zenatus[41]، لكن من خلال الإسم يتبين أنه اسم روماني، وهو ما جعل نسبته إلى زناتة مستبعدة.

كانت زناتة من أعظم قبائل البربر وأكثرها جموعا، حملت ابن خلدون أن يجعلها في مرتبة شعب أو جيل[5]، حيث خصص قسما مفردا من تاريخه لزناتة وجعلها في مقابل باقي البربر بقوله: " وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها، وهي مشتهرة بنوعها على سائر رطانة البربر "[6]، ويظهر أن الذي دعا ابن خلدون إلى اعتبارها شعبا مستقلا هو الرطانة

[1]- مازونة: قرية اخطها بنو منديل بن عبد الرحمن المغراوي سنة 565 ه /1169 م وهي بالقرب من مستغانم على ستة أميال من البحر وبين جيل في اسفل خندق بها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ولسوقها يوم معلوم / ابن خلدون: المصدر االسابق –مج 2- ص 1849/ الإدريسي: المصدر السابق – ص128-129.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص1849.ذ

[3]- أسلي: مدينة شرقي أرشكول وبمقربة من وهران كانت مدين قديمة عليها سور من صخر ولها نهر يسقي بساتينها، افتتحا عبد الرحمن الناصر الأموي ثم جددها محمد بن أبي عامر عندما حاول ضم بلاد المغرب في إطار صراعه ضد صنهاجة خلفاء الفاطميين: البكري: المصدر نفسه – ص262 / الادريسي: المصدر السابق ص197/ ياقوت الحموي: المصدر نفسه –ص58/ مجهول: الاستبصار –ص134/ ابن خلدون: المصدر نفسه –مج2-ص1849.

[4]- محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الأقصى – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر -1984 –ص15.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق– مج 2 ص 2065 : E.F Gautier op Cit –p 207

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2 ص 2062

المختصة بهم ثم كثرة عددهم بين شعوب البربر حيث يقول: " ولهم شعوب أكثر من أن تحصى "[1].

لكن هذه الملاحظة قد أشار إليها ابن حوقل قبل أبن خلدون بأربعة قرون، فبعد أن ذكر مجموعة كبيرة من قبائل زناتة قال: " ولو قلت أني لم أصل إلى علم كثير من قبائلهم لقلت حقا، إذ البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهورفي شهور والعلماء بأنسـابهم وأخبارهم وأثارهم هلكوا "[2]، أو بسبب عدم انتسابهم إلى االبرب فعندما يذكر ابن حزم سلسلة نسبهم يقول: إن زناتة هو شانا بن يحي بن صولات بن ورتناج بن ضري بن سقفو بن جندواذ بن يملا بن مادغيس بن هوك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حـام بن نوح عليه السلام.[3]

ويكون البربر على هذا الأساس من نسل برنس فقط، والبتر الذين هم بنو مادغيس الأبتر ليسوا من البربر ومنهم زناتة لكنهم إخوة البربر لرجوعهم كلهم إلى محمد بن عون والي الشيعة عليها، ثم زحفا إلى تاهرت فبرز إليهم مسعود الخصي في شيعته من لماية فهزموهم وملكوا تاهرت، وخطب يعلى لعبد الرحمن الناصر الأموي بالأندلس[4]، وهكذا تأسست إمارة بني يفرن.

- **مغراوة:** وهم أبناء مغراو بن يصليتن بن مسرا بن زاكية بن ورسيك بن الديرت بن جانا، وهم من أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغلب منهم، أما مجالاتهم بأرض المغرب فهي من شلف إلى تلمسان إلى جبل مديونة وما إليه، وامتد نفوذهم حتى الزاب مرورا بجبل بني راشد (العمور) والحضنة وجنوب أوراس[5]، ويرى قوتي أن قلب بلد مغراوة هو سهل الشلف[6] .

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق– مج 2 ص 2065.
[2]- ابن حوقل: المصدر السابق – مج 2-ص 103.
[3]- ابن حزم: المصدر السابق – ص 495
[4]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2-ص 2072/ ابن عذاري: المصدر السابق – ج1-ص 198.
[5]- ابن حزم: المرجع السابق –ج1-ص 496/البكري: المصدر السابق –ص230/الحميري: المصدر السباق –ص114/ابن خلدون: المصدر السابق -مج2-ص2077-2095/ محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر -1984-ج1-ص109.
[6]- E.F Gautier:Op cit – p 370

استغلت مغراوة الظروف السياسية وعصبيها القوية فاستفحل ملكها، وعظم شأن سلطانها حيث اسست عدة إمارات في المغربين وفي طرابلس على يد محمد بن خزرو حفدته ومن أشهر بطونهم:

2-4- بنو سنجاق:

كانت مواطنهم قبلة المغرب الأوسط بجبل بني راشد وجبل كريكرة قبلة تاهرت وبعمل الزاب وبعمل الشلف[1]، ومن بطونها بنو غيار نواحي شلف وقسنطينة، وهناك بلدة باسم سنجاس بنواحي شلف قد تكون منسوبة إليهم.

- **بنو ريغة:** وكانوا في جبل عياض وما إليه من البسيط من نقاوس،و إليهم ينسب زاب ريغ[2].
- **لقواط:** وهم فخذ من مغراوة، وكانت مواطنهم مابين الزاب وجبل بني راشد ولهم هنالك قصر مشهور بهم[3].
- **بنو ورا:** وهم فخذ من مغراوة، منهم ببلاد شلف وبناحية قسنطينة.
- **وجديجن:** من ولد ورتنيص بن جانا، كان جمهورهم بمنداس ما ين بني يفرن من جانب الغرب ولواتة من جانب القبلة في فحص السرسو، ومطماطة من جانب الشرق في وانشريس[4].
- **واغمرت (غمرت):** إخوة وجديجن، وكان جمهورهم بالجبال إلى قبلة بلاد صنهاجة من المشنتل[5] إلى الدوسن[6]، وقد أثخن اسماعيل المنصور العبيدي (341-343 ه/ 946-953م) لما شايعوا أبا يزيد في ثورته.
- **بنو واركلا:** وهم ولد فريني بن جانا إخوة يزمرتن ومنجفة ونمالته، وكانت مواطنهم قبلة الزاب حيث اختطوا المصر المعروف بهم[7]، وقد ذكر ابن خلدون بطن أخر مندرج في

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص 2092-2095/ الادريسي: المصدر السابق –ص111/ ابو راس الناصر: المرجع السابق –ج1-ص93.

[2]- ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج2-ص 455.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص 2093./ أبو راس الناصر: - المرجع السابق – ج1-ص 93.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2 ص 2094-2095..

[5]- المشنتل: أم نعثر لها على تعريف..

[6]- الدوسن: إحدى قصور منطقة الزاب إلى الغرب من بسكرة.

[7]- واركلا: أو وارقلان أو وارجلان: وهي كورة ومدينة بين افريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر على اثنتي عشر مرحلة كبار من المسيلة في طرف الصحراء وهي كثيرة البساتين والنخل والخيرات.الادريسي: المصدر نفسه – ص 160.

بني واركلا وهم بنو زنداك، وإليهم هرب أبو يزيد الثائر عند فراره من السجن سنة 325هـ/936م.[1]

- **بنو دمر:** وهم أبناء الغانا الملقبر بدمر بن ورسيك بن الديرت بن شانا، ومن بطونهم بالمغرب الأوسط بنو وانتين بن واريزن بن دمر وبنو يلول، وكانت مواطنهم في البسيط قبلة تلمسان[2].
- **بنو برزال:** وهم احدى بطون ورنيد بن ورنتين بن واديزن بن دمر إخوة يطوفت وصنمار يصدرين (يزدرين) وكانت مواطنهم بجبل سالات بأرض المسيلة والزاب الأسفل[3].
- **بنو ومانو وبنو يلومي:** كانت هاتان القبيلتين من أوفر بطون زناتة وأشدهم شوكة، ومواطنهم جميعا بالمغرب الأوسط، فأما بنو ومانو فكانوا إلى جهة الشرق من وادي مينا وسيرات[4] وبني راشد، وقد حالف بنو ومانو الناصر بن علناس (454-481 هـ/ 1062-1088م) لكنهم انقلبوا عليه لما ظهر أمر المرابطين.
- **بنو واسين:** وهم بنو يصليتن بن مسرا بن زاكيا إخوة مغراوة وبني يفرن وتعود شعوب واسين إلى فرعين هما: بنو ورتاجن ومنهم بنو مرين وبنو بادين بن محمد وهم أربعة بطون عبد الواد وتوجين ومصاب وأزردال، ويضاف إليهم بنو راشد أخو لبادين، وكانت مواطنهم في الصحراء بجبل بني راشد وقصور مصاب قبلة تيطري على خمسة مراحل،

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 2095-2096.
[2]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- 2097.
[3]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2- ص 2097./ مجهول: الاستبصار – ص 172 / ابن حوقل: المصدر السابق – ص 85.
[4]- سيرات: فحص تحت قلعة هوارة طوله نحو اربعين ميلا يشقه نهر سيرات، يقع في البحر عند مدينة أزواوا الروض المعطار ص 470./ لا تزال سيرات معروفة وهي قرب مستغانم.

وتذكر المصادر أنهم كانوا بجبل أوراس لأول الفتح حيث استعان بهم عقبة بن نافع[1] عند غزوه لفتح المغرب الأقصى[2].

- **بنو ورصطف بن يحي:** وهم ثلاثة بطون: مكناسة وأوكتة وورتناج[3].

مكناسة: وهم ابناء مكناس بن ورصطف بن يحي بن ضري، ولمكناسة بطون كثيرة منها صولات وبنو ورفلان وبنو وريدوس وقنصارة وورنيفة ووريفلتة.

كانت مواطنهم على وادي ملوية[4] ومن لدن أعلاه بسلجماسة[5]، إلى مصبه في البحر على حدود المغربين. أما مواطنهم بالمغرب الأوسط فكانوا قرب تاهرت ناحية الجوف والشرق، بجبل وانشريس وحول مدينة تلمسان[6]، ويظهر أنهم كانوا موجودين بهذه المناطق مع مطلع القرن الثاني الهجري / الثامن ميلادي على الأقل حيث انتحلوا المذهب الخارجي الذي ظهر في هذه الفترة كحركة مناوئة للسلطة الاموية وولاتها بالمغرب، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " وكانت مطماطة ومكناسة وزنـــاتة جميعا في ناحية الجوف والشرق وكانوا جميعا على دين الخارجية وعلى رأي الإباضية منهم "[7].

[1]- عقبة بن نافع: بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن فهر بن مالك ولد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة ولاه معاوية بن أبي سفيان على افريقية سنة ست واربعين فغزاها في عشرة ألاف، اختط مدينة القيروان، ثم صرف عنها واعيد إليها ثانية سنة اثنتان وستين، قتله البربر بمقربة من تههودة سنة 63ه/682 م / ابن الحزم: المصدر السابق ص – 176-177.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج2- ص 2101.

[3]- ابن حزم: المصدر السابق – ص 2101/ يحي ابن خلدون: المصدر السابق – ص 186-187.

[4]- نهر ملوية: نهر كبير يتصل بوادي صا وزيز، يصب في البحر ما بين جراوة ومليلة / ابن حوقل: المصدر السابق – ص 88/ ابن سعيد: المصدر السابق – ص 40.

[5]- سلجماسة: من أعظم مدن المغرب على طرف الصحراء، وهي على نهر يقال له زيز بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة منها إلأى غانا مسيرة شهرين، وهي طريق معدن الذهب، ومدينة سلجماسة محدثة بنيت سنة 140ه /758 م.

[6]- الحميري: المصدر السابق –ص 600. يرى إبراهيم حركات أن مواطنهم الاصلية كانت في المغرب الاوسط حيث يقول: ولا يعرف بالضبط متى دخلت هذه القبيلة إلى المغرب الأقصى، بيد أن مواطنها الاصلية كانت في المغرب الأوسط. لكنه يستطرد قائلا: وقد وجد قادة الفتح الاسلامي عناصر كثيرة منها في سهول ملوية.المغرب عبر التاريخ من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين – نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء –1984 –صج1-ص139.

[7]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1846.

- **بنو سمكان:** وتعود بطون سمكان إلى ثلاثة من ابناء زواغ بن سمكان بن يحي ويعرفون بزواغة،و مواطنهم في جهات قسنطينة، ولهم حول نهر الشلف وبجاية بطن يعرفون ببني واطيل، ولهم مدينة هناك تسمى شلف بني واطيل، وتوجد بعض بطونهم كذلك بناحية فج مزالة قرب ميلة[1].

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1852/ البكري: المصدر السابق – 251.

الفصل الثاني

التحركات والهجرات القبلية والسكانية خلال القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي

تمهيـــــــــد

- أسباب التحركات والهجرات
- الصراع القبلي
- طبيعة الحياة: (حياة الرعي)
- الظروف السياسية
- السياسة العبيدية ودورها في حركة الهجرة
- الصراع العبيدي الأموي وأثره
- ثورة أبي يزيد وأثرها في الهجرة
- السياسة المالية العبيدية وأثرها
- رحيل العبيديين ودوره في حركة الهجرة
- الهجرة وإتجاهتها
- الهجرة إلى المغرب الأقصى والأندلس
- الهجرة نحو المشرق – مصر -
- أسباب هجرة كتامة
- هجرة قبيلة هوارة
- هجرة قبائل زناتة
- نحو المغرب الأقصى
- هجرة بني يفرن
- هجرة مغراوة
- هجرة بني خزر المغراويين إلى طرابلس
- الهجرة إلى الأندلس

تمهيــــد:

من الظواهر الاجتماعية التي لازمت البشرية منذ القديم تنقل الإنسان من مكان إلى أخر بحثا عن مجال ملائم للحياة يوفر له الطعام والأمن، أو من أجل التوسع، أو تحت ضغط ظروف طبيعية وبيئية كفترات الجفاف أو سياسية واجتماعية، ولا شك أأن بلاد المغرب لم تكن بمنأى عن هذه الظاهرة، وإذا كان كذلك فما هي الظروف والأشكال التي تمت فيها هذه التحركات والهجرات ؟، وما ابعادها واتجاهاتها وتأثيراتها ونتائجها بالنسبة للمغرب الأوسط ؟، هذه الأسئلة سنجيب عليها مع إيجاد تفسيرات لها من خلال فصول هذا البحث.

بداية لابد من تعريف هذه الظاهرة فنقول أن الهجرة لغة الترك والمغادرة أو الخروج من أرض إلى أرض أخرى، ويعرفها علماء الإجتماع بأنها انتقال أفراد بصورة دائمة أو مؤقتة إلى الأماكن التي تتوفر فيها سبل الكسب والعيش، بإرادة الفرد والجماعة أو بغير إرادتهم أي اضطرارا، وقد تحافظ القبيلة أو أفرادها أثناء ذلك إلى اسمها الأصلي أو تندرج ضمن قبيلة أخرى.

أما التحرك فهو كذلك ظاهرة اجتماعية تحدث غالبا داخل الإقليم بصفة اعتيادية وتلقائية حسب الظروف الطبيعية ونشاط الإنسان، وبخاصة ما تعلق بنظام الاستيطان القبلي، حيث عادة ما يكون لكل قبيلة مجالين تتقلب فيهما ما بين السهول والأودية إلى الجبال والتلول شتاء وصيفا، لكن ليست هذه الأسباب وحدها دائما هي التي تؤدي إلى التحرك والهجرة، فثمة أسباب أخرى لهذه الظاهرة يمكن أن نوجزها فيما يلي:

- **أسباب التحركات والهجرات**

الصراع القبلي:

شكل الصراع القبلي أحد العوامل الرئيسية للحركة والهجرة، فطبيعة الحياة القائمة علي القبيلة فرضت نزاعات كانت لها أحيانا عواقب وخيمة على مصير القبيلة، والذي عادة ما تغذيه العصبية التي كانت سمة المجتمع وأحد ركائز النظام الإجتماعي في العصر الوسيط القائم

على التحالفات والتناصر بين القبائل ذات العصبية الواحدة، فقد يسبب أحد أفرادها حروبا تمتد إلى قبيلتين أو أكثر وهو ما يكون فيه هجرة إحداها إذا
ما أحست بالضعف أو الخطر فتغير مكان إقامتها مضمرة الشر، متحينة الفرصة للإغارة، فيصدق قول الشاعر دريد بن الصمة:

وما أنا إلا من غزية إذ غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد.

يصور ابن خلدون ذلك بقوله: " لا يصدق دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانو عصبية وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم يخشى جانبهم إذ نعرة[1] كل واحد على نسبه وعصبيته أهم "[2].

وقد تكون هذه الصراعات مصطنعة لتحقيق أغراض سياسية واقتصادية، إذ لدينا مثالا على ذلك في عهد ولاية أفلح بن عبد الوهاب الرستمي[3] حيث كانت القبائل المنتشرة حول تاهرت لما اكتسبت الأموال واتخذت العبيد والخيول ونالها من الكبر ما نال أهل المدينة، فخاف افلح أن تجتمع الأيدي عليه وتزيل ملكه فأرش[4] ما بين كل قبيلة ومجاورها، فأرش بين لواتة وزناتة، وما بين لواتة ومطماطة... حتة تنافرت النفوس ووقعت الحروب[5]، وهو ما يؤدي إلى بقاء الأحقاد في النفوس التي تنتظر أي فرصة أو سبب للأخذ بالثأر.

ويؤكد ذلم ابن الصغير قائلا: " وبقيت تلك الضغائن في الصدور إلى أن اخترمته المنية "[6]، وفعلا كانت نتيجة ذلك اندلاع حرب فيما بعد بين وجديجن ولواتة بسبب امرأة نكحت فى لواتة فعيرنها نسوة هذه الأخيرة بالفقر فكتبت إلى زعيم قبيلتها – عنان – تذمره [7]، فغضب واستجاش بأهل عصبيته من زناتة وجيرانه[8]، فتشكل حلف قبلي ضم بني يفرن بزعامة يعلبن محمد، ومغيلة بزعامة كلمام بن حياتي ومطماطة بقيادة غزالة، ودارت بينهم الحرب مليا فانهزمت لواتة إلى جبل كريكرة قبلة تاهرت، وكانت تسكنه أحياء من مغراوة بزعامة شيخ يقال

---

[1]- النعير: الصراخ والصياح في حرب أو شر – ابن منظور: المصدر السابق: لسان العرب –مج 3-ص 786.
[2]- ابن خلدون: المقدمة – الباب الثاني – الفصل السابع – ص102.
[3]- أفلح بن عبد الوهاب – ثالث الأمة الرستميين، بويع في اليوم الذي توفى فيه والده (208-258ه/823-871م).
[4]- الأرش: الخصومة، وبينهما أرش أي اختلاف وخصومة – الفيروز الأبادي: المصدر السابق –ص536.
[5]- ابن الصغير: المصدر السابق –ص63.
[6]- ابن الصغير: المصدر السابق –ص64.
[7]- الذمر: الملامة والحض والتخهدد والذمار ما يلزمك حفظه وحمايته، والتذامر التحاض على القتال – الفيروز الأبادي: المصدر السابق –ص358.
[8]- ابن خلدون: المصدر السابق مج 2-ص 1844-ص2094

له علاهم، فلما لجأوا إليهم غدرو بهم، ومن غير المستبعد أن يكون ذلك بايعاز من الحلف الزناتي السابق، فتظاهروا جميعا عليهم إلى أن أخرجوهم عن أخر مواطنهم فساروا شرقا حيث استقروا بجبل دراك، وجبل يعود المطلة على متيجة نواحي التيطري فعمروا تلوله وورث وجديجن مواطنهم بمنداس.

ومن مظاهر هذا الصراع أيضا الحروب التي كانت تقع بين القبائل من أجل المجال للتوسع خاصة إذا شعرت القبيلة بالقوة فإنها تحاول إزاحة ما جاورها من القبائل، ومن ذلك أن مطماطة حاربت منداس، فلما غلبوهم أخرجوهم واعتمروا مواطنهم[1].

طبيعة الحياة: (حياة الرعي):

يعد المغرب الأوسط بلد تربية ماشية نظرا للبيئة الطبيعية والمناخية، ولذلك كان معظم السكان يزاولون هذا النشاط في التلول الشمالية والسباسب أطراف الصحراء، وقد أكد صاحب الاستبصار ذلك بقوله: " وهي كثيرة الخصب والزرع، كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها "[2]وقد وصفها معظم الجغرافيين كالبكري وابن حوقل بطيب مراعيها وكثرة مواشيها[3]، وقد ذكر النويري أن الناس كانوا يتبادلون بها عوض العملة[4].

لعبت الظروف المناخية وتنوع البيئة دورا هاما في رسم حركة السكان تنقلاتهم عبر المناطق خلال فصول السنة، ففي فصل الصيف عندما تشتد الحرارة وينقرض العشب في السهوب ينتقل هؤلاء إلى الشمال في التلول والجبال حيث يتأخر نمو العشب ويكون الطقس لطيفا فيصعد الرعاة بخيامهم وماشيتهم إلى أعالي الهضاب والجبال، وعندما تفقد هذه المراعي الكلأ يعودون إلى مواطنهم، وهكذا فهم طوال حياتهم في حركة مستمرة نزولا وصعودا، فحياة قطعانهم هي حياتهم، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الأغلب لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم، فالتقلب في الأرض أصلح بهم

1- ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص1849
2- مجهول: الاستبصار: ص 179.
3- البكري: المصدر السابق – ص232-234-ص239-ص240-ص241-ص247.
4- النويري: المصدر السابق –ص305

ويسمون شاوية.. وأما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعنا وأبعد في الفقر مجالا.. وفي معناها ظغون البربر وزناتة بالمغرب"[1].

كثيرا ما كانت هذه الحركة تسبب مناوشات بين القبائل حول مجال الرعي، فعندما تتدهور المراعي نتيجة الرعي المفرط تضطر القبائل إلى مغادرة المجال بقطعانها إلى فضاءات أخرى نحو الشمال أو إلى أطراف الصحراء بحثا عن غذاء لماشيتها، فتصطدم بقبائل أخرى قد تعيدها على أعقابها إلا إذا دفعت مغرما أو تفاوضت على اقتسام المراعي، وعليه فإن النمط الاقتصادي لحياة السكان قد فرض عليهم هذه التحركات.

الظروف السياسية:

يعتبر تأسيس الدولة العبيدية في بلاد المغرب حدثا سياسيا بل عاصفة حلت بالمنطقة، ويصف ذلك حسين مؤنس بقوله: " فقد كانت الدولة الفاطمية في حقيقتها إعصارا عنيفا هب على بلاد المغرب كلها فقضى على ما كان قائما من الدول في افريقية والمغرب، وأثار القبائل بعضها على بعض لما ألقى من الفتن بينها "[2]، حيث ساهمت في ظاهرة الحركة والهجرة.

وفعلا كان العصر العبيدي عصر صراعات سواء بين القبائل والسلطة التي حاولت إخضاعها بشتى الطرق، أو فيما بين القبائل بما أورثته من نزاعات نتيجة الاختلاف المذهبي، أو رغبة في إثارة الإضطرابات، والعمل على استمرارها لتحقيق أهدافها السياسية، وما يهمنا في هذا المقام هو كيف ساهم العبيديون في تهجير وتحريك السكان والقبائل ؟ سواء داخل المغرب الوسط أو منه نحو المغرب الأقصى والأندلس والمشرق وذلك أثناء تواجدهم ببلاد المغرب وحتى بعد استقرارهم بمصر.

السياسة العبيدية ودورها في حركة الهجرة:

لم يكن هدف العبيديين من خلال دعوتهم تأسيس دولة محلية إقليمية على غرار الدويلات التي قامت في بلاد المغرب كالرستميين أو الأغالبة والأدارسة، بل كان هدفهم إقامة خلافة إسلامية شيعية شاملة، وقد اعتمدوا في تحقيق أهدافهم على القوة العسكرية بشن حملات لإخضاع

[1]- ابن خلدون: المقدمة –ص97.
[2]- حسين مؤنس: المرجع السابق-ص445.

القبائل ومحاولة إقناع السكان بالمذهب الشيعي الإسماعيلي، أو حتى فرضه بالقوة[1]، كما اتبعت أساليب اقتصادية وسياسية لهذا الغرض، ولا يبدو أنهم حققوا نتائج حاسمة حيث كان الصراع المسلح والحملات المضادة لمذهبهم سيدة الموقف، وعلى العموم فإن هذه السياسات والأساليب كانت من أهم عوامل تحرك السكان وهجرتهم والتي تجسدت في:

القضاء على الدولة الرستمية:

لم يتأخر أبو عبد الله الداعي في دخول مدينة تاهرت حيث انتهبها وانتهك حرمتها وأجلى كثيرا ممن فيها[2] عندا غادر سكان المدينة وبخاصة الإباضية منهم كقبائل لماية ولواتة ومطماطة حيث لجأوا إلى أطراف الصحراء ومنطقة الزاب كواركلا وسدراتة.

لم تتوقف هجرة أهالي تاهرت عند سقوط مدينتهم بل تواصلت بسبب إجلاب عساكر العبيديين عليهم، ولا سيما أن هذه المدينة كانت نقطة محورية ومركز تجاذب بينهم وبين بني خزر الزناتيين، يستولي عليها هؤلاء تارة ويسترجعها أولئك تارة أخرى، إذ شهدت عدة معارك إلى أن كان سقوطها النهائي في يد جوهر السقلي إثر حملته على المغرب سنة 347 هـ/958 م، وقد صور ابن حوقل ما عانته المدينة قائلا: " وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه، وأهلها وجميع من قاربها من البربر فقراء بتواتر المحن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت".[3]

الإضطهاد المذهبي: لا شك أن الاختلاف المذهبي بين العبيديين والمذاهب الأخرى من سنة وخوارج قد أجج الصراع بينهم وبين هؤلاء المخالفين لهم، لا سيما أن العبيديين كانوا يعملون على نشر مذهبهم بشتى الوسائل وذلك بسجن المخالفين لهم بتعذيبهم أو تصفيتهم جسديا[4]، ومنع الإفتاء بغير مذهبهم.

---

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق –مج2-ص1571./ تذكر بعض المصادر انه في سنة 315ه/927 م شن القائم حملة ضد زناتة ونبي كملان وكيانة بقيادة جعفر بن عبيد فحاصرهم بقلعة عقار، واحاط بهم الجيش من كل ناحية وقاتلهم أبرح قتال واحرقوا ديارهم ونهبوا ما كان في القلعة من النعم والخيول والأثاث – الداعي إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب – تحقيق محمد اليعلاوي – دار الغرب الإسلامي – بيروت –ط2-2006-ص216-217.

[2]- أبو زكريا: المصدر السابق –ص112/ الدرجيني: المصدر السابق –ج1-ص94

[3]- ابن حوقل: المصدر السابق – ص 93.

[4]- كان من ضحايا سياستهم المؤذن عروس الذي قتل سنة 307ه/919م لأنه لم يقل في الأذان –حي على خير العمل – البيان – المغرب: ج1-ص216 –ص 182-ص 183-ص 159. علي يحي معمر: الإباضية في الجزائر – مطبعة الدعوة الإسلامية – مكتبة وهبة – القاهرة – ط1-1969 –ص 265.

ولئن كانت هذه السياسة قد طبقت في افريقية مركز السلطة، فمن غير المستبعد أنها امتدت إلى أطراف الدولة وفي مدن المغرب الأوسط بالذات والتي حزت نفوس أهل السنة وحتى الخوارج وجلبت الحنق على الخلفاء العبيديين ومذهبهم وكل من اتصل بهم، وكانت ردود أفعالها المضادة الهجرة من الأراضي الخاضعة لسلطتهم، وقد أورد القاضي عياض في ترجمة أعيان المذهب المالكي أن الإمام أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد وبقائهم بين أظهرهم[1]، هذا الموقف يكون قد شجع بعض العامة على الخروج من المناطق والمدن الخاضعة للهم أو الثورة عليهم، والتي ستؤدي في الأخير إلى نفس النتيجة من الجلاء والهجرة، وقد وجد هؤلاء في ثورة أبي يزيد خير نصير لهم فانضموا إليه بعد استمالهم ورجوا فيه الخير[2] ورغم ما شكلته هذه الانتفاضة من تهديد حقيقي للوجود العبيدي في بلاد المغرب إلا أن نهايتها قد أقلقت القبائل الثائرة لأنها جلبت لهم الانتقام بعد فشلها ومقتل زعيمها، إذ شن العبيديون حملات عسكرية انتقامية ضد القبائل الثائرة التي فر بعضها إلى الصحراء.

❖ **نظام الضيوف والرهائن:** وهو إجراء قام به خلفاء بني عبيد يتمثل في نقل أفراد أو قبائل من مواطنها وتوطينها بافريقية[3] لتكون قريبة من مركز السلطة وذلك لمراقبتها أو إتخاذها كوسيلة ضغط حتى لا يفكر أهالي الرهائن في الثورة وهو ما يعتبر في الحقيقة تهجيرا قسريا للسكان.

طبق هذا الإجراء لاول مرة مع أهل جبل أوراس، ويظهر أن العبيديين كانوا يخشون سكانه لامتناعهم وحصانة موطنهم وهو ما كان يشعر به السكان أنفسهم ويعتبرونه أحد أسباب قوتهم، وقد وصف ابن سعيد سكان هذا الجبل بقوله: " وسكانه أهل دعارة وعصيان لا يدخلون تحت طاعة السلطان لامتناع حبلهم العريض الطويل، ولما عندهم من الخيل والرجالة والأسلحة

1- القاضي عياض: المصدر السابق – مج2-ص 228-229.
2- ابن عذاري: المصدر السابق – ج1-ص 216.
3- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق – ج3-ص 111.

وأهله خوارج "[1]. ففي سنة 310 هـ/ 922 م أمر أبو معلوم فحلول الكتامي أحد قواد المهدي سكان أوراس برفع عيالاتهم[2] في مجاولة لبسط نفوذه على المنطقة، وربما كان يتوقع منهم الثورة فأراد أن يعجل بطاعتهم قبل أن يحدث ما يخشاه منهم.

لقد كان الهاجس الأمني أحد انشغالات العبيديين، فكثيرا ما كان هؤلاء يجهزون الحملات العسكرية للقضاء على الثورات وإخضاع القبائل المناوئة كمغراوة ومزاتة وهوارة ومطماط، ففي إحدى الحملات التي قادها أبو القاسم القائم سنة 315هـ / 927 م، وعند عودته نقل بني كملان إلأى القيروان، ذكر الداعي إدريس أنه لما جاءه هؤلاء أمرهم أن يسيروا بعيالهم ويسكنوا المهدية[3]، ُم إختط مدينة المسيلة فانتقل إليها خلق كثير[4].

يتضح من أن العبيديين عمدوا إلى إخلاء المغرب الأوسط من القبائل التي كانت تهدد وجودهم في المنطقة ولو بتخريب المدن[5]، وهو ما اضطر السكان إلى مغادرة هذا المدن، وفي المقابل قام العبيديون بتعمير بعض المدن التي ا،شأوها ولاسيما في افريقية.

على قبيلة كتامة أربعة عشر ألف بيت يوافون المنصورية فيسكنون فيها، ثم رحل إلى ميلة حيث وافته حشود كتامة بعيالهم فأنفذهم إلى افريقية[6].

كان هدف المنصور من هذه العملية هو تعمير افريقية وتكوين جند وحرس من هؤلاء، وتعزيز قواته في مركز السلطة لمواجهة أي خطر محتمل مستقبلا، ومن جهة أخرى إخلاء المغرب الأوسط من القبائل المتمردة للسيطرة عليه، وففي المقابل تم إنشاء مدن في العمق مثل المسيلة وأشين للمراقبة وقطع الطريق عن هذه القبائل.

---

[1]- ابن سعيد: كتاب الجغرافيا – ص 145./ الالمقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلف-ج1-ص 93.

[2]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج 1-ص187. والمهدية مدينة محدثة بساحل أختطها عبيد اللله المهدي سنة 300 -303ه/ 912-915م ونسبها إلى نفسه بينها وبين القيروان ستون ميلا، وظلت المهدية القاعدة افريقية ودار ملكها إلى أن استولى عليها النورمان سنة 543ه/1148م الحميري: المصدر السابق-ص561-562/ مجهول: الاستبصار –ص117-118./ ياقوت الحموي: المصدر االسابق – مج4-ص 345-346/ ابن الوردي – فريدة العجائب وفريدة الغرائب – المصدر السابق ص29/.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج1-ص 1077-1078/ ابن الاثير: المصدر السابق –ج1-ص1618.

[4]- ابن الاثير: المصدر نفسه –مج 2-ص 1818./ ابن عذاري: المصدر نفسه – ج1-ص 191./ القاضي النعمان: المصدر السابق – ص 321.

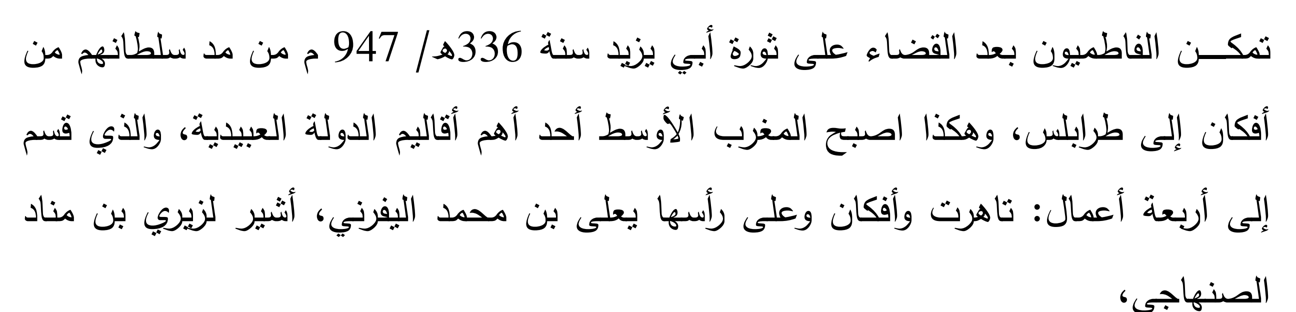
[5]- في سنة 324ه/935 م قام علي بن حمدون بتخريب مدينة أدنة وهي مدن الزاب بينها وبين المسيلة اثنتا عشر ميلا وعلى مرحلتين من طبنة وهي مدينة رومية قديمة كانت دار ملك لهم فتحها عقبة بن نافع سنة 62ه/681 م في ولايته الثانية: الحميري: المصدر السابق – ج1-ص 28/ مجهول: الاستبصار – ص 175.

[6]- الداعي إدريس: المصدر السابق –ص467-468- وإذا تمت هذه العملية فعلا فستكون من أكبر الهجرات التي عرفها المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري.

وبالقضاء على ثورة النكار انكسرت شوكة زناتة وانزاحت أعداد كبيرة منها إلى الغرب كهجرة بني يفرن إلى تلمسان[1].

استمرت عملية التهجير في عهد المعز لدين الله الذي افتتح خلافته سنة 341هـ/952 م بمحاولة بسط سلطة الدولة على جبل أوراس والانتقام من الهواريين الذين احتضنوا ثورة أبي يزيد فانفذ إليهم الجيوش بقيادة بلكين بن زيري، والتقوا عند مدينة باغاية فهزمهم وفرق جموعهم وشتتهم فتفرقوا أيادي سبا وتبددوا في بلاد الزاب وغيرها، ومنهم من وصل إلى بلاد السودان فأقام بها فما التقى منهم رائح بمبكر[2].

الصراع العبيدي الأموي وأثره:



تمكـــن الفاطميون بعد القضاء على ثورة أبي يزيد سنة 336هـ/ 947 م من مد سلطانهم من أفكان إلى طرابلس، وهكذا اصبح المغرب الأوسط أحد أهم أقاليم الدولة العبيدية، والذي قسم إلى أربعة أعمال: تاهرت وأفكان وعلى رأسها يعلى بن محمد اليفرني، أشير لزيري بن مناد الصنهاجي،

المسيلة وما والاها وعليها جعفر بن علي بن حمدون، باغاية وعليها جوهر الصقلي[3].

لكن هذا الاستقرار لم يدم طويلا إذ سرعان ما بدأت الاتصالات بين يعلى والخليفة الأموي سنة 347هـ/658 م، ونقض أهل المغرب الأقصى طاعة الشيعة، هذه المستجدات كانت سببا لشن حملة ضد المغربيين حيث أنفذ المعز قائده جوهر على رأس حملة من عشريان ألف مقاتل كلهم من كتامة وصنهاجة[4] بمساعدة زيري بن مناد وجعفر بن علي وقتل يعلى بن محمد وخربت مدينته أفكان، وفر من نجا من القتل من زناتة أمامه إلى المغرب الأقصى،

[1]- ابن خلدون: المصدرالسابق –ص 2072.
[2]- ابن حماد الصنهاجي: المصدر السابق – ص 48-49- وقد يكون هؤلاء المهاجرين أحم عوامل انتشار الإسلام في بلاد السودان.
[3]- ابن خلدون: المرجع السابق ص 1082.
[4]- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس – دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط -1982-ص89.

وبخاصة بنو يفرن الذين لم يعد لهم وجود إلا في المغرب الأقصى حيث استقروا بمدينة سلا[1]، كما التحق الكثير منهم بالاندلس حيث خدموا عسكر محمد بن أبي عامر[2].

لا شك في أن قيام دولتين متجاورتين على أسس مذهبية وفكرية وسياسية متباينة كان كافيا لنشوب صراع وصدام بين القوتين، فالعبيديون كانوا ينظرون إلى أمراء الأندلس على انهم امتداد للخلافة الأموية العدو التقليدي، التي يجب أن تزال، وفي حين كان الأمويين يرون أنفسهم أصحاب الخلافة الشرعية، وأن توسع العبيديين في المغربين يشكل خطرا يهدد مصالحهم في المنطقة، ويمكن أن يمتد إلى الأندلس ذاتها ولذلك وجه الخليفة عبد الرحمن.

ثورة أبي يزيد وأثرها في الهجرة:

في الوقت الذي كانت فيه جيوش العبيديين تقاتل القبائل المتمردة في المغربين الأوسط والأقصى لإقرار الأمن، برزت ثورة الخوارج بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد[3] سنة 332 هـ/943 م التي كانت أثارها البشرية خطيرة حيث قتل فيها الألاف، وارغمت الكثير من القبائل والسكان على الهجرة، وفي غمرة المعارك استأمن بنو كملان لاسماعيل المنصور فأمنهم على شرط سكنى عيالهم بالقيروان[4] حيث يكونون قريبا منه.

لم يكد المنصور يستريح من قتال أبي يزيد حتى ثار عليه حميد بن يصل المكناسي[5] سنة 336هـ/947 م، فخرج إليه المنصور بالعساكر رفقة زيري بن مناد فغادر المدينة والتحق بالاندلس.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2073.رسلا مدنتان قديمة أزلية تسمى شالة أو شلة فيها أثار للأول والثانية على ضفة البحرو هي حصينة اختطها عبد المؤمن بن علي / مجهول: الاستبصار –ص 140-141./ الإدريسي: المصدر نفسه –ص90-91.

[2]- تذكر بعض المصادر: أن سبب جواز بني يفرن مهلك أميرهم يدو بن يعلى، لكن الذي قتل في المعركة هو والده يعلى وليس يدو، أما ابن خلدون فيذكر مرة أن يدو فر إلى المغرب، ومرة أخرى أنه أسر –ص2073. أما ابن الأثير فيقول أنه بعد مقتل يعلى أخذ ابنه وكان صبيا لم يذكر الإسم،و الصحيح في مفاخر البربر –ص107-ص148 / ابن الوردي:تتمة المختصر:ج1-ص429.

[3]- مخلد بن كيداد: هو ابن كيداد من مدينة توزر من قسنطينة، كان والده يختلف إلى بلاد السودان بالتجارة فاشترى منها أمة تسمى سبيكة فولدت منه أبا يزيد هذا، نشأ بتوزر وتعلم بها على مذهب الإباضية النكار فلما هدده ابن فركان مقدم توزر انتقل إلى تاهرت معلما الصبيان، ثم إلى تقيوس، ثم أخذ نفسه بالحسبة وتغيير المنكر سنة 316ه/928 م ولما مات المهدي سنة 328ه/943 م. خرج بناحية أوراس ضد العبيديين وذلك سنة 333ه / 944م، واستولى على بعض المدن والحصون، وأهداه رجل من أهل مرماجنة حمارا أشهب يركبه فلقب بصاحب الحمار، كان له أربعة من البنين هم يزيد المكنى به أبو يزيد ويونس وأيوب والفضل الذي حارب العبيديين بعد مقتل والده سنة 336ه/947 م تنظر ترجمته: ابن حماد: اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم – تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي. المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر -1984 –ص29.

[4]- ذكره ابن حماد فقط سنة 333ه / 944 م ص 47./ أما ابن خلدون فيقول إنه في سنة 335ه/946 م استأمن هوارة فأمنهم المنصور – مج 1 ص1081.

[5]- حميد بن يصل: أحد رجال مكناسة وقادتها خدم المهدي العبيدي ثم ابنه القاسم حيث كان عاملا لهما على مدينة تاهرت، استغل انشغال العبيديين بثورة أبي يزيد فانحرف عن طاعتهم واستقل بالمدينة مواليا للمروانيين- ابن خلدون: المصدر السابق – مج1-ص 1081/ الداعي إدريس: المصدر السابق –ص465-466.

توجه المنصور بعدها لقتال لواتة فهربوا من أمامه إلى الرمال والبراري المتصلة بـأرض السودان، وتكون بعض بطونهم قد لجأت إلى المغرب الأقصى واستقرت قرب تادلا نتيجة لهذه المطاردة، وأثناء عودة المنصور من تاهرت توقف بالمسيلة ثم سطيف التي أقام بها شهرا وفرض الناصر[1] اهتمامه إلى استقطاب الحلفاء والأنصار من رؤساء القبائل وأمراء المغرب لتكوين قاعدة موالية له، فحرضهم على التحرش بالفاطميين وسمح بلجوء الفارين منهم إليه ولا سيما بعد أن أعلن صفة الشرعية لدولته، وسما له أمل في ملك العدوة فخطب ملك الأدارسة وزناتة سنة ست عشرة وثلاثمائة (316هـ/928م)، فبادر محمد بن خزر إلى إجابته، وطرد أولياء الشيعة من الزاب وملك شلف وتنس من أيديهم، وملك وهران وولى عليها الخير بن محمد، وبث دعوة الأموية في أعمال المغرب الأوسط ماعدا تاهرت [2]، وهو ما اعتبره العبيديون تعديا على حق من حقوقهم ففرضوا قتاله.

إذا كان الصراع بين الأمويين في الاندلس والعبيديين في المغرب صراعا مذهبيا وسياسيا فإن تنفيذه عسكريا كان بيد حلفائهما، زناتة بالنسبة للأول، وكتامة وصنهاجة بالنسبة للثاني، ويظهر أ أكثر المتضررين هم القبائل الزناتية التي عاشت حالة عدم استقرار فظلت في حركة تنقل بين أقطار بلاد المغرب أو هجرة إلى الأندلس.

رد العبيديون على هذا التقارب والتحالف بشن حملات عسكرية منها الحملة التي قادها حميد بن يصل سنة 321هـ/933 م إلى تاهرت فأجفلت[3] أمامه ظواغن زناتة ومكناسة ثم اردفها بحملة أخرى قادها ميسور الخصي في السنة الموالية (323هـ/934م) ثم انشغل الشيعة بفتنة أبي يزيد التي استغلها محمد بن خزر وقومه مغراوة فاستولوا على أهم أعمال المغرب الأوسط وتاهرت سنة 33هـ/944 م[4]، واستمر الصراع بعد القضاء عل ثورة أبي يزيد

[1]- عبد الرحمن الناصر: هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرخمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وأعظم بني أمية بالمغرب سلطانا , اطولهم في الخلافة (300-350ه/912-961 م) وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين كان كثير الغزوبنفسه إلى دار الحرب – تنظر ترجمته: ابن الابار: المصدر السابق – ص 115/ االحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس – الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة -1966-ص12-13./ المقري: نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مكتبة التجارية – مصر –ط1-1949- ج1-ص 330./ابن عذاري – المصدر السابق – ج2-ص 156- تجمع هذه المصادر أن تسمية بالخلافة كان سنة 316ه 317ه/928-929م عند خلع المقتدر العباسي، وينفرد الذهبي أن ذلك كان سنة 321ه/933م – دول الإسلام /احمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والاندلس – مؤسسة شباب الجامعة – الاسكندرية -2008 –ص 70.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص 2078/ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – تحقيق وتعليق شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة – ط2-1964- ج1-ص 181.

[3]- أجفل: تحرك وذهب بسرعة في الأرض، يقال انجفل الظل أي ذهب، وانجفل القوم أي مضو – الفيروز الأبادي –ص926.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص2078-2079.

بين الناصر الأموي والعبيديين، ثم بينهم وبين ابنه المستنصر بالله[1]، والذي انعكس مباشرة على قبائل المغرب الاوسط وبخاصة مغراوة وبني يفرن وزناتة.

السياسة المالية العبيدية وأثرها:

كان المال ونظام جبايته إحدى الأسس التي قامت عليها الدعوة والدولة، وقد أدرك هؤلاء أهمية المال في العمل الدعوي واستقطاب الأنصار ومن ثم تكوين جيش وتسليحه ودفع رواتبه وتجهيز الحملات العسكرية، ثم بناء القصور لإعطاء صبغة العظمة للدولة ولذلك كان هم الخلفاء العبيديين جمع أكبر قدر منه كوسيلة لتعزيز سلطتهم وفرض تبعية الرعية لهم وذلك بالإغداق عليهم.

وفعلا فقد كشف عند دخوله مدينة رقادة[2] عن سياسته هذه عندما لقيه وجوه القيروان وفقهائها فسألوه الأمان لهم فقال: " انتم أمنون في
أنفسكم وذراريكم "، ولم يذكر الأموال فعاوده بعضهم وسألوه التأمين لهم في الأموال فأعرض عنهم فخافه أهل العقل من ذلك الوقت[3].

لقد أبان المهدي بهذا عن سياسة الدولة في هذا الجانب، ولعل ما يؤكد ذلك هو سرعة الاستيلاء على مدينة تاهرت ولم يكن ذلك إلا لأنها طريق التجارة إلى سجلماسة وبلاد السودان ومورد الذهب[4].

ومن الإجراءات العملية التي قام بها المهدي في هذا الشأن الاهتمام بالجباية فنصب دواوين بيت المال والخراج والعطاء و السكة[5]، وفي نفس الإطار عمل العبيديون كل ما في وسعهم للسيطرة على أهم المراكز والطرق التجارية لحرمان الأمويين منها، بخاصة سجلماسة التي كان يحمل منها معدن التبر إلى الأندلس فيضرب نقدا، مما يدل على أهميتها الاقتصادية

---

[1]- المستنصر بالله: هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل تولى الخلافة بين (350-366ه/961-976م)، كان شغوفا بالعلوم تنظر ترجمته: ابن الابار: المصدر السابق – ص 116-120/ ابن عذاري: المصدر السابق – ج2-ص 233./ الحميدي: المصدر السابق –ص 29.

[2]- رقادة: مدينة علة أربعة أميال من القيروان بناها ابراهيم بن أحمد الاغلبي سنة 264ه/877م وجعلها دار ملكه ومسكنه. كانت أكثر بلاد افريقية بساتين وفواكه بها بويع عبيد الله المهدي: البكري: المصدر السابق –ص 200/ ابن عذاري: المصدر السابق – ص117./ حسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق –ص89-90.

[3]- نابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص185/ لكن القاضي النعمان يذكر أن المهدي أمنهم في أنفسهم وأموالهم ص 244 وهو ما ذهب إليه الداعي إدريس –ص137.و من الطبيعي أن يكون هذا موقفهما لأنهما من أشد المتعصبين للمذهب الإسماعيلي.

[4]- أشار ابن الصغير إلى ذلك قائلا: " واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب المتعة " أخبار الأئمة الرستميين –ص36.

[5]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص159.

أن العبيديين تمكنوا من الوصول إلى هذه المدينة في الجنوب الأقصى، في حين لم يتعد نفوذهم وفتحهم في افريقية والمغرب الأوسط مدينتي توزر[1] والمسيلة.

كانت سياسة الفاطميين المالية قاسية وسيئة جدا على السكان، تعتمد في مواردها على ثلاثة مصادر: الضرائب الباهضة، مصادر الأموال وابتزازها بشتى الذرائع، ثم توجيه الجيوش لغزو ونهب القبائل ونهب بلادهم والعودة بالمغانم، ففي سنة 298هـ/910 م غزا أبو عبد الله الشيعي بلاد البربر فقتل الرجال وأخذ الأموال، وفي سنة 300 هـ /912 م دبر رجاله مكيدة لأحد كبار التجار الأندلسيين في القيروان

يدعى أبو جعفر بن خيرون المعافري فمات تحت التعذيب واستصيفت أمواله[2]، وهكذا كانت المكائد وتلفيق التهم أحد أساليب الحصول على المال، ويصف ذلك إيف لاكوست قائلا: " غير أن السيطرة الفاطمية قد سببت معارضات.. فلم يتحمل السكان سياستها الجبائية القاسية التي كانت تستعمل في تمويل حملاتها إلى المشرق "[3].

إذا كان هدف العبيديين من جمع هذه الأموال هو انفاقها في الحملات العسكرية الأولي سنة 301هـ/913 م عند محاولة فتح مصر، فلا يبدو أنهم قد تخلوا عن هذه السياسة طيلة حكمهم لبلاد المغرب.

ومن مظاهر هذه السياسة لأمر الذي أصدره المهدي سنة 309هـ/921 م بأن يكون طريق الحاج على المهدية لأداء ما وظف عليهم من المغارم وألا يتعدي هذا الطريق أحد[4]، هكذا استغل العبيديون الدين لجمع المال.

ازدادت حاجة العبيديين إلى المال بسبب تجهيز الحملات العسكرية من أجل التوسع أو القضاء على الثورات في المغربين، ومن ثم حاولوا تأمين ميزانية هذه العمليات وذلك بفرض الضرائب على القبائل وأخذ أهل الضياع بمغرم يسمى ضريبة التضييع[5]، وهو عبارة عن مال

---

[1]- توزر: قاعدة كورة قسطيلية من بلاد الجريد بينهما وبين نفطة عشرة فراسخ وأرضها سبخة بها نخل كثير / ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج1-ص464./ البكري: المصدر السابق – ص 225/ ابن عذاري: المصدر السابق: ج1-ص162.

[2]- ابن عذاري: المصدر السابق – ج1-ص169./ لمزيد من المعلومات ينظر: الحبيب الجنحاني: " السياسة المالة للدولة الفاطمية في بلاد المغرب " مجلة الأصالة ع 49-50. السنة السادسة سبتمبر / أكتوبر 1977 م –ص46-65.

[3]- إيف لاكوست: الجزائر بين الماضي والحاضر – ترجمة اسطمبولي رابح ومنصف عاشور – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر -1984- ص106.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج 1- 186.

[5]- ابن عذاري: المصدر السابق –ص181.

يدفعه أصحاب الأراضي المغلة، ورغم أن الدشراوي يشكك في الضريبة المفروضة على السكان عندما يقول: " وكانت المملكة الفاطمية لا تعرف لزمة الضرائب باستثناء كورة برقة " لكنه يستطرد قائلا: " ويبدو أن هذه الضرائب التي كثيرا ما نددت بها مصادرنا السنية قد أثقلت كواهل أهل البلاد في أيام المهدي وابنه القائم، وساعدت إلى حد كبير على تعزيز قضية المتمردين الخوارج[1] .

وإذا كان البعض يشكك في هذه الضرائب لكونها وردت في مصادر سنية فلا غرو فقد أكدتها إسماعلية منها:

1- وصية المعز العبيدي لبلكين بن زيري عند مغادرته افريقية بألا يرفع الجباية عن أهل البادية[2].

2- الخطبة التي ألقاها المعز في شيوخ كتامة قائلا لهم: " واعلموا أنكم إذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم "، ثم بعث إليهم خفيف الصقلبي لقبض الجزية فقالوا: كيف تؤدي كتامة الجزية ويصير عليها في الديوان ضريبة.[3]

3- المناضرة التي جرت بين المنصور العبيدي وأبي يزيد عندا ألقى عليه القبض سنة 336هـ/947م فلما سأله المنصور: " ما الذي نقمت فيه على أمير المؤمنين " فقال:" هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين فقمت منكرا لذلك "[4].

لاشك أن هذه الجبايات كانت أحد السباب الرئيسة لهجرة السكان فرارا من الظلم المسلط عليهم وبخاصة الفئات الفقيرة، بل إن هذه الهجرة أمر طبيعي مشروع إذا مس الإنسان في أحد مقومات الحياة الأساسية وهي المال، وقد خصص ابن خلدون في مقدمته فصلا بعنوان: الظلم مؤذن بخراب العمران فيقول:" اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بأمالهم في تحصيلها... فإذا ذهبت أمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي....

---

[1]- فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب التاريخ السياسي والمؤسسات – نقله إلى العربية حمادي الساحلي – دار الغرب الإسلامي – بيروت –ط1-1994-ص471.- لكن ما الدافع من فرضها في برقة والغائها في باقي المناطق، ثم ألم تكن هذه السياسة أحد أسباب ثورة الخوارج ؟.

[2]- المقريزي: المرجع السابق –ج1-ص101/.

[3]- الداعي إدريس: المصدر السابق –ص95-98/ المقريزي: الخطط المقريزية –ص35.

[4]- الداعي إدريس: المصدر السابق –ص447/ ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص193.

فإذا قعد الناس كسدت أسواق العمران وانتقضت الأحوال وابذعر[1] الناس في الأفاق فخف ساكن القطر وخلت دياره "[2].

رحيل العبيديين ودوره في حركة الهجرة:

لما عزم العبيديون على مغادرة افريقية نحو مصر كان عليهم توطيد الأمن بالمغرب لضمان ولائه فعقد المعز لبلكين بن زيري على حزب زناتة أواخر 360هـ/971م وسوغه مايتغلب عليه من أعمالهم،وقد أحس هذا الاخير بعظم المسؤولية فأراد أن يكون حاسما في تعامله معها ليثير مخاوفها ويدفعها إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى والصحراء والأندلس،فنهض الى المغرب سنة احدى وستين ثلاثمائة 361هـ/971م وأوغره بالبرابرة منهـــم، وتقر[3] أعمال طبنة وباغاية والمسيلة وبسكرة، وأجفلت زناتة أمامه، وتقدم إلى تاهرت فمحا أثار زناتة بالمغرب الأقصى....ورفع الأمان عن كل من ركب فرسا أو أنتج خيلا من سائر البربر ونذر دمائهم، فأفقر المغرب الأوسط من زناتة وساروا إلى ما وراء ملوية.[4]

تعتبر هذه الحملة من أشد الحملات وقعا على قبائل زناتة التي فقدت فيها واحد من أهم قياداتها وهو محمد بن خزر إضافة إلى تفوق أفرادها في الموطن.

كرست وصية المعز لبلكين بألا يرفع السيف عن زناتة الصراع بينها وبين صنهاجة،و أدخلت المنطقة في فوضى واضطرابات،فثار أهل باغاية وتاهرت ثم زناتة تلمسان، ولما سار إليهم فر بعضهم إلى المغرب الأقصى وحاصر بقيتهم في المدينة ثم نقلهم إلى أشير[5].

عمل خلفاء بني عبيد بعد رحيلهم إلى مصر على إثارة الفتن بين القبائل حتى تظل في حروب متمرة ولا يفكر ولاتهم في المغرب بالاستقلال أو الخروج عن طاعتهم ، وفعلا واجه الزيريون في إفريقية والمغرب حركتين مضادتين لهم،الأولى من عدوهم التقليدي قبائل زناتة،والثانية قام الكتاميون وبإيعاز من الفاطميين ، ففي سنة 369هـ/679م شن بلكين حملة

---

[1]- ابذعروا: تفرقوا وفروا، ويقال ابذعرت الخيل إذا ركضت تبادرشيئا تطلبه – فيروز أبادي: المصدر السابق – ص312.
[2]- ابن خلدون: المقدمة –ص 223-224.
[3]- تقر بالمكان يقر بالكسر والفتح قراراأو قرا وتقرة، ثبت وسكن كاستقر: الفريروز أبادي: المصدر السابق – ص418.
[4]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2079./صالح بن عبد الحليم: المصدر السابق –ص109-110/ابن أبي دينار: المصدر السابق –ص75.
[5]- ابن الأثير: المصدر السابق –مج2-ص1787// النويري: المصدر السابق –ص311.

عسكرية ضد زناتة فأجفل أمامه ملوكها وأرزوا[1] بقياطينهم[2]، وبعد أن كف عنهم بلكين رجعوا إلى أوطانهم،وتمكن زيري بن عطية المغراوي سنة 381هـ/991م من استرجاع قسم كبير من المغرب الأوسط، وهكذا كانت القبائل الزناتية تتأرجح بين المغربين ذهابا وإيابا حسب الظروف السياسية والأمنية.

أما حركة المعارضة الثانية التي كانت في عهد المنصور بن بلكين فقام بها الكتاميون بزعامة الداعي أبو الفهم الخراساني سنة 376هـ/986م بتواطؤ مع يوسف بن عبد الله الكاتب أحد الزيريين الذي أمد الثائر بالمال والخيل[3] لإثارة القلاقل،لكن المنصور تفطن لهذه المؤامرة وزحف سنة 378هـ/988م إلى مدينة ميلة أحد معاقل كتامة فخرها وهجر سكانها إلى مدينة باغاية[4].

لم تمض سنة واحدة حتى ثار ثائر أخر يقال له أبو الفرج زعم أنه من سلالة المهدي فجمع كتامة واتخذ البنود وضرب السكة ، فزحزفت إليه عساكر المنصور ودارت بينهما المعارك بمدينتي سطيف وميلة انهزم فيها الثوار وقتل من كتامة الكثير[5]، ومهما يكن من الأسباب والأطراف المحركة لهذه الثورات وأهدافها فان نتيجتها كانت القتل والتهجير.

الهجرة وإتجاهتها:

من القبائل التي ارتبط تاريخها بالدولة العبيدية في مرحلتيها المغربية والمشرقية قبيلة كتامة ،و إذا كانت صنهاجة قد خلفت الفاطمين على حكم المغرب وحاربت أعداءهم الزناتيين والأمويين،فإن كتامة كان لها الفضل في احتضان الدعوة وتأسيس الدولة،ثم المساهمة في فتح مصر حيث كان معظم جيش العبيديين من أبماء هذه القبيلة،ولا شك أن خدمتهم العسكرية طيلة هذه المدة وولائهم المطلق للمذهب أكسبهم ثقة خلفاء بني عبيد، وجعل الاعتماد عليهم جزء من سياسة الدولة[6]، ولذلك كانوا أكثر تأثر بالأحداث السياسية والعسكرية التي انعكست على

---

[1]- أرز يأرز أي انقبض وتجمع، وأرزت الحية لاذت بجحرها ورجعت إليه، وفي الحديث: " إن الإيمان ليأزر إلى المدينة كما تأزر الحية إلأى جحرها "، صحيح البخاري- دار الكتب العلمية – بيروت –ط5-2007-كتاب فضائل المدينة رقم الحديث 1876-ص340.
[2]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2080/ ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص231.
[3]- ابن الأثير: المصدر السابق – مج2-ص1839/ ابن عذاري: المصدر نفسه –ج1-ص241/ المقريزي اتعاظ الخنفا:ص263.
[4]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص242/ النويري: المصدر نفسه –ص321/ البكري: المصدر السابق –ص 245./ الحميري: المصدر السابق –ص568.
[5]- ابن الأثير: المصدر السابق –مج2-ص1845./ النويريي: المصدر السابق –ص322.
[6]- الداعي إدريس: المصدر السابق-ص606.

ديمغرافية القبيلة من حيث العدد والاستقرار والاستيطان، فكانت كتامة من بين القبائل التي شملتها ظاهرة الهجرة.

الهجرة إلى المغرب الأقصى والأندلس:

اتجه تيار الهجرة مبدئيا نحو المغرب الأقصى والأندلس، والذي اتخذ شكلا فرديا أو جماعات صغيرة نتيجة حملات التوسع والمطاردة التي كان بها الجيش العبيدي لإخضاع القبائل ومحاربة أنصار الأمويين ،ففي حملة جوهر على المغرب الأقصى والتي مكث فيها ثلاثين شهرا جعلت البعض يستقر بالمنطقة بسبب هذه المدة الطويلة التي قضاها هناك، وربما كون أسرة ،أو كان ذلك بدافع الملل من حياة الجندية أو كراهية الاستبداد العبيدي[1] أو يكون سياسة فاطمية لتوطين هؤلاء كدفاعات متقدمة أو أنصار وعيون لهم ضد الأمويين، أو لنشر التشيع فاستقروا هناك.

ومن الشخصيات الكتامية التي استوطنت المغرب الأقصى: محمد بن أبي العيش الكتامي الذي انضم إلى حسن بن قنون[2] وقتل[3] في حملة القائد غالب بن عبد الرحمان سنة 362هـ/973م ، ومن فروع كتامة بالمغرب الأقصى قبيلة حليمة أهل جبل المكرم ، ومنهم من هاجر إلى الأندلس ، ففي سنة 362هـ/972م نزل بقرطبة محمد بن خلف الكتامي وإبراهيم بن مسهول الصنهاجي في نفـــر من أصحابهما[4]، وفي رمضان السنة التحق عدد كبير من كتامة بالأندلس ، وكان إمامهم أبو العيش بن أيوب بن بلال ، وكانوا في ثلاثة ألاف وخمسمائة ونيف من الفرسان ، وستة ألاف وأربعمائة من الرجالة[5].

---

[1]- موسى لقبال: المصدر السابق – دور كتامة في تأسيس الخلافة الفاطمية في المغرب – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – االجزائر –1979-ص163

[2]- الحسن بن قنون: بن القاسم بن ابراهيم بن محمد بن الاقسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبريطالب، انتزى بمدينة سبتة وقلعة حجر النسر فارسل إليه الحكم المستنصر قائده غالب بن عبد الرحمن مطلع سنة 362ه/972م فهزمه بعد حروب طويلة عندها اذعن لطاعته فأجازه إلى الندلس سنة 364ه/974 م: ابن الحزم: المصدر السابق –ص49-50/ صالح بن عبد الحليم –المصدر السابق –ص105/ ابن حيان القرطبي: المقتبس في أخبار بلد الأندلس – تحقيق صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية –بيروت –ط1-2006-ص 97-ص107

[3]- ابن حيان القرطبي: المصدر السابق –ص107/ابن عذاري: المصدر نفسه –ج2-ص247.

[4]- ابن حيان: المصدر السابق –ص79.

[5]- ابن حيان: المصدر السابق –ص85

الهجرة نحو المشرق – مصر –

ساهمـــت كتامة بفعالية في فتح مصر من الحملات الأولى إلى فتح النهائي سنة 358هـ/968م حيث سينتقل مركز الخلافة الفاطمية إلى القاهرة ، وينتقل معه جمهور كتامة لاسيما وأن الفاطميين كانو بحاجة إلى جند لمواجهة القرامطة في الشام ، فهاجر منهم كل قادر على حمل السلاح ، وقد عرف المعز كيـــف يستميلـــهم بالإطـــراء وإلهاب الحماس الديني[1]، وهو ما جعل الكتانيين يتطوعون جماعيا في الجيش، ولم يبق في مواطنها غير عدد قليل من ضعفاء القوم[2]، إضافة إلى مصر وصلت بعض الهجرات إلى العراق[3].

أسباب هجرة كتامة:

إن معظم رجال كتامة كانو إما مجندين وقادة في الجيش الفاطمي ، أو موظفين في الدواوين وجباية الأموال ، ومن الطبيعي أن يرحل هؤلاء بأسرهم لمواصلة مهامهم الإدارية والعسكرية باعتبارهم أحد أركان الدولة ،

- تخوف الكتاميين على مصيرهم من أعدائهم الزناتيين بعد انتقال الفاطميين ، ولاشك أن التفكير في مستقبلهم جعلهم يرحلون بطواعية سواء أثناء فتح مصر أو بعده.

- توالي الحروب والفتن على المنطقة التي أفنت عددا كبيرا من سكانها ، ومن بقي اضطر للهجرة إلبى مصر تحت حماية الدولة التي كانت بحاجة إلى رجال وهو ما التقى مع هدفهم.

عرف الكتاميـــون في مصر بالمغاربـــة، وقد برز هؤلاء من خلال نشاطهم السياسي والعسكري وبخاصة حروبهم ضد القرامطة حيـــث لمع القائد جعفـــر بن فلاح الكتامي الذي حاربهم بالرملة[4] فهزمهم ، ثم ســار إلى دمشق فافتتحها في محرم سنة 359هـ/969م[5]، لكنه

---

[1]- الداعي إدريس: المصدر السابق –ص606 ومنها قوله لهم: " فقد صدقتم ظني فيكم وأملي عندكم وانتم معدن البركة وعنصر الخير بكم بدأ الله إظهار أمرنا وبكم يتمه".

[2]- وصف الادريسي ذلك قائلا: " ولم يبق من كتامة في وقت تأليفها لهذا الكتاب (ق 6ه/12 م) إلا نحو أربعة ألاف رجل وكانوا قبل ذلك عدد كثيرا وقبائل وشعوبا" ص126. وإذا كان حالهم في القرن السادس فكيف كان في القرن الرابع ؟.

[3]- عليه المقتدر العباسي وعلى أصحابه، وكانو نحو مائتي فارس من شجعان البربر، فأثبتهم في الديوان وأقاموا ببغداد حتى بعثهم الخليفة مددا إلى الدينور سنة 303ه/915م ص154-155/ والدينور مدينة من كور الجبل مابين الموصل وأذربيجان قبلة همذان: الحميري: المصدر السابق-ص249/ ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج2-ص370/ لكن المصادر لا تذكر اسم بكير التركيبل تذكر مؤنس الخادم قائد جيش المقتدر العباسي: ابن= =خلدون: المصدر السابق –ج1-ص171-172. بينما يذكر المسعودي أن الذي استأمن من البربر شخص يعرف بأبي جرة الذي سار إلى السلطان بمدينة السلام فخلع عليه – مروج الذهب –ج4-ص18.

[4]- ذكر صاحب مفاخر البربر أن أبا حدو قواد الشيعة فر أثناء القتال في مدينة الفسطاط بمصر واستأمن إلى بكير التركي فأشخصه إلى الخليفة ببغداد فخلع الرملة: مدينة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشرة ميلا اختطها سليمان بن عبد الحكم: الحميري: المصدر السابق –ص268/ ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج2-ص421-422/ ابن الوردي: المصدر السابق –ص49.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج1-ص1084.

قتل في العام الموالي من طرف القرامطة ، وقد شجعهم هذا الإنتصار إلى الزحف على مصر فبرز إليه المغاربة مدافعين عن القاهرة.

ومن الشخصيات التي لعبت دورا في مصر أبو محمود أبراهيم بن جعفر بن فلاح الذي خلف أباه في قياد الجيوش كما برز كذلك عسلوج بن الحسن الدنهاجي الكتامي الذي كان أمينا على المال مع يعقوب بن كلس[1]، والحسن بن عمار شيخ كتامة ، الذي كان أحد رجال الدولة في خلافة الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1021) ، والذي تنفد في السلطة مستغلا صغر سن الخليفة)12 سنة) حتى لقب بأمين الدولة ، فقرب إليه عصبيته من أبناء كتامة حيث قلدهم المناصب الرئيسية كالدواوين والولايات وقياد الجيش ، فانبسطت كتامة في البلاد وحكموا فيها[2].

أدى صراع النفوذ في مصر إلى مواجهات عسكرية وفتن بين المغاربة والمشارقة (الديلم والأتراك) فدارت بينهما مواجهات سنتي 386هـ/996م -388هـ /998م، قتل فيها عدد كبير من الطرفين.

هجرة قبيلة هوارة:

من القبائل التي هاجرت إلى مصر هوارة التي انتقل بعض أفرادها نجدة لجوهر الصقلي عند فتحه مصر كجنود، أو كعمال في بناء مدينة القاهرة، عندما أقطعهم الخليفة الفاطمي إقليم أخميم، ونظرا للضغط الذي تعرضوا له من طرف الأعراب بنوا مدينة المنشية[3].

هجرة قبائل زناتة:

1- نحو المغرب الأقصى:

- **هجرة بني يفرن:**

تركز بنو يفرن في تلمسان، وقد دخلوا في ولاء الأمويين بالاندلس، وتزعمهم أيام عبد الرحمن الناصر يعلى بن محمد، ولما اكتسح جوهر حاضرة إمارتهم أفكان تفرق أمر بني يفرن فلجأ

1- الداعي إدريس: المصدر السابق –ص703-726 هامش 327.

2- ابن خلدون: المصدر السابق –مج1-ص 1096 – مج2-ص 1865./ جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية – دار الفكر العربي – مصر 1994-ص101

3- المنشية:قرية من عمل إخميم يقال لها منشية الصلعاء، والصلعاء قرية جانبها وهي على ضفة النيل. الحسن الوزان: المصدر السابق: ج2-ص283/ اياقوت الحموي: المصدر السابق- مج4-329..

بعضهم إلى الصحراء جنوبي المغرب الأوسط وانضموا إلى مغراوة، فحاربهم بلكين بن زيري بقوات صنهاجة وأخرجهم من موطنهم سنة 369هـ/979 م تادلا[1] وسلا فاستقروا هناك، وأسسوا إمارتهم الثانية بقيادة يدو بن يعلى (ت 383هـ/993م) ثم ابن أخيه تميم من بعده.

- **هجرة مغراوة:**

لما هلك الخير بن محمد على يد بلكين بن زيري سنة 361هـ/971م ارتحلت زناتة إلى ما وراء ملوية من المغرب الأقصى، وصار المغرب الأوسط كله لصنهاجة، فاجتمع مغراوة على خزرون بن فلفول من أل خزر سنة 366هـ/976م الذي زحف إلى سلجماسة فاستولى عليها من المعتز أبو محمد المدراري، مقيما الدعوة للأمويين[2] ثم تولاها ابنه وانودين بن خزرون سنة 390هـ/999م.

زحف بلكين بن زيري ثانية على مغراوة سنة 369هـ/979م فانحازوا إلى المغرب الأقصى، وقد ألت رئاستهم إلى زيري بن عطية (378هـ-391هـ/988م-1000م) الذي تملك فاس ودعا لبني أمية، فعقد له المنصور بن أبي عامر سنة 381هـ/991م على ولايتها، وتمكن من بسط نفوذه على قسم كبير من المغرب الأوسط، من تلمسان إلى الزاب[3]، واختط مدينة وجدة إلى أن فسد ما بينه

و بين المنصور، وبعد وفاته اجتمع أل خزر ومغراوة على ابنه المعز بن زيري بن عطية فعقد له الأمويون على فاس سنة 397هـ/1006م.

- **هجرة بني خزر المغراويين إلى طرابلس:**

بعد أن نزع سعيد بن خزرون بن فلفول إلى صنهاجة سنة 377هـ/987م[4] لكنه توفي بالقيروان في نفس السنة، فعقد المنصور لابنه فلفول بن سعيد الذي استغل خروج باديس بن منصور لحرب زيري بن عطية لما استولى على تاهرت سنة 389هـ/998م[5] فتنكر له واستقل بعمله

[1]- تادلا: مدينة قديمة بين تلمسان وفاس فيها أثار للأول، بني فيها الملثمون حصنا منيعا: مجهول: الاستبصار –ص200/ ياقوت الحموي – المصدر السابق: -مج1-ص425/الحميري: المصدر السابق –ص127.
[2]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2074،ص2086/ صالح بن عبد الحليم: المصدر السابق –ص117.
[3]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2081-ص2082.
[4]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص2087/ ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-244..
[5]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2087/ ابن الأثير: المصدر –مج2-ص1887.

مما دعا باديس إلى حربه، فلجأ إلى الرمال ومنـــها إلى قابس[1] ثم إلى طرابلس التي استوطنها وملكها سنة 391هـ/1001 م إلى أن توفى سنة 400هـ/1009م.

2-الهجرة إلى الأندلس:

ارتبطت الأندلس تاريخيا ببلاد المغرب منذ حملات الفتح، وقد ألفا معا ما سمي بالمغرب الإسلامي أو الغرب الإسلامي، وقد توطدت العلاقات بينهما مع أواخر القرن الثالث الهجري وذلك بهجرة بعض الأندلسيين وتأسيسهم لمدن على ساحل العدوة مثل تنس ووهران، وقد ازدادت هذه العلاقات قوة مع مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي في خلافة عبد الرحمن الناصر عندما دخل في صراع ومنافسة ضد العبيديين، فكان المغرب بقسميه بالنسبة للأمويين جزء من الاندلس حيث عملوا على تثبيت تبعيته لهم واستقطاب زعماء قبائله، لذلك كانت حركة التنقل والهجرة من المغرب إلى الاندلس الوجهة المفضلة لكثير مـــن المغاربة[2]، وقبل أن تعرض أهم من الأفراد والقبائل حري بنا أن نشير إلى دوافع وأسباب ذلك:

أ- الدوافع السياسية: ولعلها من الأسباب المبكرة ذلك أنها تزامنت مع تأسيس الشيعة لدولتهم في المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري، ومع سياستهم التوسعية نحو الغرب بشن حملات عسكرية متكررة كانت مرفوقة أحيانا بالشدة والجبروت، وفي حين حاول أمويو الأندلس التصدي إلى هذا الزحف الذي يمكن أن يهددهم في عقر دارهم، فعملوا على إيجاد نفوذ لهم في العدوة وحصار العبيديين في افريقية على الأقل.

كان المغرب مجالا للصراع والتجاذب بين القوتين الأموية والعبيدية، ذاقت معه القبائل ويلات الحروب، فلم تكن تجد في ذلك إلا الهجرة إلى الأندلس هروبا من السياسة العبيدية وانتقامها، بخاصة وأن خلفاء قرطبة وجدوا في هؤلاء عنصرا بشريا مهما يمكن الاستفادة منه كقوة عسكرية ضد أعدائهم فاستكثروا منهم، وفي ذلك يقول المقري: " فاستدعى – عبد الرحمن

---

[1]- قابس: مدينة على ساحل البحر بين طرابلس وصفاقس حواليها قبائل من البربر لواتة ولماية ونفوسة وزواوة – مجهول: الاستبصار –ص112/ ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج4-ص5.

[2]- عن هجرة المغاربة والأندلس تلاحظ الخريطة –ص152.

بن الناصر – أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جندا واصطنع أولياء وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة "[1]

إن الظروف السياسية التي عاشتها الأندلس كانت أحد عوامل جلب المهاجرين، والمتمثلة أساسا في الثورات الداخلية والخارجية التي كان يقوم بها بعض عناصر المجتمع الأندلسي من العرب والمولدين أو من النصارى[2]، ونتيجة لذلك لجأ الخلفاء إلى تكوين طبقة من الجند من خارج الأندلس أي من بربر المغرب لكونهم غرباء عن البلاد ليست لهم عصبية ما يجعلهم يتفانون في خدمة السلطان وجهاد النصارى.

ب- الدوافع الدينية: ومن ابرزها الفرار من المذهب الشيعي الذي حاول انصاره فرضه بالقوة على السكان ويؤكد ذلك قول وفد صنهاجة عندا قدموا على المنصور بن أي عامر: " إنما اخترناك على غيرك، واحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله"[3]، فلما أراد أن ينفذهم قالوا له: " ما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا إلا الذين معنا من بني عمنا وصنهاجة ومواليْنا "[4].

لقد كان اهتمام أمراء وخلفاء الأندلس بالجهاد وحماية الثغور أحد دوافع الهجرة، وبخاصة في عهد الحكم المستنصر الذي كتب إلى جميع القواد والولاة والعمال بأقطار الأندلس سنة 351هـ/962 م يأمرهم بارتباط الخيل والقيام عليها والاستعداد بالعدد والأسلحة والآلات برسم الجهاد[5]، ولا شك أن هذا النداء قد وجد صداه في المغرب الأوسط، فلبى أهله نداء الواجب لما عرفوا به من فضائل المرابطة والجهاد، وفي ذلك يقول عبد الله بن بلكين: " وتسامع الناس بالجهاد فبادر إليه من شرق العدوة من كان لهم من الآثار والمكارم والبأس على النصارى مالا خفاء به "[6]، ووافت الحضرة سنة 393 هـ/1002 م طوائف كثيرة من مطوعة العدوة المجاهدين[7]، فشكل منهم ما يسمى بجيش الحضرة[8].

---

[1]- المقري: المصدر السابق –ج1-ص373/ صالح بن عبد الحليم: المصدر السابق –ص106

[2]- من أشهر الثورات التي قامت في الاندلس ضد الامويين ثورة عمر بن حفصون غرب الاندلس برية ماردة التي امتدت من سنة 270ه/883م إل خلافة الناصر سنة 315ه/927م، وثورة الجلالقة بزعامة أردون بن ردمير امتدت من سنة 302ه/904م / وفي ذلك يقول المقري:" ووجد الأندلس مضطربة بالمخالفين مضطرمة بنيران المتغلبين فأطفأ تلك النيران واستنزل أهل العصبيات واستقامت له الاندلس في سائر جهاتها –ج1-ص330.

[3]- ابن الأثير: المصدر السابق –مج2-ص1831.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق –مج2-ص183.

[5]- ابن عذاري: المصدر السابق –مج2-ص235.

[6]- عبد الله بن بلكين: التبيان – تحقيق أمين توفيق – الطيبي منشورات عكاظ – الرباط -1995-ص57

[7]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1835.

[8]- عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر -1982-ص228.

ج- الدوافع الإقتصادية: مما تتطلبه حياة الإنسان، السعي من أجل الكسب وتحصيل الثروة وظروف الحياة وهو من العوامل التي تدفع الإنسان إلى التحرك لتحقيق ذلك عن طريق التجارة والفلاحة ومختلف الصنائع[1] في بيئته، فإن عجز عن تحقيق ذلك لأي سبب من الأسباب سعى إليه في غيره، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " اعلم أن الكسب إنما يكون بالسعي في الإقتناء والقصد إلى التحصيل، فلا بد في الرزق من سعي وعمل "[2].

وإذا كان مغرب القرن الرابع الهجري يعيش خالة من الاضطراب السياسي والضعف الاقتصادي بتدهور الإنتاج الزراعي نتيجة الظروف الطبيعية أ، جراء السياسة الفاطمية حيث هجر الفلاحون أراضيهم فساءت الأحوال الاجتماعية، ومما زاد في خطورة الوضع الجشع المالي الذي لم يكن له أي نفع على الإنسان.

لم يقم العبيديون أي مشروع اقتصادي لصالح السكان، بل كان همهـم جمع المال ونشر المذهب، وعلى العكس من ذلك شهدت الأندلس تطورا اقتصاديا وعمرانيا حيث احتضنت الحواضر مختلف الحرف، ونشطت أسواق التجارة، وتنوعت الخدمات فتحسنت الأحوال الاجتماعية وانتشر الثراء، لكن الأهم بالنسبة للمغاربة هو انتعاش سوق الجندية الذي انخرط فيه أغلب النازحين إلى العدوة الأندلسية كمقاتلين، وهو ما استغله الخلفاء الأمويين بخاصة في خلافة هشام المؤيد وحاجبه ابن ابي عامر الذي استكثر منهم لتحقيق هدفين: ضرب المناوئين له والمنافسين في الأندلس والمغرب، ثم جهاد النصارى المتكالبين على أطراف الدولة.

لاقى المهاجرون المغاربة في الأندلس كل الإكرام والإحسان، فأجريت لهم الأرزاق وثبتوا في ديوان العطاء، وحصلوا على بعض الإقطاعات واستفادوا من الغنائم، وتم تقديمهم على غيرهم من الطوائف، وبذلك اكتسبوا ثروة وتحسنت حالتهم الاجتماعية، وفي ذلك يقول ابن عذاري: "....و أنفذ –

1- يعرف ابن خلدون الصنائع بأنها الكتابة والخياطة والحياكة والفروسية وأمثال ذلك – المقدمة ص302.

2- ابن خلدون: المصدر السابق –ص300.

ابن أبي عامر– كتبه إلى قبائل العدوة يستدعيهم ويتضمن الإحسان إليهم والتوسعة عليهم حتى كثروا بالإندلس "ثم يضيف قائلا: " ومازال بعد ذلك يستدعيهم...إلى أن أسرعوا إلى الأندلس...

وما زالو يتلاحقون وفرسانهم يتواترون ، يجيء الرجل منهم بلباس الخلق على الأعجف فيبدل منهم له بلباس الخز الطرازي ويركب الجواد العتيق "[1]، يظهر أن هناك مبالغة في تصوير الحالة الاجتماعية لهؤلاء المهاجرين على أنهم يرتدون اللباس الرث البالي على أجسام هزيلة ونحيفة ،وإذا صح ذلك فقد يكون نتيجة التشرد والمطاردة وذهاب الأموال والمتاع ، وبذلك وجد المغاربة في الأندلس ملاذا لهم ومجالا يمكن أن يحققوا فيه أحلامهم.

د – الدوافع الأمنية: مثلت القضية الأمنية خلال القرن الرابع الهجري إحدى القضايا المحورية التي ارتبطت بظاهرة الهجرة، فلم يهنأ المغرب الأوسط بالاستقرار والسلم معظم فترات هذا القرن نتيجة الأحداث السياسية والعسكرية التي عاشها السكان في ظل صراعه ضد العبيديين أو صراع هؤلاء ضد الأمويين، وقد كانت ثورة صاحب الحمار أحد أشكال هذا الصراع الذي صاحبه قتل وتخريب وإفساد، وشعر معه الناس بالخوف والقلق، مما جعلهم يفرون من المغرب باحثين عن أماكن أمنة لأنفسهم وأموالهم فكانت أقاصي المغرب وجهة هؤلاء.

هـ – الدوافع العلمية: بلغت الأندلس في عهد الناصر ثم ابنه الحكم المستنصر درجة بالغة من التقدم العلمي نتيجة اهتمام هذين الحاكمين بشتى ضروب العلم[2]، ونشطت الحركة الثقافية بتأسيس المدارس، وانتشر التعليم وتنافس الناس في فروع العلم والصنائع المرتبطة بها، وحظي العلماء والفقهاء والأدباء بمكانة إجتماعية هامة، كما شجعت طلبة العلم على الجواز إلأى الأندلس للإستزادة منه، والعلماء للتدريس والإفتاء بخاصة وأن هذه الفترة عرفت تضييق العبيديين على علماء السنة وملاحقتهم واضطهاد أعلامهم[3]، فتوجهوا إلى الأندلس خوفا على أنفسهم ومعتقدهم أو رغبة في أداء وظائف دينية وتعليمية وهو ما يعتبر في نفس الوقت أحد أساليب مقاومة التشيع.

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2-ص264-279-294/ ابن خلدون: المصدر نفسه – مج2-ص 2097.

[2]- الحميدي: المصدر السابق –ص19/ ابن الأبار: المصدر السابق –ص116/ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق –ص26

[3]- الدباغ: معالم الإيمان – تصحيح وتعليق ابراهيم شيوخ – مكتبة الخانجي – مصر ط1- 1986- -ج2—ص202.

و- أسرى الحرب: من الفئات التي هاجرت إلى الأندلس، والمنهزمين من الجنود في الحروب التي كان بها الجيش العبيدي أو الأموي ضد أعدائها، ورغم أنه ليست لدينا معلومات كافية عن هذا الموضوع إلا أن إشارة مؤلف مفاخر البربر قد تكون مثالا عن أسرى الحروب كظاهرة للهجرة، ففي سنة 386 هـ/ 996 م نشأت وحشة بين أبي عامر وزيري بن عطية المغراوي فبعث إليه واضح الصقلبي في جيش من الأندلس والمغرب فهزمه سنة 387 هـ أو 388هـ/ 997م أو 998 م[1]، وأسر من جنده نحو ألفي رجل فمن واضح عليهم وانضموا إليه، ومن غير المستبعد أن يكون بعض الأسرى من المغرب الأوسط قد أجازوا إل الأندلس مع عبد الملك بن محمد بن أبي عامر أثناء عودته.

وقد ذكر ابن عذاري أنه في سنة 344هـ / 956 م وصل إلى قرطبة حميد بن يصل ومعه ستة وثلاثون من وجوه كتامة، وغيره من القبائل المستأمنين إليه من عسكر الشيعي[2].

ز- الأزمات الاقتصادية والكوارث: إن توفر أسباب العيش وفي مقدمتها الإنتاج الزراعي والحيواني من أهم عوامل استقرار الإنسان في أي بيئة توفر له مقومات الحياة، وقد تحل ببيئته كوارث طبيعية كالجفاف والجوائح والأوبئة، فتكون عوامل تحريك للإنسان لما تحدثه من أضرار اقتصادية وصحية ضربت المغرب الأوسط وافريقية مع نهاية القرن الرابع الهجري موجة جفاف أحدثت أزمة اقتصادية حيث ارتفعت الأسعار وانتشرت المجاعات واالامراض، نتج عنها نزوح للسكان وبخاصة منها الفئات الضعيفة، ومن أمثلة ذلك مجاعة سنة 379 هـ/989 م بافريقية والمغرب والأندلس والتي دامت ثلاث سنوات[3]، ورغم أن هذه الشدة والمسغفة قد عمت كل الغرب الإسلامي تقريبا، فان السكان كانوا يبحثون عن مواطن أقل سوء تتوفر فـــيها بعض مصادر الغذاء في الجبال وحول الأودية.

الهجرات البربرية نحو الأندلس:

- **هجرة بني برزال:** من القبائل التي هاجرت افرادها مبكرا إلى الأندلس بنو برزال وهم بطن من زناتة سنة 361 هـ/971 م أي في غمرة الضغط الذي مارسه ضدهم

1- ابن أبي زرع: المصدر السابق: -ص 106.
2- ابن عذاري : المصدر السابق –ج2-ص 219- 220.
3- ابن أبي زرع: المصدر السابق –ص115/مؤلف مجهول: تاريخ الأندلس –ص222.

العبيديون وبخاصة بعد تولي بلكين بن زيري أمر المغرب (أشير، المسيلة، تاهرت، الزاب)[1] الذي جد في مطاردتهم وقتالهم ولا سيما وأن العبيديين كانوا على وشك الرحيل إلى مستقرهم النهائي بمصر.

ومن الشخصيات التي أجازت إلى الأندلس جعفر بن علي[2] مع بنيه وأهله وهم: عمار – علي – حسن – ميمونة – سكينة – تامة – فاطمة – هند واختهما عزيزة بنت علي وابنها حمدون وأختها زينب وزوجها محمد بن مهنأ البجاني[3] حيث استقروا بقرمونة[4] واستجة[5] والمدور، ودخلوا في خدمة المنصور مع قبائل زناتة كمغراوة وبني يفرن ومكناسة، كان من زعمائهم محمد بن عبد الله البرزالي.

استكثر ابن أبي عامر من أفراد هذه القبيلة، واستقوى بهم على أعدائه في الداخل والخارج لما تميزوا به من الشدة والشجاعة في الحروب، ولم يزالوا خاصته وبطانته فكانوا أظهر عن غيرهم، وأعلاهم منزلة بما أغدق عليهم من النعم والإحسان فأسرعوا إلى الأندلس وانثالوا عليه فالتحق منهم قرابة السبعمائة فارس[6]، وقد أعجب بهم الخليفة الحكم المستنصر الذي تمثلهم بقول الشاعر:

فكأنما ولدت قياما تحتهم   وكأنهم ولدوا على صهواتها

وقد كان لهم دور رفقة أبن أبي عامر في تثبيت خلافة هشام بن الحكم، وفي القضاء على ثورات المنتزين على الخلافة، فشاركوا في حملة واضح الصقلبي ضد زيري بن عطية،

---

[1]- صالح بن عبد الحليم: المصدر السابق –ص109.

[2]- جعفر بن علي: دخل جده الأكبر عبد الحميد إلى الأندلس من الشام ونزل بكورة البيرة، ثم تنقل حفيده حمدون إلى بجاية وصاحب أبا عبد الله الداعي، ولما تغلب الشيعي على افريقية ظهر علي بن حمدون الذي بنى مدينة المسيلة وتولاها، ولما هلك في فتنة أبي يزيد سنة 334ه/945 م تولى ابنه جعفر، وفي سنة 360ه/970 م هرب رفقة أخيه يحي إلى الأندلس بعد قتلهم زيري بن مناد، فاستوزره ابن أبي عامر ثم دبر له الحيلة في قتله سنة 378ه/988 م حيث واطأ في ذلك أبا الأحوص معن بن عبد العزيز فارس العرب، أما أخوه يحي فخرج إلى المغرب الأقصى ومنه التحق بمصر في خلافة العزيز بالله: ابن الأبار: المصدر السابق –ص173-174/ ابن حيان المصدر السابق –ص22-ص26./ ابن عذاري: المصدر السابق –ج2-ص242،ص179

[3]- ابن حيان: المصدر السابق: -ص36.

[4]- قرمونة: مدينة في الشرق من إشبيلية، وهي ميدنة قديمة بينها وبين استجة خمسة وأربعين ميلا: الحميري – المصدر السابق –ص461.

[5]- استجة: مدينة قديمة أزلية من قواعد الأندلس – ص126/ ياقوت الحموي: المصدر نفسه: -مج 1-ص146.

[6]- ابن حيان: المصدر السابق –ص150-151.

فلما طالت الحرب ولاقى منه شدة اتهم واضح الجنود البرزاليين بالدهان[1] وأنفذهم إلى ألندلس فأغزاهم ابن أبي عامر غليسية[2] رفقة ولديه عبد الملك وعبد الرحمن.

- **هجرة بني خزر:** وهم فرع من مغراوة وقد أجازت طائفة منهم إلى الأندلس رفقة جعفر بن علي وأخيه يحي وهم: عبدوس بن الخير بن محمد بن خزر ومسعود بن عطية بن عبد الله بن خزر ومقاتل بن أبي الغمر وعبد الله بن أبي دواس ومدين بن الخير بن خزر وسرغين وحمليل، فألحقهم الخليفة بجيش غالب لقتال الحسن بن قنون[3]، ثم التحق بهم محمد بن الخير بن محمد بن الخير وزيري بن خزر وابن عمهما بكساس بن سيد الناس.[4]
- **هجرة بني يفرن:** كان سبب جوازهم مهلك أميرهم ويعل يبن محمد على يد جوهر سنة 347هـ /958 م حيث فروا إلى الأندلس[5]، ثم كان جوازهم بعد هزيمة يدو بن يعلى أمام زيري بن عطية سنة 381هـ /991 م فر إلى الصحراء عندها قام بأمرهم ابن أخيه حبوس بن زيري بن يعلى، لكن صراع الزعامة داخل الأسرة جعل ابن عمه يدلس بن دوناس يثب عليه ويقتله طمعا في الرئاسة، فلما اختلف عليه قومه وأخفق أمله في اجتماعهم عليه أجاز إلى الأندلس سنة 382 هـ/992 م رفقة إخوانه أبي قرة وأبي زيد وعطاف نظمهم المنصور في طبقة ألأمراء والرؤساء[6]، وقد شارك هؤلاء في أحداث فتنة الأندلس عام 399هـ /1008م.

توفي أبو يداس إثر المعركة التي دارت في الأندلس بين سليمان المستعين ومحمد بن هشام بن عبد الجبار – المهدي – وقد برز من عائلته ابنه خلوف وحفيده تميم بن خلوف وابن أخيه يحي بن عبد الرحمن بن عطاف الذين استقروا رفقة سائر بني يفرن بمدينة رندة.[7]

1- صالح بن عبد الحليم: المصدر السابق –ص131.
2- غليسية: وتسمى كذلك جليقية وكورتها ماردة ومن مدنها شنت يقوب – يعقوب الحواري – وهي على ساحل البحر من ناحية الشمال من جهة الغرب: ياقوت الحموي: المصدر السابق: - مج 2-ص 72/ الحميري: المصدر السابق –ص 348.
3- ابن حيان: المصدر السابق –ص27،ص94-95-ص175.
4- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2082.
5- صالح عبد الحليم: المصدر السابق –ص148.
6- ابن خلدون: المصدر السابق–مج2-ص2072.، ص2082./ص
7- رندة: من مدن كورة تاكرنا بين اشبيليه ومالقة، وهي حصن قديم على نهر جار بها زرع واسع وضرع سابغ: ياقوت الحموي: المصدر السابق: مج2-ص425.

- **هجرة بني دمر:** أجاز الحكم المستنصر منهم جماعة، وكانوا أعيانا ورجال حرب فضمهم إلى عسكره، واستظهر بهم المنصور على شأنه، وكان من رجالاتهم نوح الدمري الذي تولى أعمال مورور، وأبو نوبخت بن عبد الله بن بكار[1].
- **هجرة أزداجة:** كانت هذه القبيلة البرنسية تقطن نواحي وهران، ولما انتشرت الدعوة الأموية في المغرب، وأخذت بها مغراوة وبنو يفرن، عقد الناصر ليعلى بن محمد على المغرب فزحف إلى وهران سنة 343هـ/954م وحصرهم بها حتى تغلب عليهم وفتح المدينة.عندها خرجوا ولحق الرؤساء بالأندلس ومنهم خزرون بن محمد.[2]
- **هجرة بني زيري:** ظهر هؤلاء على مسرح لأحداث كقوة عسكرية وسياسية خلال ثورة أبي يزيد حيث جرى أول اتصال بينهم وبين العبيديين عندما كان هؤلاء يطاردون الثائر في بلاد صنهاجة سنة 335هـ/946 م في عهد المنصور، فوافاه زيري ودخل طاعته فخلع عليه المنصور وعقد له على أهل بيته ومن اتصل بهم من صنهاجة والبربر.[3]

وجد العبيديون في قبيلة صنهاجة، وفي البيت الزيري بالضبط نصيرهم الثاني بعد كتامة، وقد تزعم زيري بن مناد ولاء قبيلته للعبيديين، وخدمهم مدة خمس وعشرين سنة، ولما قتل سنة 360هـ/970 م ولوا ابنه بلكين على ولاية افريقية والمغرب.

بدأ الانشقاق داخل البيت الزيري على عهد المنصور بن بلكين عندا خالف عليه عمه أبو البهار سنة 379هـ/989 م واستمر ذلك إلى خلافة باديس بن المنصور حيث عارضه عمومته ماكسن وزاوي وجلال ومعتز وعزم سنة 389هـ/998م، واستباحوا معسكر أخيهم يطوفت بتاهرت، فسرح لحربهـــــــــم عمه حماد بعد أن عقد له على أشير أين هزمهم وتقبض على ماكسن فقتله رفقة ولديه محسن وباديس[4].

---

[1]- صالح بن عبد الحليم: المصدر السابق: ص130./ ابن خلدون: المصدر السابق: ـمج2-ص2082.
[2]- ابن خلدون: المصدر السابق ـمج2-ص1860./
[3]- ابن عذاري: المصدر السابق ـج3-ص262./ المقريزي: اتعاظ الحنفا ـج1-ص84/ ابن خلدون: المصدر السابق ـمج2-ص1865.
[4]- ابن خلدون: المصدر السابق ـمج2ص1868./ ابن عذاري: المصدر السابق ـمج2-ص254.

لما فتك حماد بإخوته لجأ منهم زاوي بن زيري إلى جبل شنوة من ساحل مليانة ومنه رحل إلى الأندلس سنة 391هـ/1000 م، في بنيه وبني أخيه وحاشيته[1] حيث نزلوا على المنصور ابن أبي عامر فاتخذهم بطانة لدولته ونظمهم في طبقات الجند من زناتة وسائر رجالات البربر، فحملوا دولة المنصور وولديه المظفر والناصر من بعده إلى قيام الفتنة سنة 399هـ/1008 م أين اقتطع بنو زيري لأنفسهم غرناطة والبيرة.

- **الهجرات الفردية:** إضافة إلى الهجرة التي تمت بصورة جماعية كانت هناك هجرات فردية قام بها أشخاص فرادى، وكانت إما طلبا للعلم أو الجهاد أو التعليم، أو خوفا من البطش والقتل، بسبب الظروف السياسية والأمنية السائدة أنذاك، التي طبعتها الصراعات العسكرية والمذهبية، وفي هذا الإطار يمكن أو نورد الشخصيات المهاجرة الأتية:

- **ابو جعفر أحمد بن خلوف المسيلي:** ويعرف بالخياط، سكن الثغر أعواما كثيرة مجاهدا حتى شهر فيه وعلا ذكره، كان فقيها عالما بالمسائل حافظا على مذهب مالك، وتوفي سنة 393هـ/1002م.

- **حميد بن يصليتن:** قائد مكناسي خطب للامويين في تاهرت ثم لجأ إلى الاندلس فرارا من الشيعة 336هـ/947 م[2].

- **محمد بن الخير بن محمد اليفرني:** ارتحل إلى الأندلس برسم الجهاد، توفي سنة 393هـ/1002 م.

أبو مضر محمد بن الحسين التميمي الطبني: قدم إلى الأندلس من طبنة سنة 335هـ/946م، كان شاعرا عالما بأخبار العرب وأنسابهم، استوطن قرطبة وتوفي سنة 394هـ/1003م.

- **أبو الحسن علي بن سعيد بن أحمد الهواري:** قدم طليطلة سنة 399هـ/1008 م طلبا للعلم ثم أصبح محدثا بها[3].

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق –مج3-ص263.
[2]- ابن الفرضي: المصدر السابق – ج1-ص62
[3]- ابن بشكوال: الصلة – تحقيق بشار عواد معروف – دار الغرب ا لإسلامي تونس –ط1-2010م-ج1-ص46.

- **أبو محمد سرواس بن حمود الصنهاجي:** سكن طليطلة، كان محدثا ومعلما للقرأن، وتوفي في ربيع الأول سنة 391هـ/1000 م.[1]
- **أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني:** كانت له رحلتان إلى المشرق، أخذ العلم عن جماعة من أهل مكة ومصر والقيروان، ثم انتقل إلى مدينة قرطبة مع أسرته، مولده سنة 396هـ/1005 م ووفاته سنة 456هـ/1064م.

أبو العباس عبد الله الرعيني الباغاني: كان ملما بعلوم القرأن وفقه الإمام مالك، دخل الأندلس سنة 376هـ/986 م حيث قدم للإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة، واستأدبه المنصور لإبنه عبد الرحمن، وكانت وفاته سنة 401هـ/1010م.

أبو حسين بن سلمون المسيلي: تولى قضاء قرطبة، وكان من جلة المفتين وتوفي سنة 431هـ /1039م[2].

أبو الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز: ولد بتاهرت سنة 309هـ/921 م وقدم رفقة أبيه إلى قرطبة سنة 317 هـ/929 م، كان فاضلا اختص بالقاضي منذر بن سعيد البلوطي وسمع منه وتوفي سنة 395 هـ/1005 م[3].

أبو الحسن عبد الرحمن بن زيادة الله الطبني: وهو أخو أبو مروان السابق، وكان صاحب فضل وأدب وزهد، توفي سنة 401 هـ/1010 م.

---

[1]- نفح الطيب: المصدر السابق –ج9ص259./ الحميري: المصدر السابق –ص387.
[2]- القاضي عياض: المصدر السابق –مج2-ص 289.
[3]- ابن بشكوال: المصدر السابق–مج1-ص 135./ الذهبي: العبر –ج2-ص 186-187./ الضبي: المصدر السابق –ج1-ص 248.

الفصل الثالث

الصراعات القبلية والمذهبية بالمغرب الإسلامي

- علاقة الدولة الفاطمية في المشرق بالمغرب
- القطيعة مع الدولة الفاطمية
- الصراع الهلالي الزيري
- انتقال بني زيري إلى المهدية
- حصار القيروان واجتياحها
- الصراع الهلالي الحمادي
- الصراع الهلالي الزناتي ونتائجه
- انتقال بني حماد إلى بجاية

علاقة الدولة الفاطمية في المشرق بالمغرب

بعدما نظم بلكين دولته وأخمد الثورات وعين الولاة على الأقاليم، بعث بهدية إلى المعزلدين الله الفاطمي في ربيع الأول سنة 365هـ، وفي طريقها إليه بلغه وفاة الخليفة، فردها من طرابلس وبعث هدية أخربإلى خليفته العزيز بالله، فكانت أول هدية تصل إليه فسر بها، وأرسل إليه العزيز بالله دنانير مضروبة باسمه إلى المغرب، حيث أصبحت متداولة بين الناس وأقر بلكين على ولاية افريقية والمغرب[1].

كانت الأموال التي تفرض على أهل المغرب ترسل إلى القاهرة، ففي سنة 367هـ بعث عبد الله الكاتب، عامل افريقية من قبل العزيز بالله، المال في صرر وكتب على كل صرة اسم صاحبها الذي غرمت منه، ولما وصل المال إلى مصر رد العزيز بالله بعض الصرر إلى المغرب، وفي نفس السنة ألحق العزيز بالله طرابلس ونواحيها إلى بلكين بن زيري وذلك بطلب هذا الأخير وفي سنة 373هـ، بعث بلكين بن زيري ولده المنصور إلى القيروان لتجهيز هدية وبعثها إلى مصر فقام بذلك وكانت أول هدية خرجت على يده[2].

لما تولى المنصور بن بلكين الحكم وتسلم سجل التقليد من العزيز بالله الفاطمي، وفد إليه بأشير وجوه الناس من مدن افريقية على رأسهم أعيان القيروان وتوجه معهم عبد الله الكاتب عامل القيروان، بغية التعزية في والده والتهنئة بالولاية قال لهم المنصور: " إن أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهرا، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان وما أنا في هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب لأني ورثته عن أبائي وأجدادي، وورثوه عن أبائهم وأجدادهم حمير". ثم أجزل لهم العطاء أمرهم بالانصراف[3].

من خلال حديث المنصور مع الوافدين إليه يتضح لنا انه عازما على الانفصال عن الدولة، ويبدو أنه ماقاله بأشير وصل إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله وهكذا أصبحت العلاقة

---

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج.8، ص. 263، ابن عذاري:المصدر السابق، ج1، ص 229، المقريزي: اتعاض...، ص. 294، ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص. 166.
[2]- ابن عذاري : المصدر السابق، ج.1، ص.ص. 230 – 238.
[3]- النويري: المصدر السابق. ص. 320 ؛ روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص.99.

بين الخلافة الفاطمية والدولة الزيرية، في عهد المنصور متوترة خاصة.[1] شعر العزيز بالله أن نائبه بالمغرب في حالة قوة وبأس فرأى أن يعمل على أضعافه بإثارة القبائل الموالية للفاطميين خاصة كتامة التي كانت حاقدة على صنهاجة حيث أن هذه الأخيرة سلبت منها نيابة الفاطميين بالمغرب فعمل العزيز بالله إلى تأليب كتامة عليه، بإرسال داعية إليهم يلقب بأبي الفهم وهو خراساني قدم سنة 376هـ، فأنزله يوسف بن عبد الله الكاتب عامل القيروان، وأجرى عليه جرايات جليلة وأعطاه أموالا وبره وأكرمه فطلب أبو الفهم الخروج إلى بلاد كتامة يدعو وينتهي إلى ما أمره به الخليف الفاطمي فكاتب يوسف أباه الذي كان مع المنصور بالمغرب الأوسط، فأجابه والده بتنفيذ طلبات الداعي فأجزل له العطاء وتركه يتوجه إلى قبيلة كتامة[2].

وهناك اجتمع إلى أبو الفهم الخرساني الداعي خلق كثير من كتامة، حتى صار يركب الخيل، ويجمع العساكر، ويعمل البنود، ويضرب السكة، فعظم أمره وشاع خبره في المغرب حتى أصبح يشكل خطرا على الدولة الزيرية[3].

يبدوا أن المنصور لم ينفذ الأمر، وأبقى الرسولين في المنصورية وتوجه إلى كتامة للقضاء على ثورة أبي الفهم في سنة 378هـ، فمر على ميلة وأمر بخرابها وهدم سورها وأمر أهلها بالهجرة منهاإلى باغاية. فنفذوا الأمر، فلقيهم ماكسن بن زيري بعسكره فأخذ ماكان معهم من مال وغيره، وكان المنصور في هذه الحركة لا يمر بمنزل ولا قصرولا دار إلا وأمر بهدمه ولما وصل المنصور إلى كتامة حاربوه فظفر بهم وقتلهم واستأصلهم وهرب الثائر أبو الفهم إلى جبل وعر[4].

أرسل إليه المنصور من أسره فلما صار يبن يديه أمر بتعذيبه حتى الموت وقتل مع الثائر جماعة من وجوه كتامة وأنزل بهم الذل والهوان وولى بلدهم لقائده أبا زعبل وأولاده وبقيت ميلة

---

[1]- ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص. 76؛ حسن علي حسن: الغزو الهلالي للمغرب " أسبابه ونتائجه " ؛ المجلة التاريخية المصرية، مج 24 ؛ العدد 24 ؛ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ؛ مصر، 1977.

[2]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج. 1، ص. 240 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 9، ص. 21.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 157 ؛ النويري: المصدر السابق، ص. 321 ؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية....؛ ص. 237 – 238.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 233 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3 334.

خرابا ثم عمرت بعد ذلك ودخل المنصور إلى أشير ورد أبا العزم وابن الوزان رسولا[1] العزيز بالله إلى مصر ليخبراه مافعله بالداعي[2].

ولم يرض الخليفة الفاطمي العزيز بالله بهذه الهزيمة التي منيت بها سياسته فعاد يعمل على إثارة كتامة من جديد، فقامت ثورة أخرى بقيادة رجل يلقب بأبو الفرج الخرساني الداعي، زعم أن أباه من ولد الخليفة القائم بأمر الله الفاطمي، فاتخذ البنود والطبول وضرب السكة وقامت بينه وبين عامل المنصور بن بلكين معارك بمدينة ميلة، انتصر فيها الداعي فسار إليه المنصور بنفسه وقضى على ثورته وقتله هو الأخر..

بعدما كسر المنصور شوكة كتامة عاد إلى القيروان وتتبع جميع من كانت له علاقة بثورة كتامة من قريب أو من بعيد فأمر بعقابهم وهد ديارهم وعمل على تهجيرهم من القيروان[3].

نلاحظ أنه رغم ما أحدثه أبو الفهم الداعي بالمغرب لم يطرأ تغير على العلاقات القائمة بين الفاطميين وبني زيري على الأقل على المستوى الرسمي، فالدليل على هذا أن العزيز بالله أرسل هدية إلى المنصور دون الحديث عن الثورتان اللتان دبرهما، فيخبرنا ابن أبي دينار أن المنصور تلقى سجلا وهدية من القاهرة بولاية عهد باديس ابنه فسر بذلك. وفي سنة 484هـ تلقى المنصور هدية أخرى من القاهرة[4].

بعد وفاة المنصور بن بلكين سنة 386هـ، وصل القاضي الباهري رسول القاهرة إلى المنصورة، فاستقبله باديس أحسن استقبال وقرأ سجلين بجامع القيروان والمنصورية أحدهما بولاية أبي مناد (باديس)، وتلقيبه نصير الدولة والثاني بوفاة العزيز بالله وخلافة لحاكم بأمر الله، والجواب عن وفاة المنصور عدة العزيز بالله وكان معه سجل ثالث يأخذ العهد على باديس وجماعة بني مناد

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 233 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3 334.
[2]- حسب النويري أنه عندما وصلا رسول العزيز يالله أبا العزم وابن ميمون إلى القاهرة قالا الخليفة:" لقد جئنا من عند شياطين يأكلون لحم بني أدم ولسوا من البشر في شيء " يبدو أن من قام بهذا الفعل هم عبيد المنصور من بلاد السودان أكلين لحوم البشر. (نهاية الأرب، ص. 322).
[3]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 231 ؛ حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، ج.2، ص.ص.165 – 166.
[4]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج.9، ص. 22.

للحاكم فجلس أبو مناد وأخذ عليهم البيعة ثم رجع القاضي الشريف الباهري إلى مصر بعد أن وصله أبو مناد بمال كثير[1].

لقد اتبع الحاكم بأمر الله سياسة مغايرة ومختلفة تماما عن سياسة والده العزيز بالله التي كانت تقوم على تأليب القبائل البربرية على القيروان ودعمها حتى يبقى الزيريون دائما في صراع ولا يفكرون في الاستقلال عن القاهرة لكن بعد وفاة الخليفة الفاطمي العزيز بالله وتولي الحاكم بأمر الله الذي حاول أن يفتح صفحة جديدة من العلاقات الودية بين القاهرة وحكام القيروان فنراه عقب توليه الخلافة يرسل سجلين إلى أبي مناد باديس بن يوسف ويلقبه في أحدهما بنصير دولة الحاكم وفي السجل الثاني يعلمه بتوليه الخلافة بعد وفاة والده العزيز بالله[2].

كانت العلاقة بين الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي وباديس طيبه وتبادل الهدايا والسجلات أحسن دليل على ذلك حتى أن الحاكم كان يخبر باديس على أمور الخلافة الفاطمية حيث يذكر ابن عذاري في ذلك أنه في سنة 404هـ وصل سجل من الحاكم إلى نصير الدولة يذكر فيه أنه جعل ولاية العهد في حياته لابن عمه أبي القاسم عبد الرحمان بن إلياس فقرى بجامع القيروان والمنصورية وأثبت اسمه مع اسم الحاكم في البنود والسكة. فعظم ذلك على نصير الدولة وقال:" لو لا أن الإمام لايعترض على تدبير لكاتبته ألا يصرف هذا الأمر من ولده إلى ابن عمه"[3].

وفي سنة 405هـ، بعث نصير الدولة هدية جليلة إلى الحاكم وشيعها بالطبول والبنود من المنصورية، فوصلت إلى المهدية وركب البحر بها يعلى بن فرج، وكان فيها مائة فرس ولها سروج محلاة شدت في ثمانية عشر جملا أقفاصا[4]. وكان فيها ثمانية وعشرين حملا من الخز، والسمور، والمتاع السوسي، المذهب النفيس وعشرون وصيفة بارعة الجمال وعشرة من الصقالبة وغيرذلك. ووجهت السيدة أم ملال أخت نصير الدولة إلى السيدة أخت الحاكم هدية أيضا، ولما

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص. 241، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 77 ؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص. 559.
[2]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص. ص 248 - 249.
[3]- المقريزي: المصدر اتعاظ الحنفاء، ج.2، ص.16 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3، ص.377.
[4]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج. 1، ص 260 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج.3، ص.272 – 273.

وصلت تلك الهدايا إلى جهة برقة حاول عرب بنوقرة[1] الاستيلاء عليها، فهرب يعلى بن فرج، وأسلمها بجميع ما فيها إلى الخليفة العبيدي[2].

بعد وفاة باديس بن المنصور تولى المعز بن باديس الحكم وهو ابن ثمانيةسنين أي في سنة 406هـ/ 1015م، فقام بالأمر أعمامه ورجال دولته حتى بلغ سن الرشد وبدأ يحكم منفردا حوالي سنة 418هـ/ 1024 وقد أبدى مهارة كبيرة في إدارة شؤون البلاد وخاص حروبا طويلة مع خصومها، ففي عهده وقعت حادثة القيروان التي قتل فيها الشيعة، وحول هذه الاضطرابات بين العامة والشيعية فقد ذكر ابن عذارى أن مربي المعز بن باديس حسن بن أبي الرجال المالكي ورعا زاهدا وكانت افريقية كلها والقيروان على مذهب الشيعة وعلى خلاف السنة والجماعة فحرض ابن أبي الرجال المعز بن باديس وأدبه ودله على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة والشيعة لا يعلمون ذلك، ولا أهل القيروان فخرج المعز في بعض الأعياد إلى المصلى في زينته وحشوده وهو غلام فكبا به فرسه فقال عند ذلك:"أبو بكر، وعمرا" فسمعته الشيعة التي كانت في عسكره فبادروا إليه ليقتلوه فجاءت عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان ووضع السيف في الشيعة فقتل منهم ماينيف على الثلاثة آلاف فسمى ذلك المكان ببركة الدم إلى الآن[3].

إضافة إلى هذا أن عامل القيروان حرض العامة على تتبع الشيعة وقتلهم عندما بلغه أن المعز بن باديس يريد عزله فأراد الفساد فقتل الشيعة وأحرقهم بالنار ونهبت ديارهم وقتلوا في جميع افريقية واجتمع جماعة منهم إلى قصر المنصور القريب من القيروان. فتحصنوا به فحصرتهم العامة وضيقوا عليهم فاشتد عليهم الجوع وأقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا على آخرهم، بينما يرى ابن أبي دينار القيرواني أن طائفة من عامة القيروان قتلوا جماعة من

[1]- عرب بنوقرة: استقروا ببرقة منذ الفتح العربي للمغرب فكانت هذه القبيلة تحالف جميع الحركات المتمردة على دول المغرب وتقوم بالسلب النهب على القوافل التجارية والحجاج المغاربة فهم أبناء عمومة القبائل الهلالية وعرب بنو قرة هم الذين حفزوا واستدعوا العرب الهلاليين إلى الهجرة من مصر إلى المغرب فكانت لهم اتصالات مع إخوانهم العرب المتواجدين في الصعيد المصري. أنظر المبحث الأول من الفصل الثاني.

[2]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج.9، ص 53 ؛ جغلول عبد القادر: مقدمات في تاريخ المغرب القديم والوسيط، ترجمة فضيلة حكيم، بيروت، دار الحداثة، 1982.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج. 1، ص 273 ؛ محمود إسماعيل: المالكية والشيعة بافريقية، المجلة التاريخية المصرية مج. 22، 1976، ص.36.

الشيعة. لأنهم كانوا يتجاهرون بمذهبهم الخبيث فقتلت نساؤهم وأولادهم وكانت فتنة القيروان من أجل النهب والقتل ولجأت طائفة من الشيعة بالجامع في المهدية فقتلوا فيه وكان لايرى بالقيروان أحد منهم في الطريق إلا ضرب ضربا عنيفا وربما قتل وأحرق[1].

لقد عمل المعز على إعادة نشر المذهب المالكي بافريقية ونبذ المذهب الإسماعيلي وكان يهدف من وراء ذلك إلى الانفصال الديني والسياسي عن القاهرة. وذكر جل المؤرخون أن المعز اضطهد الشيعة في إفريقية، وقتل من هم عددا عظيما، وسميت هذه الحركة بحركة التطهير، فإن هذه الحركة التطهيرية كانت أبعادها تتمثل في محاولة إرضاء أنصار المذهب المالكي الذين لقوا اضطهادات في عصر السيادة الشيعية في افريقية أو حركة رد فعل لما وقع لهؤلاء في مصر على يد الخلفاء الفاطميين لا سيما في عهد الحاكم والظاهر[2].

ولم يكن المعز بن باديس المسؤول الوحيد عن حادثة قتل حادثة الشيعة في المغرب فولاة الأقاليم هم أيضا مسؤولون عن ذلك فقد قاموا بتحريض الجماهير على تتبع الشيعة في أقاليم المغرب ومصادرة جميع ما يمتلكونه فاستغلوا الوضع وقاموا بالاعتداء عليهم ومطاردتهم في جميع أرجاء المغرب، ولا ننسى دور الفقهاء المالكية الذين هم يعتبرون المحرك الرئيسي لهذه العملية فقاموا بتعبئة عامة القيروان التي هي قاعدة المذهب المالكي المعارض للدولة الفاطمي ومذهبها الشيعي.

في هذا الظرف رجع بعض مهاجري صنهاجة من الأندلس الأموية بتزعمهم زاوي بن زيري إلى افريقية بغية مشاركة المعز في الحكم واستقبلوا أحسن استقبال غير أن وزراء المعز خافوا دخوله عليهم أن يكدر ما صفا لهم من مكانة في السلطة ورأوا أن ولاية المعز على طفولته وعيشهم معه وتحكمهم عليه ، أخف عليهم من تولية داهية مثل زاوي فدس إليه من سقاه السم ومات بالمغرب[3].

---

[1]- ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص. 82 ؛ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص.ص.113 – 114؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3، ص. 383.

[2]- موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979. ص. 36.

[3]- عبد الله بن بلكين: مذكرات الأمير عبد الله، ص.55 ؛ عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص.41.

يبدو أن الدولة الفاطمية لم يصدر عنها أي رد فعل عن حادثة قتل الشيعة[1] بإفريقية بل عكس ذلك ففي سنة 411هـ، ورد على المعز بن باديس أبو القاسم بن يزيد رسولا من الحاكم بأمر الله حاملا معه سيفا مكللا بنفيس من الجوهر وخلعة من لباسه لم ير الناس مثلها فلقيه شرف الدولة المعز في أجمل زي وأكمل هيئة، فقرئ عليه سجل فيه من التشريف، مالم يصل لأحد قبله، فسر بذلك وفيها ورد أيضا محمد ابن عبد العزيز بن أبي كديه بسجل آخر من الحاكم. جوابا للمعز عما كان فيه من أخبار الأندلس وانقراض الدولة الأموية منها وقيام القاسم بن حمود فيها، فشكره على ذلك وبعث إليه خمسة عشر علما منسوجة بالذهب وركبمعز بن باديس والأعلام المذكورة بين يديه[2].

بعد فترة وجيزة وكأنما حادثة قتل الشيعة وتتبع فلولهم في جميع أنحاء افريقية لم تحدث أبدا ففي نفس السنة وصل المعز سجل آخر بزيادة لقب آخر، فلقيه أحسن لقاء وخلع عليه وحمله وجرت المكاتبة من ذلك الوقت بهذا التشريف الجليل تشريفا لشرف الدولة وأمر أن يكاتب: "من الأمير شرف الدولة وعضدها" ويخاطب بالمثل[3].

يبدو أن المعز قد قدم اعتذاراته إلى الخليفة الفاطمي وألقى مسؤولية الاضطرابات على الرعاع، إضافة إلى هذا فقد قام المعز بن باديس بقتل إمام السنة ووزيره أبي الحسن بن أبي الرجالوذلك لامتصاص غضب الخلفاء الفاطميين[4].

ويجدر القول أن الخليفة الفاطمي كان يعتبر أن سلطة بني زيري هي القوة الوحيدة في المغرب القادرة على التصدي للتعصب السني الحريص على التخلص من الهيمنة الفاطمية الشيعية. وحتى يوطد العلاقات بين القاهرة وافريقية فقد كان للمعز بن باديس نائبه في القاهرة وهو بمثابة الممثل أو وكيل الأعمال.

---

[1]- إن الدولة الفاطمية في هذه الفترة لم تكن لها القدرة على نصر أتباعها الشيعة في المغرب لأنها في حالة لا تسمح لها بفعل أي رد فعل إضافة إلى هذا قوة الدولة الزيرية في خاصة في عهد المعز بن باديس الذي شهدت دولته عصر الازدهار والتقدم في جميع الميادين. (حسن أحمد محمود بنو زيري وسياسيتهم الداخلية، ص.184)

[2]- ابن عذاري: المصدر السابق،ج. 1، 269 ؛ محمود مقديش: المصدر السابق، مج.1، ص. ص 367 – 368 ؛ روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص.ص. 180 181.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج. 1، ص 272.

[4]- أبي بركات عبد العزيز الميمني الراحكوتي، المعز بن باديس " حياة ابن رشيق، وترجمة ابن شرف القيروان وابنه جعفر، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة 1343 ه ص. ص. 12 – 13 ومابعدها.

وقد استدعاه الوزيرالفاطمي هذا الوكيل لسماع منه أسباب الحادثة التي وقعت في المغرب، وسأله عن المسؤول الذي قام بها، فأرجع ممثل القيروان هده الحادثة إلى مجموعة من المتمردين عن السلطة الزيرية المتعطشين للنهب والسلب، وتم القبض عليهم ونالوا العقاب من المعز بن باديس، فنالت هذه التبريرات رضا الخليفة الفاطمي الذي زاد في تقديرها وسيشهد الصراع بين المالكية والشيعية فترة هدوء نسبي متواصل زهاد العشرين سنة إلى أن تلوح في الأفق بوادر القطيعة مع القاهرة[1].

إذا نظرنا في العلاقة التي كانت تربط بين الأمراء الصنهاجيين وبين الخلفاء الفاطميين بمصر وجدناها علاقة شكلية، لأن الفاطميين وإن كانت تصدر عنهم مراسيم التسمية والتشريف لأمراء المغرب لكنهم لم يتدخلوا في تسير الأعمال ولا في تعين العمال إذ لم تكن لهم غاية من الإبقاء على هده السلطة التقليدية سوى التظاهر بتبعية السلطان والعظمة وامتداد النفوذ. وحتى الهدايا النفيسة التي كانوا يتبادلونها بين الحين والآخر لاتدل على استحكام الصلة والمودة بين الجانبين ولكنها دخلت في حكم العادات وتقاليد فقد ولم تكن تركز إلى التبعية، ربما تتجلى فيها لون من النفاق والخدع لأنها كثيرا ماتقدم في ظروف وملابسات لم تخل من كيد وترصد. نجد أن المعز رغم استخفافه بالخلافة وصله تشريفا ولقبا منها في عهد الحاكم بأمر الله فأصبح يدعى بشرف الدولة[2].

وفي مجمل القول أن مذابح سنة 407هـ تمثل انفجارا التعصب الناتج عن تضافر أعمال بعض النشطاء الفقهاء المالكيين الأجلاء الذين لهم وزن وكلمة لدى العامة فهم المحرك الأول للحادثة، أما بالنسبة إلى دور الأمير الشاب المعز بن باديس فيبدوا أنه كان زهيدا ومشوها بواسطة الخرافات التي ظهرت بل أن السلطة قد توصلت إلى إرجاع الأمن إلى نصابه فنالت رضا الخليفة الفاطمي الذي زاد في تقديرها وسيشهد الصراع بين المالكية والشيعة فترة هدوء نسبي ستتواصل زهاء العشريين سنة خلالها يتم تبادل الهدايا والسجلات التي لا تعبر عن تبعية

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق، ص 278 وما بعدها.

[2]- اليافعي اليمني (أبو عبدالله ابن سعيد): مرآة الزمان وعبرة اليقضان في معرفة يعتبر من حوادث الزمان، بيروت، 1970، ط 2، ج 3، ص 75، إبن أبي دينار: المصدر السابق ص.ص.82 - 83.

المغرب إلى الدولة الفاطمية وإنما هي تدخل في العادات التي ألفها ملوك القاهرة في التعامل مع نوابهم في القيروان[1].

❖ القطـيعة مع الدولة الفاطمية:

يبدوا أن الخليفة الفاطمي الظاهر لم يمنح المعز بن باديس أي تشريف جديد منذ وصول السجلات التي ووجهها إليه في سنة 415هـ / 1024 وقد شهدت الخلافة الفاطمية

بعض الاضطرابات المتمثلة في المجاعات الفظيعة والنزاعات الدامية بين المرتزقة والأتراك والمغاربة والسود، وخاصة بعد وفاة الظاهر سنة 427هـ /1036م. وقد أنصت توليه المستنصر الذي لم يكن يتجاوز عمره سبع سنوات. في شعبان 427هـ/ 1036م. إلى تعزيز مركز الذي يبقى في الحكم حتى وفاته سنة 436هـ/ 1045م[2].

قد أوهنت الدعاية العباسية سلطة الفاطميين فكان خليفة بغداد يعقد من حين لأخر اجتماعات بحضور فقهاء السنة والأشراف لتحرير محاضر بالقدح في نسب الخلفاء الفاطميين ونفيهم الانتساب إلى علي ين أبي طالب، حيثأصبحت العلاقة بين الدولة الفاطمية وبنو زيري في تدهور مستمر إلى أن أظهر المعز بن باديس الولاء للخليفة العباسي وقطع الدعوة لبني عبيد.

فحسب ابن عذارى أنه في سنة 440هـ/1048م، عند رحيل بنو عبيد إلى مصر لم تزل ملوك صنهاجة يخطبون لهم بافريقية ويذكرون أسماءهم على المنابر وتمادى الأمر على ذلك حتى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة فرارا من دعوتهم وتبديعا لإقامتها بأسمائهم[3].

نلاحظ أن ابن خلدون هو الأخر يتفق مع ابن عذارى في تاريخ القطيعة حيث يذكرأن المعز خاطبه وزيرالفاطميين أبو القاسم الجرجرائي محذرا إياه بالتعريض لخلفائه والمزج فيهم حتى أظلم الجو بينهما وزادت المشاحنات إلى أن قطع المعز الدعاء للقاهرة سنة أربعين وأربعمائة

[1] George Marçais: Les Arabes en Berberie, P. 584- 585.

[2]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج. 1، ص. ص 276 – 277.

[3]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 9، ص. 15.

على عهد المستنصر الفاطمي وأحرق بنود الشيعة ومحا اسمهم من الطرز والسكة ودعا للقائم بن القادر من خلفاء بغداد ووصله جواب الخليفة العباسي القائم بأمر الله[1].

أرسل الخليفة العباسي رسولاً يدعى أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي مصحوباً بكتابه وكتاب عهد هصحبة داعيته ففي سنة 435هـ أظهر المعز بن باديس ببلاد افريقية الدعاة للدولة العباسية وخطب للإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ووردت عليه الخلع والتقليد ببلاد افريقية وجميع ما يفتحه في أول كتاب الذي مع الرسل:" من عبد الله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحد ثقة الإسلام وشرف الإمام وعمدة الأنام ناصر دين الله.. قاهر أعداء الله ومؤيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي تميم المعز بن باديس بن المنصور ولي المؤمنين بولاية جميع المغرب وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين..." ونص طويل[2].

وأرسل أيضا الخليفة العباسي إلى المعز بن باديس سيفا وفرسا وأعلام على طريق القسطنطينية فوصل ذلك اليوم الجمعة فدخلت الأعلام إلى جامع القيروان صار المعز يسب بني عبيد على منابره ويدعو لبني عباس ومحا أسماءهم من السكة، ونقش فيها: "ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين"، وفي الوجه الآخر"لا إله إلا الله محمد رسول"[3].

نلاحظ أن تبديل السكة وحرق الأعلام الفاطمية واستبدالها بالأعلام العباسية، دلالة على القطيعة بين الخلافة الفاطمية وبنو زيري فيقول ابن عذاري في ذلك، وفيها أي سنة 441هـ ضرب الدينار المسمى بالتجاري فأمر المعز بن باديس بتبديل السكة، ثم بث في الناس قطع سكتهم وزوال أسماءهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله. وقد كان قطع أسماءهم من الرايات والبنود[4].

1- ابن عذاري: المصدر السابق، ص277.
2- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص 172.
3- ابن عذاري: المصدر السابق، ج. 1، ص 278.
4- نفسه، ص 280 وما بعدها.

وأمر المعز بلعن بني عبيد في الخطبة وخلعهم ولما كان عيد الأضحى أمر الخطيب أن يسب بنوعبيد فقال: "اللهما العن الفسقة الكبار المارقين الفجار أعداء الدين وأنصار الشيطان، المخالفين لأمرك. والمناقضين لعهدك المتبعين غير سبيلك، المبدلين لكتابك اللهم والعنهم لعنا وبيلا وأخزهم خزيا عريضا طويلا، اللهم وان سيدنا أبا تميم المعز ابن باديس بن المنصور بن القائم لدينك والناصر لسنة نبيك والرافع للواء أوليائك يقول مصدقا لكتابك وتابعا لأمرك مدافعا لمن غير الدين وسلك غير سبل الراشدين المؤمنين" وأمر المعز بن باديس للخطيب أن يسبهم على منبر القيروان بأبشع من هذا السب فلما كان في الجمعة الأخرى أبلغ في ذلك يما فيه شفاء لنفوس المؤمنين[1]. لقد كان المعز بن باديس يكاتب الوزير الجرجرائي مستميلا ومعرضا بالتحزب معه على بني عبيد الله وإنما يفعل ذلك رمز وتعريضا له لعله يرى منه قبولا له فيجد في السعي معه على القوم وكتب إلى الجرجرائي مرة بخطه قطعة تمثل بها منها:

وفيك صاحبت قوما لأخلاق لهم   لولاك مكنت أدري أنهم خلقوا.

يشير إلى بني عبيد ويزعم أنه إنما أبقى عليهم بعض الإبقاء من أجل حبه فيه، فلما وقف الجرجرائي عليها قال:" ألا تعجبون من هذا الأمير صبي مغربي بربري يريد أن يخدع شيخ بغداديا عربيا." وإنما اتهمه بأنه فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم إن عثروا على هذه الرموز ما زال المعز بن باديس يسب الشيعة ويتبعهم في مملكته إلى أن كتب إليه المستنصر بالله يتهدده في القول له:" هل اقتفيت أثار أبائك وأجدادك في الطاعة والولاء... وفي كلام طويل فأجابه المعز:"إن أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم". واستمر على قطع الخطبة ولم يخطب بعد ذلك بافريقية لأحد من بني عبيد[2].

ومن هذا النص نستنتج إخفاق المستنصر بالله في منع المعز بن باديس من الاستمرار في عدائه إلى الدولة الفاطمية والاستهزاء بوزيرها اليازوري الذي بدأ يفكر في اتخاذ خطوة أكثر

[1]- التيجاني: المصدر السابق، ص 19.
[2]- ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 84، محمود مقديش: المصدر نفسه، ص،32.

حسما وقمعا وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن الخليفة الفاطمي قد أصبح ينتظر الفرصة للانتقام من المعز المارق عن الخلافة الفاطمية[1].

تعتبر دولة بنو حماد شعبة من دولة بنو زيري، وكان المنصور بن بلكين عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة وكان يتداولها مع أخيه يطوفت وعمه أبي البهار ثم استقل بها سنة سبع وثمانين أيام باديس.فخالف حماد دعوة باديس وقتل الرافضة وأظهر السنة ورضى عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين جملة وراجع دعوة آل عباس وذلك سنة خمس وأربعمائة، وزحف إلى باحة فدخلها بالسيف ودس إلى أهل تونس الثورة على المشارقة والرافضة فأبادوهم[2].

يلاحظ من كلام ابن خلدون بأن حماد بن بلكين سبق المعز بن باديس في الانفصال عن الدولة الفاطمية والدعوة إلى الخلافة العباسية. ويرى الأستاذ جورج مارسيه أن سبب قطع حماد علاقته مع باديس والخليفة الفاطمي في آن واحد هو محاولة باديس تولية ولده المنصور على المغرب الأوسط فرفض حماد دلك فعمل على قتل الرافضة وتتبعهم ومبايعا العباسين بعد ذلك[3].

استطاع الصنهاجيون أن يجنوا ثمرة موالاتهم للفاطميين فحكموا المغرب تحت راية الفاطميين ولم يبق الصنهاجيون على دولة واحدة إذ سرعان ما انقسمت دولتهم إلى دولة بني زيري بالمغرب الأدنى ودولة بني حماد بالمغرب الأوسط، وبعد مدة زمنية أعلنوا الانفصال السياسي والمذهبي عن الفاطميين، وهنا نسجل حكم البربر لبلادهم.

وقدرتهم على تسير أمور دولتهم، كما نسجل فشل الفاطميون في ترسيخ مذهبهم ببلاد المغرب الذي لم يستطع أن يحل محل المذهب المالكي الراسخ منذ العهود السابقة والواضح أن ذلك الانقسام السياسي كان سببه الرئيسي الاختلاف المذهبي كما يبدو في إعلان الصنهاجيين للدعوة للعباسيين تعبيرا على ولائهم لبيت النبوة معوضيين في ذلك الولاء للفاطميين المدعيين

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص 171.
[2]- جورج مارسيه: المرجع السابق، ص 19-.20.
[3]- حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، ص.ص. 686 -687.

انتسابهم لأل البيت.هذا الانقسام المذهبي والسياسي كان سببا رئيسيا في دعم وتشجيع الفاطميين للقبائل الهلالية على اجتياح المغرب انتقاما من الزيريين المنشقين عن طاعتهم[1].

تشكل حلف الهلاليين من مجوعة من القبائل أشهرها بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وبنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وبنو جشم بن معاوية بن بكر وغيرها من القبائل التي انضمت إليها بحكم الجوار وبحكم المصالح المشتركة وقد أطلق على هذا الحلف اسم الهلاليين وربما كان ذلك بوجود الزعامة في بني هلال باعتبارها أقوى القبائل العربية وكان ذلك لسهولة الاسم ودورانه على الألسنة.

❖ الصراع الهلالي الزيري:

أما موطن هذه القبائل فكان مجاله منطقة الحجاز ونجد وذلك باختلاف المرعى وأسباب الحياة، فبنو سليم مواطنهم في نجد أما بنو هلال ففي جبل غزوان عند الطائف ولم تكن هذه المواضع وطنا ثابتا لهذه القبائل إذ أن ظروفهم الاقتصادية والسياسية كانت تدفعهم إلى التجوال والحركة في الجزيرة العربية[2] فكانوا مصدر قلق واضطراب منذ قيام الدولة العباسية حيث أنهم كانوا يطرقون العراق والشام في رحلة الشتاء والصيف يقطعون الطرق على القوافل التجارية ويدخلون أسواق الحجاز ويأخذون منها ما أرادوا، حتى أن قوافل الحجيج لم تسلم منهم فكانوا يغيرون على الحجاج ويسلبونهم كل ما يملكونه فقد تكرر عدوانهم سنويا عليهم حتى انقطع الحج في بعض العوام، ولم تستطع الخلافة العباسية الحد من عدوانهم فكثيرا ما كانت تحاربهم لكن النصر يكون حليفهم في جل المعارك وذلك لشجاعتهم القتالية وأعدادهم الهائلة[3].

[1]- النويري: المصدر السابق، ص 3، ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 172، ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص.266 ؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، الإسكندرية، ص.ص. 580 – 581.

[2] - المقريزي: البيان والإعراب عما حل بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عبدين، القاهرة، عالم الكتب للطباعة والنشر، 1961، ص. ص.125 – 126 ؛ الهمداني الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، الرياض، منشورات دار اليمامة، ص.121 ؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، القاهرة، 1952، ج.5، ص. 134 ؛ سعيد يوسف الحوتي، الموسوعة العلمية في أنساب القبائل العربية ط.1، مطبعة أبو العزم، الإسكندرية، 2002، ص. 430.

[3] - القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، 1962. ص.117 118، أحمد صالح علي محاضرات في تاريخ العرب، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1981، ج.1، ص. 22- 23.

فلما ظهرت حركة القرامطة بالبحرين وعمان كانت فرصتهم السانحة في تحقيق أغراضهم في السلب والنهب وجمع المال بشتى الطرق، ومن ناحية أخرى فقد رحب زعماء هذه الحركة بهذه القبائل وذلك لتحقيق أهدافهم وأطماعهم السياسية، لذا كان هناك تحالفا بين عرب بني هلال والقرامطة[1].

فانتشرت الدعوة القرمطية وانضم إليها جميع الناقمين على الدولة العباسية فاستطاعوا أن يستولوا على بعض مدنها بل حتى أنهم هددوا عاصمة الدولة بغداد واتجهوا إلى الشام واستولوا على مدنه[2]، وقد تكررت غارات القرامطة على مصر، فاضطر المعز لدين الله ومن بعده ابنه العزيز بالله يدخل في صراع مسلح ضد القرامطة وحلفائهم من القبائل الهلالية وينجح هذا الأخير في صد هجوماتهم وإجبارهم على العودة إلى مواطنهم الأولى بالبحرين وعمان، وذلك بمساعدة القبائل الهلالية الذين اتفقوا مع العزيز بالله على التخلي عن القرامطة مقابل المال[3]، فتم ذلك وكان النصر حليف الفاطميين الذين استطاعوا التوسع في الشام ونشر دعوتهم دون أي رد فعل من العباسين[4].

قام الخليفة الفاطمي العزيز بالله بنقل القبائل الهلالية من الشام إلى الصعيد المصري خوفا من انضمامهم إلى حركات تمردية أخرى أو العودة إلى نشاطهم العدواني المتمثل في السلب والنهب، وبالفعل فكانوا يسرون في الشام ويتطاولون على عابري الطرق والسبل، فشجعهم العزيز بالله[5] على الرحيل إلى مصر فاتجهت القبائل الهلالية وحلفائها نحو الأرض

---

[1] - المقريزي: المصدر السابق، ص. 45 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.14 ؛ عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص.ص. 580 – 581.

[2] - يذكر ابن الأثير أن العزيز بالله بعد أن هزم القرامطة أراد استمالة زعيمهم ومن معه لكنه لم يفلح في ذلك، ومن ثم اكتفى بإرسال قدر من المال على شكل هدية اتقاء خطرهم واسترضائهم بعدم التفكير في التمرد ثانية والهجوم على الدولة الفاطمية فقال ابن الأثير:".... فأرسل إليه العزيز بالله عشرين ألف دينار وجعل ها كل سنة.... " (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج.9، ص369- 370 .)

[3] - استطاع الخليفة العزيز بالله الفاطمي بحسن سياسته أن يستميل القرامطة من جديد إلى حضيرة الفاطميين وأن يثير حفيظتهم على العباسين يؤيد هذه الحقيقة ما ذكره ابن خلدون من أن القرامطة رجعوا إلى الدعوة الفاطميين ومحاربة بني عباس وكان من أثر هذه السياسة التي انتهجها الخليفة الفاطمي أن هاجم القرامطة الكوفة في سنة 372 هـ /972 م، ولم يرتحلوا عنها إلا بعد أن أخذوا من أهلها مبلغا كبيرا في مقابل رفع الحصار عن مدينتهم. أنظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الجزء الرابع (العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس 447- 656 هـ / 1055- 1058 م.)، ص. 246.

[4] - النويري: المصدر السابق، ص.342 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج.9، ص. 567 ؛ زكار سهيل: أخبار القرامطة في الإحساء والشام واليمن والعراق، دمشق 1982، ص. 65.

[5] - حسب إبن الأثير أن الخليفة الفاطمي العزيز بالله ترحيل الهلاليين إلى مصر بغية استخدامهم كسلاح لبسط نفوذه في المشرق على حساب الدولة العباسية التي كانت في مرحلة الضعف حتى أن حركة القرامطة كانت مدعمة من طرف القاهرة فكانت ترسل إليهم الأموال فاشتدت قوتهم وأصبحوا يزحفون على المدن العباسية، فتزايد خطرهم وخاصة بعد تحالفهم مع القبائل الهلالية، فأصبحوا يهددوا الدولة الفاطمية في حد ذاتها. (الكامل، ج.9، ص.261).

الموعودة فسلكوا طريق الحورس من الشام متجها إلى الساحل الساحلي مارا بعسقلان فغزة ثم رفح فالعريش وترسم الطريق المقابل له من شبه الجزيرة العربية بأنه يخرج من حافة الصحراء إلى العقبة والنخل ثم يخترق شبه جزيرة سيناء إلى السويس ثم الطريق إلى الصعيد الأعلى[1]. ولم يكن الهلالية وحدهم الذين ينتجعون شرقي الديار المصرية بل لم يكن القيسية وحدهم هم الذين ساروا في هذا الدرب وشاركوا المصريين خيرات بلادهم بل كانت هناك قبائل من عرب الجنوب اتخذت محلاتها في الصعيد قبل الهلالية بأمد ليس بقصير، وتوزيع القبائل البدوية في مصر وهذه الصورة وأن مرت عليها السنون بين نزول الهلالية وبين تسجيلها إلا يمكن أن تنطبق في مجملها على الحالة التي كان عليها منازل هذه القبائل في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن الموالي، فقد نزل بالصعيد الأعلى عند أسوان وما بعدها بنو جهينة إحدى بطون قظاعة وانتشروا في إقليم النوبة ونزل أيضا أولاد كنز وينتسبون إلى ربيعة بن معد، ونجد في أسوان أيضا الجعافرة والى جانبهم منقريش بنو طلحة وبنو زبير وأخلاط تنسب إلى بنو عمر بنو أمية[2]

انعكست الآية على الدولة الفاطمية بقدوم هؤلاء الأعراب الهلالية فقد كان الغرض منهم هو أضعاف القرامطة وإعانة الدولة الفاطمية على خصومها والاعتماد عليهم في اكر أهل البلاد المفتوحة عنوة، لكن هؤلاء الهلاليون لم يستطيعوا الخروج عن طبائعهم فنقلوا إلى الديار المصرية ما اعتادوا من شرائع الصحراء في الثارات والحقود وخاصة ما كان من فتن وحروب بين زغبة ورياح كما أنهم استطالوا على السكان الوادعين يدهمون ديارهم ويعتدون على محاصيلهم ويسلبون أموالهم ويأخذون أنعامهم ودوابهم خصبا ويقطعون على التجار ويستطيلون بالأذى على من يقربهم أو يقربوه حتى أصبحت الدولة الفاطمية تواجه جماعات هائلة تثير الفوضى والرعب في أوساط راضيها[3].

---

[1] القلقشندي: صبح الأعشى ...، ج.1، ص.343 -344 ؛ ص. عبد الحميد يونس: المرجع السابق، ص. 60.

[2] - السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج.2، مصر، 1989، ج.2، ص. 39؛ جمال الدين سرور: مصر في العصر الفاطمي، القاهرة، 1963،ج.6، ص. 25.

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.1 ص.288 ؛ المقريزي: البيان والإعراب...ص. 126، صهر السيد عبد العزيز سالم: مجاعات مصر، القاهرة، 1995، ص. ص 35 - 36؛ عبد الحميد يونس: المرجع السابق، ص.61 ؛

إضافة إلى هذا لم تستطيع الدولة الفاطمية أن تردع القبائل الهلالية عن أعمالهم العدوانية لما تعانيه من أزمات داخلية وخارجية، بالنسبة للأزمات الداخلية نذكر منها الشدة المستنصرية فقد عم الوباء والقحط بمصر وانقطع ماء النيل فأهملت الزراعة، وانتشرت المجاعة وعم الوباء الذي يعتبر أطول وباء عرفته مصر في العصور الوسطى ونكبت به جميع الأمم الإسلامية من مصر إلى سمرقند ودونت عنه قصص مروعة حتى ذكر أنه كان يموت بمصر كل يوم عشرة ألاف شخص، وعدمت الأقوات حتى أكل الناس الكلاب والقطط ثم أكل بعضهم بعض فأم هذا الوضع اتجهت القبائل الهلالية إلى المغرب للبحث عن أراضي خصبة تصلح لعيشهم وعيش قطعانهم التي يعتمدون عليها بالدرجة الأولى في تحصيل رزقهم[1].

إضافة إلى هذا فان الخلافة الفاطمية اشترطت على القبائل الهلالية عدم عبور النيل من الجهة الشرقية، وقامت بحصرهم في الصعيد وبطبيعة الحال فان الهلليين بدو يعتمدون على الرعي والترحال بحثا عن الماء الكلاء فلا يستطيعون الاستقرار في الصعيد، وتركيبتهم النفسية لا تحتمل الرقابة ولا يحبون التبعية لنظام أو سلطة معينة وصف على هذا قد شهدت مصر في هذه الفترة مجاعة ووباء مستمر وتعطلت الحركة التجارية فالقوافل التجارية لا تعبر على القبائل الهلالية التي هي أخرى يسترزقون منها كل هذه الأسباب وأخرى أدت إلى هجرة القبائل الهلالية إلى المغرب فسئموا الحياة بمصر، فاضطروا إلى الهجرة الجماعية إلى المغرب[2].

وفي هذه الظروف المحيطة بالدولة الفاطمية أقدم الأمير الزيري المعز بن باديس بافريقية على الخروج عن الفاطميين وعلى المذهب الاسماعيلي وشد أزر أهل السنة ودخل في طاعة الخليفة العباسي ودعا له غلى المنابر بلاده ونقش اسمه على السكة كما خطب المعز بن باديس للخليفة العباسي القائم بأمر الله (422هـ-467هـ) على منبر جامع القيروان وأمر باتخاذ سواد شعار العباسيين ومن العوامل التي أدت إلى زوال التبعية لخليفة المستنصر

[1] - المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1967، ص. 53 ؛ الصاوي أحمد السيد: مجاعات مصر الفاطمية، بيروت دار التضامن، 1988 ص. 46؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، 1958، ج.4 ص، ص. 170- 171.

[2] - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، القسم الخاص من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق حسين نصار، بيروت، مطبعة دار الكتاب، 1970؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية القاهرة 1964 ط.3، ص.

الفاطمي بالفتن والثورات والمجاعات ولم يقف المستنصر من هذه الأحداث الخطيرة التي تمخضت عن خروج افريقية عن طاعة الفاطميين موقف المتفرج فقد عمل على التفكير في الانتقام من بني زيري الذين خرجوا عليه برغم من مأثر آباؤهم[1].

أشار الوزير الفاطمي محمد الحسن بن علي اليازوري[2] على المستنصر بالله باصطناع القبائل الهلالية، وتحريضهم على الهجرة إلى المغرب وتوليتهم أعماله ودفعهم إلى محاربة الصنهاجيين فإذا ما انتصروا عليهم أصبحوا أعوانا للدولة وعمالا بتلك البلاد، وأمر عرب البادية أهون من الولاة الزيريين الذين انشقوا على الخلافة الفاطمية وبايعوا أعدائهم العباسيين وإذا انهزم الهلاليين أمامهم، فإنهم بذلك قد تخلصوا من عنصر مدمر في مصر دون أن يتكلفوا أي مشقة أو جهد في محاربتهم[3].

وقد اقتنع الخليفة المستنصر بالله بوجاهة هذا الرأي، وكان يتحرق شوقا إلى الانتقام من بني زيري المارقين، فأمر وزيره بتنفيذ مشورته فكلف اليازوري أحد أمراء الدولة بالإصلاح بين قبائل زغبة ورياح وغيرها من القبائل الهلالية التي كانت في صراع فيما بينها[4].

وحملت الأموال إلى مشائخ القبائل إضافة إلى هذا قد منح لكل عربي منهم دينار وبعير وذلك مقابل العبور إلى المغرب وقد رخص الخليفة الفاطمي لهؤلاء الهلاليين بامتلاك كل ما يستولون عليه ويذكر ابن خلدون ذلك: " قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي العبد الأبق فلا تفتقرون"[5]

بعد أن تجهزت العرب الهلالية إلى الرحيل بعث اليازوري رسالة إلى المعز بن باديس تحمل في طياتها تهديد ونذر بالعواقب الوخيمة التي ستلحق بدولته الخارجة عن الخلافة

---

[1] - الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان تصحيح وتعليق محمد الأحمدي، تونس، المكتبة العتيقة، 1964،ج.1، ص. 58 ؛ محمد سالم شرف الدين: ملامح المغرب في القرن الخامس، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 1990.

[2] - اليازوري: أبو محمد الحسن بن علي يرجع نسبه الى فلسطين وسمي باليازوري نسبة إلى قرية من قرى فلسطين تدعى يازور ابن الصيرفي: المصدر السابق، ص. 73.).

[3] - ابن أبي ضياف: المصدر السابق، ص. 173 ؛(3)- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص.
سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3، ص. 421.

[4] - هو الأمير أمين الدولة وعينها الحسن بن علي بن ملهم، الذي اشتهر بالدهاء رجحان العقل وقوة البين وتميز بشجاعته الباسلة وفي ولايته توحد الشام مع ومصر وأصبح تابع للدولة الفاطمية.مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص.92.

[5] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 14 ؛ ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص. 84 ؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص.ص. 169 – 170.

الفاطمية فجاء فحوى الرسالة: " ... أما بعد فقد أنفذنا إليكم خيولا فحولا، وأرسلنا عليها رجالا كهولا، ليقضي الله أمرا كان مفعولا . " لكن الأمير الصنهاجي لم يأبه لما كتب له الوزير الفاطمي وظن أنه يهدده لا غير كما كان يفعل[1] في مراسلاته السابقة[2].

تحركت جموع القبائل الهلالية إلى الشمال الغربي مصحوبة ببني قرة المستقرة في برقة منذ الفتح العربي وما كان بينهم وبين الدولة الفاطمية من وقائع تدل على أنهم كانوا قوة يعمل لها حساب في برقة وما يليها، ولم يكن ولاءهم لأي من الدولتين خالصا، فكما أنهم انتفضوا من الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أكثر من مرة فكانوا يقطعون التجارة بين القاهرة والقيروان حتى بلغ بهم الأمر أن استاقوا الهدايا المرسلة إلى الإمارة الصنهاجية[3]. نستخلص أن شكل الهجرة قد تم على دفعتين كانت الأولى بإغراء الفاطميين في شخص وزيرهم اليازوري، وكانت الثانية هجرة لا إكراه ولا ترغيب فيها أقدم عليها الهلاليين بمحض إرادتهم ليشاركوا بما ناله إخوانهم وأبناء عمومتهم من غنيمة وأراضي خصبة، بل إن الفاطميين أدركوا قوة هذه الرغبة في الهجرة الثانية فأرد الوزيرالفاطمي اليازوري تعويض ما أنفقته دولته في العبور الأول ففرض عليهم تعريفة العبور وهي دينارين على كل فرد أراد العبور فاستعادوا ما أخذ منهم أضعافا مضاعفة[4].

هؤلاء الهلاليين على اختلاف أنسابهم كانوا قد سئموا الحياة في مصر وكان لا بد لهم من الهجرة إلى بيئة أخرى تنطلق فيها غرائزهم البدوية والراجح أن بني قرة كانوا أكثر إغراء لإخوانهم من الخليفة ووزيره فليس من شك أن اتصال ماكان قائما بين عرب العدوتين الغربية والشرقية وأن ما كان يتردد في مضارب البدو في برقة من أساطير الكنوز القديمة المطمورة في افريقية وما وراءها كان يجد صداه البعيد في نفوس الأعراب جميعا أيا كان مقامهم في النيل[5].

---

[1] - يذكر ابن بسام أن اليازوري أرسل رسالة تهديد قبل هذه الرسالة يهدد فيها المعز بن باديس بإرسال جيوش لتأديبه فيقول: "..أن لم ترجع عن رأيك أتتك الجيوش موصلة سنابك خيلك ناسخة بنقعها ووميضها حكم نهارها وليلها." (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص. 25).

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.14 ؛ النويري: المصدر السابق، ص. ص. 341 - 342؛ عباس إحسان: تاريخ ليبيا من الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1967 ص. 141.

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.9، ص. 567 ؛ النويري: المصدر السابق، ص. 342 ؛

[4] - البرغوتي عبد اللطيف: تاريخ ليبيا الإسلامي، دار صادر، بيروت، 1971، ص.ص. 330-331

[5] - ابن أبي ضياف: المصدر السابق، ج.1، ص.ص. 172- 173؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3، ص. 421.

كانت هذه الهجرة على موجات بشرية متتابعة فان ذلك أدنى إلى منطق النقلة الجماعية، فلم تكن القبائل الهلالية جيشا نظاميا يؤمر بالحركة فيأتمر، وإنما كانوا قبائل كثيرة وكان انتقالهم ككل هجرة جماعية بطيئا متثاقلا ولم يتم على دفعة واحدة أو دفعتين، فقد استغرق بلوغهم برقة أمدا ليس بالقصير لعله يتجاوز ثلاثة أعوام، كما أنها لا يمكن أن تكون انتقالا مفاجئا لأن ذلك لا يستقيم مع الحياة القبلية التي تسلتزم النقلة الجماعية المتثاقلة ولا يستطيع أن يتجاوز الرجال الشيوخ والنساء والأطفال والدواب والمتاع[1]. واستمرت الهجرات الهلالية بعد ذلك في سيل متصل فقد ضم الهلاليون أثناء هجرتهم أبناء عمومتهم بني ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، فهؤلاء الثلاثة يطلق عليهم كلهم اسم بني هلال، ومثلما كانت جموعهم ضخمة وغلب على اسمهم هلال، أما بنو سليم بن منصور بن عكرمة كانوا فريقا على حدة ولهذا كانوا قلة بالنسبة إلى بني هلال وكان لهذا أثرا في تقسيم البلاد إلى قسمين فقد كان نصيب بني سليم برقة وجزءا من طرابلس ومضى بنو هلال إلى افريقية[2].

سارعت القبائل الهلالية نحو غايتها المتمثلة في السلب والنهب ووصلت إلى مدينة برقة، ولم تجد عناء كبير في الاستيلاء عليها،إذ أنه كان معظم قاطينيها قبائل زناتة قد هلكوا في حروبهم المتواصلة ضد المعز بن باديس ومن ثم صارت برقة وما حولها لقمة سائغة للعرب الهلالية، وبدأت هذه الأخيرة تتقاسم المناطق الشرقية للمنطقة بينما استأثر بعضها المناطق الغربية[3] واتجهت جموع دياب وعوف وزغبة وبقية بطون بني هلال إلى افريقية يدمرون كل شيء وجدوه في طريقهم، ففي فترة وجيزة استطاعوا أن يغزو مدينة أجدابية وسرت وغيرها من المدن والقرى الكائنة في طريقهم على ذكر ابن خلدون في هذا:

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 14 ؛ ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص. 84 ؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص.ص. 169 – 170.

[2] - المقريزي: المصدر السابق، ج.1، ص. 46 ؛ محمود مقديش: المصدر السابق ؛ ص. 275 ؛ روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص. 254..

[3] - المقريزي: المصدر السابق، ج.1، ص. 45 ؛ ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج. ص. 288 ؛ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص. 127 – 129.

" سارت بطون بني هلال إلى افريقية كالجراد المنتشر لا يمرون على شيء إلا أتو عليه"[1].

وفي محاولة من جانب المعز بن باديس لصد ذلك الزحف الكبير حاول استمالة أحد رؤساء القبائل الهلالية، فاستدعى أمير قبيلة رياح وهو مؤنس بن يحي الرياحي المرداسي الذي لبى الدعوة، فوجد من المعز بن باديس التكريم والترحيب إضافة إلى هذا فانه زوجه إحدى بناته رغبة في توطيد العلاقة بينهما، وبالأحرى عقد تحالف بين الهلاليين والصنهاجيين وذلك لعدم ثقة المعز بن باديس بصنهاجة، وتؤكد بعض المصادر التاريخية هذا الاقتراح، لكن هذا العرض لم يجد استجابة لدى الأمير الرياحي وبين له سبب الرفض لأن هؤلاء الهلاليون ميالون للإثارة الفوضى والتخريب وعدم التقيد بأوامر نظام معين، ولا يجتمعون على الكلمة الواحدة[2].

بينما يرى جورج مارسيه أن مراحل الهجرة الهلالية إلى المغرب لم تكن جماعية، بل أوفدوا إلى القيروان جماعة منهم على رأسها شيخ من شيوخهم يسمى مؤنس بن يحي الصنبري من بني مرداس بن رياح أحد بطون بني هلال ليلقوا المعزف استقبلهم أحسن استقبال وأكرم ضيافتهم فدهش الوافدون لما رأوه من فخامة بلاط المعز وما عنده من أثاث والرياش وما في افريقية من خيرات وأراضي واسعة أفضل من برقة وطرابلس، فطمع في ذلك هو وقومه وأعجب المعز بن باديس بمؤنس الرياحي حتى أنه زوجه إحدى بناته وطلب منه المجيء إلى افريقية وليتخذه مع قومه جندا له في جيشه وذلك للاستعانة به في حروبه ضد الزناتيين وبني عمومته الحماديين، لكن مؤنس تريث في الأمر واعتذر منه عن عدم قدرته في دعوة قومه إلى افريقية، وتعلل بصعوبة قيادتهم على الطاعة والتحكم فيهم، وذلك راجع إلى كثرة اختلافاتهم وعدم اجتماعهم

---

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 14 ؛ نجيب زينهم: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم أحمد سوادة، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995، ج.2، ص. 217- 218.

[2] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 9، ص. 567 ؛ النويري: المصدر السابق، ص. 342.

على الكلمة الواحدة، فظن المعز بن باديس أن مؤنس بن يحي يريد استئثار ذلك لنفسه وخرج الأمير رياحي إلى قومه المتواجدين ببرقة[1].

ويبدو أن المعز بن باديس لم يدرك منذ اللحظة الأولى مدى خطورة هذه الجموع والأضرار التي ستحدثها في المنطقة واكتفى بتكريم أمراء العرب والتودد إليهم ولم يتخذ أي إجراء ومن ثم استمر العرب الهلالية في قطع الطرق وتدمير القرى والمدن وأشاعت الفوضى والخراب في كل مكان يحلون به حتى ضج الناس بالشكوى وعلت صرخاتهم ونزل بهم من البلاء ما لم يروه من قبل، فظن المعز بن باديس أن مؤنس بن يحي هو من دفعهم إلى ذلك، فأمر بالقبض على أخيه وأولاده المتواجدين في القيروان ليجعلهم رهينة حتى يكف الأمير الرياحي عن تحريض القبائل الهلالية في عمليات النهب والسلب التي تقوم بها وقطع الطرق والمنافذ والإغارة على المدن والقرى[2].

لما عمت أعمال النهب والسلب أخرج المعز بن باديس إلى القبائل الهلالية ومعهم المكاتبات وشروط ووصايا وأعلموهم أن السلطان قد دفع عيالاتهم وأخذوا عليهم العهود والمواثيق بالرجوع إلى الطاعة وأرسلت القبائل الى المعز بن باديس شيوخا وهم مطرف بن كسلان وفرج بن أبي حسان وزياد الدوينة وفارس بن كثير وفارس بن معروف، فأنعم عليهم المعز وأكرم وفادتهم ثم بعد ذلك نكثوا العهد واستمروا في الفساد في كل جهة ومكان وخلال فترة قصيرة دخلوا إلى المغرب الأدنى وشنوا لغارات على مدنه وقطعوا الطرق وأفسدوا الزروع والثمار وضاق بالناس الأمر وساءت أحوالهم وقطعت أسفارهم[3]. وإزاء هذا الخطر وجدنا المعز بن باديس يجهز قواته ليضع حد للقبائل الهلالية الزاحفة نحوه بالمغرب الأدنى، فبعث يستنجد ببني عمه الصنهاجيين بقلعة بني حماد، فأرسل إليه أميرها القائد بن حماد كتيبة من ألف فارس

---

[1] - جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقته بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991، ص.ص.230 -231

[2] - الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص.ص. 255- 256.

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.9، ص. 567 – 568 ؛ النويري: المصدر السابق ص. 344 ؛

ووصل إليه أيضا المنتصر بن خزرون المغراوي الزناتي في ألف فارس من قومه،وانضم إليه نفر من العرب البليدين(أحفاد الفاتحين)[1].

ولما اكتمل الجيش الصنهاجي هاجم عرب بني هلال من رياح وعدي[2] بالقرب من الحيدران من جهة قابس في ذي الحجة سنة 443هـ/ 1052 م، ولكن العرب أحفاد الفاتحين الذين كانوا في جيش المعز آثروا الانضمام إلى أخوانهم العرب بحكم العصبية والنسب، أما بالنسبة لزناتة نس ما فعله بها بنو زيري في مضاربها، ففرت من المعركة، بينما ترك عسكر صنهاجة المعز وحده غير أنهم انهزموا إلى أن وصلت رماحهم المعز وقتل من عبيده العدد الكثير، ففر بنفسه وخاصته إلى القيروان،وانقض العرب على مضاربه وخيامه فانتهبوها وكان فيها من الذهب والفضة والأمتعة أعداد هائلة فكانت كلها من نصيبهم[3].

3- انتقال بني زيري إلى المهدية:

فشل المعز بن باديس في المواجهة العسكرية لبني هلال كما فشل من قبل في محاولة تطويقهم بصفة سلمية وذلك بإدخالهم في جيوشه ومواجهة الأخطار الداخلية والخارجية التي كانت تهدد دولته[4]، ويرجع هذا الفشل إلى عدة عوامل منها عدم الاهتمام بهم في بداية الاجتياح، وعدم فهم طريقة عيشهم التي تعتمد على السلب والنهب، وعاداتهم البدوية الصحراوية التي يتميزون بها، إضافة إلى هذا تخاذل قواته الصنهاجية أمام هجمات بني هلال واعتماد المعز بن باديس على الجنود المرتزقة، وانعدام الخصال الحربية عند سكان المدن مثل أهل القيروان وغياب طاقات عسكرية غير التي عبأها، وأخيرا ضألة المقاومة في المدن الإفريقية

[1] - ذكر ابن عذاري أن عدد فرسان عرب الهلالية ثلاثة آلاف بينما عدد الصنهاجيين ثلاثين ألف استنادا الى الشاعر ابن رزق الرياحي الذي نظم قصيدة النصر الكبير الذي حققه الهلاليين.(البيان،ج.1، ص. 289.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 14 ؛ جورج مارسيه، المرجع السابق، ص. 224.

[3] - ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1،ص.ص. 289 – 290 ؛ غوتيه فيلكس أرنست: ماضي شمال افريقية، ترجمة هاشم الحسيني، طرابلس، 1970، ص. 65.

[4] - يشير محمد بن عميرة أن المعز بن باديس كان في حروب متواصلة بين زناتة التي كانت لها عدواة قديمة مع صنهاجة التي ينتمي لها المعز، فمنذ حصار أبي يزيد للمهدية واشتد النزاع بانتقال الخلافة الفاطمية الى مصر وتقلد بنو زيري حكم المغرب الذين حاولوا إخضاعه تحت السيطرة الصنهاجية فاصتدموا بزناتة واستمر الصراع الزناتي الصنهاجي الى عهد المعز بن باديس. (دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الإسلامي، ص.ص. 301 302.)

خارج المهدية والقيروان وما قيام بعض المدن وانتفاضة أهلها ضده إلا دليل على الأوضاع الرديئة التي كان الأمير الزيري يتخبط فيها بعد حصار العرب للقيروان ودخولهم إياها[1].

حصل أول تمرد على المعز في سوسة سنة 445هـ / 1056م حيث منع أهلها الأمير جمع الجباية بدعوى الحاجة إليها لحماية كما تمردت في نفس الوقت مدينتا فقصة وتوزر ومعظم مدن الشرق الجزائري آنذاك ثم انفصلت تونس سنة 45هـ/1058 م ثم تلتها كل منت صفاقص سنة 451هـ/ 1058 م وقابس سنة 454هـ /1062م وفي نفس السياق لا بد من الإشارة إلى حرب التي جرت سنة 447هـ/ 1058م وفي مدينة المهدية بين عبيد المعز وعبيد ابنه تميم وما تبعها من تقتيل الفاريين إلى القيروان من طرف العرب[2]

ومنذ سنة 446هـ / 1054 م، اتضح لدى المعز بن باديس من نهاية مملكته في القيروان التي طوقها العرب الهلالية، وأحكموا حصارها وبدأ يفكر في الرحيل إلى مدينة المهدية، فأشار المعز بن باديس على رعيته بانتقال إلى المدينة لعجزه عن حمايتهم من هجمات الهلاليين التي تكاد تجتاح مدينة القيروان، فأخذ الناس يتجهزون للرحيل وينقلون أهاليهم وذخائرهم شيئا فشيئا، وموازاة مع ذلك أخذ المعز بن باديس يستميل بنو هلال ويصالحهم بغية ربح الوقت حتى يتسنى لرعيته بالرحيل إلى المهدية والاعتصام بها[3].

فلما كانت سنة 449هـ / 1057 م، توجه المعز إلى عاصمته الجديدة في حماية رجلين من العرب الهلالية[4]، كان صاهرهما ببنتيه، يعرف أحدهما بالفضل ابن أبي علي وهو مرداسي، ويعرف الأخر بفارس بن أبي الغيث، فتوجها إليه بالقيروان فاستخرجاه منها سرا، وأحست به باقي القبائل الهلالية بخروجه من القيروان فلحقوه وأرادوا أسره، وفي أثناء الطريق اعترضهم

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص.14 ؛ التيجاني: المصدر السابق، ص.330 ؛ جورج مارسيه: المرجع السابق، ص. 224.

[2] ابن عذرى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص. 297 ؛ ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص.84 ؛ جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي ج.4 ؛ دار الهلال، مصر، 1958، ص. 58.

[3] - التيجاني: رحلته، ص. 328 ؛ ابن أبي دينار القيرواني: المرجع السابق، ص. 84 ؛ روجي ادريس: المرجع السابق، ج.2، ص. 270.

[4] - حسب ابن خلدون الذي اورد روايتين في عملية انتقال المعز بن باديس الى المهدية فالرواية الاولى يذكر فيها أن لمعز بن باديس أرسل الى صهره مؤنس بن يحي الصنباري أمير بنو رياح أعلمه بعزمه على الرحيل الى مدينة المهدية فأراد منه الحماية في الرحيل فأجابه مؤنس بن يحي وسار اليه مع بقومه وقاموا بترحيله، بينما في رواية الثانية التي يتفق مع ابن عذاري في سردها. (العبر، ج. 6، ص. 159.).لكن التيجاني نقلا عن ابن بسام يذكر في رحلته أن المعز بن باديس أخرج بعض القطع البحرية وسيرها في البحر محاذية له خوفا من الهلليين وما عساه ما يحدث له فلما لحقه الاعراب ناداه أهل القطع البدار اليهم غير أنه رفض وتابع سيره الى أنوصل الى المهدية. (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق.4، ص. 345 ؛ الرحلة التيجانية، ص.ص. 330.)

صهر المعز فارس بن أبي الغيث في جماعة من قومه، وجعل يؤنبهم على الاستخفاف بحمايته، وتمكن من مراوغتهم إلى أن وصل الفضل بن أبي علي بالمعز بن باديس وأهله إلى المهدية[1].

كان في استقبال المعز بن باديس في المهدية ابنه تميم الذي كان واليا عليها من قبله، فكان هذا الإجراء كخطوة تمهيدية للانتقال إلى المهدية حيث أن تميم سار إلى ولايته سنة 448هـ / 1056 م، وعند وصوله وجد عبيد لأبيه كان قد أعدهم لضبطها، فقد قويت شوكتهم وكثر ملأهم فوقعت بينهم وبين عبيد تميم منازعة كان النصر حليف تميم بمساعدة أهل المهدية وزويلة الذين قتلوا كثير منهم وفر باقي العبيد إلى القيروان، لكن تميم أرسل إليهم العرب الهلالية ففتل منهم العدد الكثير، فقوي ذلك في نفس المعز بن باديس وما زاد الطين بلة هو قيام تميم بإنشاء حرسا خاصا يفوق حرس أبيه الذي رأى نيته في الانفصال عن القيروان، كما فعل بقية عمال المدن، فساءت العلاقة بين المعز وابنه[2] لكن ابن الأثير والنويري يؤكدان أنه عند وصول المعز بن باديس إلى مدينة المهدية استقبله ابنه تميم أحسن استقبال وترجل في حضرته حوالي نصف فرسخ، وهذا دليل على العلاقة الطيبة التي لا تزال قائمة بين الأب وابنه[3].

اضطر المعز إلى الالتجاء إلى المهدية لحصانة أسوارها واتخذها منذ ذلك الوقت قاعدة لملكه، وملك أبنائه وأحفاده، وكان من أثر هجوم بني هلال على افريقية تخريب المدن والقضاء على الحضارة الزاهرة، ودخول بني زيري في فضعفت سلطة الأمراء وانتشرت الثورات المحلية، وتقلص ملكهم حتى أصبح لا يتعدى أسوار المهدية إلا أن الخطبة ظلت تقام للعباسيين في المغرب[4].

---

[1] - ابن عذاري: المصدر السابق،ج1، ص. 289 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق،ص.159.

[2] - ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص. 290 ؛ ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص. 84 ؛ عمرو أبو نصر: تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد المغرب، بيروت، مطبعة تونس، 1968، ص. 123.

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.9، ص.569، النويري: المصدر السابق، ص. 442

[4] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 171 ؛ رابح بونار: المغرب العربي، ص. 198

قضى المعز بن باديس السنوات الباقية من عمره حزينا في المهدية إلى أن توفي في أوائل سنة 454هـ/ 1061 م، ودفن في رباط المنستير وخلفه ابنه تميم الذي اقتصر ملكه على شريط ضيق من الساحل يحيط بالمهدية، ويشمل هذه الأخيرة وأحوازها وصفاقص وقابس وجزيرة جربة[1].

فشل المعز بن باديس في مواجهته العسكرية لبني هلال كما فشل من قبل في تطويقهم بصفة سلمية، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل: مثل سوء تقديره لقوتهم وعدم فهم طريقة عيشهم وعاداتهم البدوية، إضافة إلى تخاذل قواته العسكرية حيث أنه يعتمد على الحرس الأسود وتهمش صنهاجة التي كرهت ذلك .

زيادة على هذا انعدام الخصال الحربية عند سكان المدينة مثل مدينة القيروان التي معظم سكانها علماء وتجار وحرفيين ولا يفقهون في الأمور الحربية ولا يملكون طاقات عسكرية غير التي عبأها، وأخيرا ظآلة المقاومة في المدن الإفريقية الأخرى خارج المهدية والقيروان[2].

إن قيام بعض المدن وانتفاضة أهلها ضده إلا دليل على الأوضاع الرديئة التي كان الأمير الزيري يتخبط فيها بعد حصار العرب الهلالية لمدينة القيروان وسقوطها تحت أيديهم وتتابع باقي المدن واحدة تلوى الأخرى ونهب جميع السهول والأراضي وشل حركة السكان حتى أنهم كانوا لا يؤمنون على أنفسهم[3].

4- حصار القيروان واجتياحها:

بعد هزيمة المعز في معركة الحيدران، انحصر ملكه على عاصمته القيروان المدينة وبعض المدن الصغيرة المجاورة لها، لأن بني هلال قد استحوذوا على جميع السهول والأرياف والقرى المحيطة بالقيروان والمدن الأخرى، ولم يستسلم المعز بل أراد أن يأخذ أعداءه على حين غرة وقرر مفاجأتهم يوم عيد الأضحى في العاشر من ذي الحجة من السنة نفسها (443 هـ/ 1052م) مستغلا انشغالهم بصلاة العيد والإعداد للنحر، فجمع فرقة من عساكره وسار بهم إلى

[1] - أبو الفدا: المصدر السابق، ج.3، ص. 24، إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص.55.
[2] - التيجاني: المصدر السابق، ص. 329 – 330 ؛ ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق، ق.4، ص. 345.
[3] - أنظر صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني جماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 472

مضارب الهلاليين في الوقت المخطط له، غير أن العرب سارعوا إلى ركوب خيولهم وحملوا على القوات الصنهاجية، وذلك بحكم فروسيتهم وخفتهم في القتال، إضافة إلى ذلك فإن العرب يصحبون معه نساءهم وأولادهم في حروبهم ليقاتلوا مقاتلة موت أو حياة خشية ما يحل بهم عقب انهزامهم، بينما جيش المعز كان يحارب متثاقلا متهاونا لأن أغلبية جنوده مرتزقة لم يقاتلوا ببسالة وإخلاص، فانهزموا هزيمة شنعاء وغنم الهلاليون جميع ممتلكاتهم بعد أن قتل أكثرهم وعاد المعز خائبا إلى عاصمته القيروان[1].

اثر هذه الهزيمة لجأ المعز إلى سلاح أخر وهو مهادنة الهلاليين والتقرب إليهم، وبدأ يسمح لهم بالدخول إلى عاصمته للشراء والبيع غير أن تلك الخطوة لم تحصل على النتيجة المرجوة منها لأنهم عندما دخلوا إلى القيروان أساؤوا إلى سكانها وتعدوا عليهم مما أحدث شغبا واضطرابا في المدينة[2].

كانت هزيمة المعز بن باديس قاصمة لدولة بني زيري، فقد معظم قواته، واعتصم بالقيروان فحاصره العرب فيها ونهبوا البلاد نهبا ذريعا إذ لم توجد قوة تردعهم بل حاصرت قبيلتا زغبة ورياح مدينة القيروان وفر الكثير من أهلها إلى تونس وأصبحت افريقية كلها تحت رحمتهم ويكفي للدلالة على هذا أنهم تقاسموا البلاد فيما بينهم مرتين:

في المرة الأولى كانت لزغبة طرابلس وما يليها (في حين أن برقة وطرابلس تركت لبني سليم بن منصور) وفي التقسيم الثاني سنة 446هـ/ 1056 م، أصبحت لبني هلال بلاد افريقية من قابس غربا .

وأهم بطون بني هلال التي اشتركت في هذه القسمة رياح وزغبة والمعقل من رياح وجشم وفرة والخلط وسفيان . بل استوى بعض شيوخ أولئك الهلاليون على بلاد من افريقية وحكموها بوضع اليد مثل عائد بن أبي غيث الذي تغلب غلى تونس وملكها، وسيتجه غرب

[1] - ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص.ص.292 – 293 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3، ص.ص. 231 – 232.
[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، 15 ؛ الوزير السراج: الحلل السندسية، ج.1، ق.4،ص. 941 ؛ حسن علي حسن: الغزو الهلالي أسبابه ونتائجه، المجلة التاريخية المصرية، مج.24، 1977، ص.130.

المعقل إلى أقصى غرب المغرب الأوسط ويستقرون في واد ملوية وستتساح منهم بعد ذلك أعداد إلى جنوبي السوس[1].

وفي محاولة يائسة من جانب المعز في حماية القيروان، أدار عليها سورا سنة 446هـ وزيادة على ذلك أمر الناس بتحصين بيوتهم، وقام كذلك بتحصين المنصورية وبناء أسوارها لأن العرب الهلالية لا تعرف في حروبها إلا الكر والفر وليست لها خبرة في حرب الحصون واقتحام الموانع فاستغل المعز ذلك لردعهم عن عاصمته القيروان[2].

في هذه الفترة ساءت العلاقة بين أهل القيروان وعساكر صنهاجة لأن المعز أمر الناس بترك أسواقهم وحوانيتهم وجميع ما يملكونه تحت حراسة جنوده وانتقال إلى القيروان غي أن الجنود مدو أيديهم إلى خشب الحوانيت وسقائفها واقتلعوها وخربوا عمارة المنصورية فاضطر المعز بن باديس إلى التدخل لفك النزاع وتهدين الأمور[3].

ومن جهة أخرى كانت القبائل الهلالية تقاتل بوحشية ولم ترحم طفلا ولا امرأة وقد أعطانا ابن عذارى نقلا عن ابن شرف وصفا بشعا للأعمال التي ارتكبها العرب في ضواحي القيروان: " قال ابن شرف أخبرني من أثق به قال خرجت من القيروان أسير ليلا وأكمن في النهار، فلم أمر بقرية إلا وقد سحقت وأكلت، أهلها عراة أمام حيطانها من رجل وامرأة وطفل يبكي جميعهم جوعا وبردا، وانقطع السير إلى القيروان وتعطلت الأسواق وأمسك العرب جميع من أسروه، فلم يطلقوا أحدا إلا بفداء مثل أسرى الروم وأما الضعفاء والمساكين أمسكوهم لخدمتهم[4].

بعدما رحل المعز بن باديس إلى المهدية في أول رمضان سنة 449هـ/ 1052م، دخلت العرب إلى المدينة وفر أهلها إلى المهدية والمدن الأخرى فانتبهت القيروان وقد وصفها ابن

[1] - النويري: المصدر السابق، ص.346 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص.ص. 290 – 291 ؛ مقلد عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ج.3، ص. 235.

[2] - ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 291 ؛ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص. 30.

[3] - النويري: المصدر السابق، ص.346 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص.ص.290 – 291 ؛ مقلد عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ج.3، ص. 235.

[4] - ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 291 ؛ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص. 30.

الرشيق القيرواني شاعر المعز في قصيدة طويلة يصف فيها خراب المدينة وما قاساه أهلها من عذاب بعدما أجبروا على مغادرة مدينتهم، فقد شقي المعز بالعرب الهلالية فانتبهوا البلاد وأيتموا الأولاد وانتبهوا الطارف والبلاد، ومدينة القيروان خير دليل على هذا فبعدما كانت أبرز المدن

ازدهارا أصبحت بعد دخول بنو هلال مخربة مهجورة من سكانها، وكان نصيب جميع القرى والمدن على النحو ذلك، ولم تسلم الأراضي الخصبة والسهول فقد أصبحت مراعي قطعان بنو هلال[1].

ويسرف ابن خلدون في تفصيل ما أنزله الهلاليون في افريقية والمغرب من عبث وخراب الأمر الذي حمله أن يقول إن العرب إذا تغلبوا على الأوطان أسرع إليها الخراب والفساد والسبب في ذلك أنهم أمة واحدة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار فيهم خلقا وطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس وأن رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع انتهبوه[2] .

وأما الإدريسي فعند ذكره مدينة القيروان يصور هجوم بني هلال عليها كأنه نقمة من عند الله يتضح هذا قوله:" فسلط الله سبحانه عليها العرب وتوالت الحوائج عليها حتى لم يبق منها إلا أطلال دراسة أثار طامسة، وفي موضع يقول عرب لا خلاق لهم ولا يحفظون في أحد من الناس ألا ولا ذمة ."[3].

بينما يرجع ابن عذارى الخراب الذي لحق بكل منافذ الحياة في افريقية والمغرب إلى القبائل الهلالية[4] واستغل المستشرقون هذه المبالغات التي وردت في المصادر العربية حتى ذهب ماس لا تري" Mas Latrie يقذف عرب بني هلال بأشنع التهم ووصفهم باللصوصية[5]

[1] - بن الأثير: المصدر السابق، ج.9، ص. ؛ النويري: المصدر السابق، ج.1، ص. ، عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، مطبعة جامعة القاهرة، 1956، ص.117 - 118.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص.17. مقلد عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ج. ص. ص. 158 – 159.

[3] - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تعريب محمد الحاج صادق، ص.146.

[4] - ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص.

[5] Mas Latrie Relation et commerce pp.24-25.

ونهج نهجه جورج مارسيه على أقوال ابن خلدون، وبالغ في وصف الآثار المدمرة للهجرة الهلالية .

والجدير بالذكر أن بني هلال ومن دخل معهم من العرب في هذه الهجرة يختلفون كل الاختلاف عن عرب الأجيال الأولى التي قامت بالفتوح الإسلامية، لأن بني هلال لم تكن جيوش نظامية ذات هدف ديني أو قومي معنوي واضح وإنما كانوا بدوا لأن طول إقامتهم في البوادي وتعاقب الدول عليهم هذا فضلا عن إخراجهم من كل نطاق حضاري مما جعلهم يظلوا على بدويتهم فهم يتحركون ويتصرفون جماعيا، ويتعصبون لقبائلهم أكثر مما يتعصبون لأي شيء أخر ومما يجدر الإشارة أليه أن هده القبائل كانت مضطرة لنهب المزروعات والمحاصيل وتكثر من أعمال النهب والسلب نظرا لنفاذ المئون الذي كانت تحمله طول الرحلة بينما يصادفها جيوش نظامية تحمل الزاد والعتاد سواء كانوا من صنهاجة أو زناتة المدافعين عن أراضي افريقية والمغرب[1].

من ناحية أخرى رحبت الخلافة الفاطمية في القاهرة بتلك النتائج الطيبة التي حققها العرب الهلالية بافريقية، وكانت المراسلات لا تنقطع بينهما، ووصلت بعض ذخائر وتحف ابن باديس إلى القاهرة، وعرضها حاكمها على الناس لمشاهدتها كرمز لانتصار الخلافة الفاطمية على أعداءها وعلى من تحدثه نفسه بمعاداتها والخروج عليها[2]. ونجد في السجلات المستنصرية ما يفيد عودة النفوذ الفاطمي إلى المغرب على الرغم من وقوع القطيعة بين الزيريين والفاطميين بمعلومات مباشرة أو غير مباشرة فنجد أن الخليفة المستنصر بالله أرسل إلى واليه علي بن محمد الصليحي في اليمن والصادر عن ديوان الإنشاء الفاطمي بالقاهرة بتاريخ 455هـ / 1063م تفاصيل لا توجد في المصادر التاريخية أخرى عودة النفوذ الفاطمي إليه وذلك يعود

[1] - جورج مارسيه: المرجع السابق، ص. 234 – 236 ؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ج.3، ص. 452- 453

[2] - ابن الخطيب: المصدر السابق، ص.75، أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص.ص 81 – 82.

إلى فضل القبائل الهلالية التي أرسلها لتأديب المعز بن باديس الذي نبذ دعوة القاهرة وبايع بغداد فنجحت هذه القبائل في تأدية المهمة أعادت النظام الفاطمي في المغرب[1].

كان دخول الهلاليين وبطونهم إلى أرض المغرب حدثا ضخما ترك أثاره على تكوين المغرب السياسي والحضاري كله، ومن المؤكد أن هذه القبائل لم تصل إلى المغرب الأوسط إلا بعد عدة سنوات من زحفها على افريقية، ذلك لأنهم وقفوا عند مملكة الزيريين لعدة سنوات إلى أن سقطت القيروان سنة 449هـ / 1050م، وبذلك وجدوا الطريق مفتوحا إلى قلعة بني حماد فتقدموا في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[2].

5- الصراع الهلالي الحمادي:

يمكن القول أن القائد بن حماد قد خلع طاعة الفاطميين في نفس الوقت الذي انفصل فيه ابن عمه وحليفه المعز بن باديس عن القاهرة إذ أنه قد وجه إليه كوكبة من الخيالة ساهمت في معركة حيدران ولكن يبدو على الأرجح أنه عاد إلى الحظيرة الفاطمية بعد الانتصار الهلالي على المعز بن باديس الأمر الذي خول إليه الحصول على لقب شرف الدولة الذي كان يحمله المعز بن باديس قبل ذلك، فرجع إلى مبايعة القاهرة التي بدورها أرسلت إليه لقب شرف الدولة[3].

بالعودة إلى الولاء الفاطمي أصبحت العلاقة الطيبة بين القلعة والقاهرة تمكن القائد بن حماد من حماية دولته من هجمات القبائل الهلالية التي اكتسحت في هذه الفترة المغرب الأدنى وحصرت الدولة الزيرية في المهدية بعد سقوط عاصمتهم القيروان التي فر علمائها وتجارها وتوجهوا إلى القلعة الحمادية التي ازدهرت بفضل الهدة الهجرة ونفس الشيء كان مع مدن الأخرى. واستغل القائد بن حماد ضعف المغرب الأدنى وأصبح يتدخل في شؤونه فكثيرا ما كان يقوم بعمليات توسعية على حساب الدولة الزيري المنشغلة بأمور القبائل الهلالية (3).

---

[1] - عبد المنعم ماجد: استرداد الفاطميين بلاد المغرب من واقع السجلات المستنصرية " مجلة المؤرخ العربي، العدد 5، 1997 ص.24 ؛ أنظر محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص. 137.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.172؛ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص. 279؛ رابح بونار: المرجع السابق، ص. 209.

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.10، ص.؛ النويري: المصدر السابق، ص.ص341-342؛ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، ج.1، ص.278.

لم يدخل الهلاليون إلى المغرب الأوسط في عهد القائد بن حماد رغم ما قدمه من معونة إلى ابن عمه المعز بن باديس أثناء حربه مع العرب حتى أنهم كانوا في نزاع دائم، فمن جهة منشغلين بالتوسع في المغرب الأدنى ومن جهة أخرى في كانت القبائل الهلالية في صراعات دائمة فيما بينها فلم تنسى العصبية القبلية التي تتميز بها وعاثت في أرض المغرب فسادا.

وبقي الأمر على نحو ذلك حتى وفاة القائد بن حماد سنة 446هـ/ 1054 م، شهدت الدولة الحمادية تطورا وازدهارا في عهده خاصة بعد الهجرة الجماعية لسكان افريقية من تجار أغنياء وحرفيين بارعين وعلماء قي شتى العلوم فعملوا على نقل الحضارة القيروانية إلى المغرب الأوسط[1].

تولى حكم القلعة بعد القائد ابنه محسنا فكان مختلفا في حكمه عن سابقه، ولم تذكر المصادر التاريخية أي علاقة خارجية كانت بين محسن الحمادي والدولة الزيرية حتى علاقته مع الدولة الفاطمية لم ترد، وفي عهد محسن يظهر بنو هلال على الساحة السياسية للمغرب الأوسط حتى أنه كان لهم دورا في نظام الحكم الحمادي على ذكر ابن الأثير أن محسن بعد أن قصى على عمومته كتب إلى ابن عمه بلقين بن محمد الذي كان عاملا على أفريون يستدعيه إلى القلعة: "…. سار بلقين إلى محسن فلما قرب إليه أمر محسن رجالا من العرب أن يقتلوه فلما خرجوا قال لهم أميرهم خليفة بن مقن أن بلقين لم يزل محسنا إلينا فكيف نقتله فأعلموه ما أمرهم به محسنا فخاف فقال له خليفة لا تخف وأن كنت تريد قتل محسن فانا أقتله لك فاستعد بلقين لقتاله وسار إليه فلما علم محسن بذلك وكان قد فارق القلعة عاد هاربا إليها فأدركه بلقين فقتله."[2].

تولى بلكين بن محمد حكم الدولة الحمادية واشتهر بالبطولة والزعامة والنجدة والفتوح، وكان كثير الغزوات متحالفا مع القبائل الهلالية لإخضاع بعض المدن المتمردة عليه وبينما الأمر

[1] - ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص.699؛ رشيد بوريبة وآخرون: الجزائر في التاريخ؛ ص. 207.
[2] - ابن الأثير: المصدر السابق؛ ج.9، ص. 259؛ عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج.1، ص.281

على نحو هذا سطع نجم المرابطين واستولوا على المغرب الأقصى الذي شهد أثناء هذه الفترة اضطرابات سياسية ودينية فاستطاع الأمير يوسف بن تاشفين أن يقضى على القبائل المتفرقة المثيرة للفتن ووحد المغرب الأقصى تحت حكمه وتطلع غربا إلى المغرب الأوسط، فزحف على تلمسان وأرشقول ووهران، ولعل سقوط سجلماسة تحت سيطرته يعني أنه احتكر احد الطرق الذهب السوداني الرئيسية وازدادت أهمية هذا الطريق اثر قطع طريق الجريد وطرابلس من طرف الهلاليين فهذه الأسباب وأخرى جعلت بلكين بن محمد الحمادي يجهز حملة عسكرية إلى المغرب الأقصى للحد من توسعات الدولة المرابطية الناشئة ففي سنة 454هـ / 1062 م[1].

سار بلقين إلى المغرب حيث كان الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في الجنوب المغربي فدخل بلقين مدينة فاس ونهب عسكره المدينة وأقفل راجعا إلى القلعة مصحوبا ببعض أعيان مدينة فاس لجعلهم رهائن عنده ولم تدم هذه الحملة سوى بضعة أشهر وفي طريق العودة فاجأه ابن عمه الناصر بن علناس وتولى الحكم بعده بمساعدة الصنهاجين الذين كرهوا الغزوات المستمرة التي كان يقوم بها أميرهم بلقين. وفي مجمل القول تتضح علاقة بلكين بن محمد اتجاه القبائل الهلالية حيث ترك لهم الأرياف والسهول مقابل تصخير أبنائهم في صفوف جيشه،والاستعانة بهم وتحالف معهم والاستفادة من طاقتهم، وامتصاص قواتهم الحربية لهذا نجده يستخدمهم في جيشه عند محاصرته تلمسان ومحاربة زنانة وأثناء غزوته الكبيرة على المغرب الأقصى مما أوجب على الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين أن يراسل الأمير الحمادي بلكين بن محمد شاكيا له التحالف مع الهلاليين في غزو بلاده[2].

أما في عهد الناصر بنعلناس الذي تولى حكم المغرب الأوسطسنة 454هـ/1062م، وهي السنة نفسها التي تولى فيها تميم بن المعز بن باديس حكم المغرب الأدنى، وكان الأول جريئا ذا بأس وشجاعة وإقدام، وقد أسند مناصب سامية إلى إخوته وهي ولاية المغرب الأوسط أي القسم الغربي من مملكته وقد عهد بها إلى كباب الذي أسكنه مليانة وولاية حمزة التي منحها لرمان

[1] - ابن الخطيب: المصدر السابق، ص. 87 – 88؛ ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج.1، ص. 139. مبارك الميلي: المرجع السابق، ج.1. 614 – 615.
[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 354، رشيد بوريبة: المرجع السابق، ص.206.

وولاية نقاوس التي أسندها إلى خرز، وقد أعاد بناء سورها الذي هدمه المعز بن باديس وولاية قسنطينة التي عهد بها إلى أخيه بلبار وعين ولده عبد الله على رأس مدينة الجزائر ومرسى الدجاج، بعدما رتب الناصر بن علناس أمور دولته وأدب الخارجين عن طاعته،فكر في التوسع شرقا أي في المغرب الأدنى، وخاصة هذا الأخير الذي كان يعاني من ضربات القبائل الهلالية، فاغتنم الفرصة في التدخل في شؤونه[1].

حوالي سنة450هـ / 1058-1059 م اتجه وفد من شيوخ تونس إلى قلعة بني حماد ليطلبوا من الناصر بن علناس تقديم والي من قبله عليهم لكن الناصر لم يأبي طلبهم ورأى من الفطنة أن لا يتدخل في شؤونهم شعورا منه بالخطر الذي سيلقاه من طرف الهلاليين ويلقى نفس المصير الذي لقيه المعز بن باديس ففضل التدخل بطريقة غير مباشرة وذلك بدس الدسائس ومحاولة التفاهم مع المهدية من جهة أخرى وذلك بالرغم من النداءات الموجهة إليه من طرف ولاة المغرب الأدنى في الانضمام إلى دولته فلذلك اقترح غلى شيوخ تونس أن يختاروا شيخا منهم لإدارة شؤونهم فاختاروا أحد منهم في مجلسهم مع الناصر غي أنه استعفى من ذلك فاختار لهم الناصر والي عليهم يدعى عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الذي كان تابعا الدولة الحمادية[2].

بانضمام تونس إلى المغرب الأوسط سلكت مدينة صفاقس نفس الطريق حيث بعث واليها حمو بن مليل البرغواطي إلى الناصر هدية مصحوبة بسجل المبايعة والدخول تحت وصاية القلعة، ونفس الشيء بالنسبة للمدينة قسطيلة التي بعث أهلها إلى الناصر وفدا يتقدمهم يحي بن واطاس يبايعونه، فأجزل لهم العطاء وولى عليهم يوسف بن خلف وهو صنهاجي الأصل. وبعدما أصبح الناصر بن علناس يتحكم في المغرب الأوسط وقسم من المغرب الأدنى فكر في ضم هذا الأخير بأسره فبدأ يخطط لذلك[3].

---

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 354؛ عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص. 123 – 124.

[2] - حدث للمغرب الأدنى بعد الهجرة الهلالية مثل ماحدث للأندلس بعد سقوط الموحدين فأصبحت تحكمه ملوك الطوائف تتناحر في مابينها أنظر الفصل الرابع ص. 95.

[3] - ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص. 429 – 430؛ البكري: المصدر السابق، ص. 87؛ مقلد عبد افتتاح الغنيمي: المرجع السابق، ج 4، ص. 288؛

Rachid bourouida: les hamadites, p 52 – 53

وفي التفصيلات الجزئية يظهر أن الطرف البادئ بالتجني هو الناصر بنعلناسوهو الطرف الأقوى اقتصاديا أي ماديا وبالتالي سياسيا وعسكريا فنتيجة لانتقال المعز من القيروان إلى المهدية وتخريب العرب الهلالية للمغرب الأدنى انتقل كثير من أهاليهاإلى بلاد بني حماد المنيعة بجبالها الوعرة، فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم الأمر الذي كان يثير الحقد والأسى لدى بني زيري[1].

الظاهر أن الناصر بن علناس عندما شعر بقوة دولته أخذ يفكر في إعادة وحدة الصنهاجيين وضم بلاد المغرب الأدنى إلى دولته، وهكذا انتهى الخبر إلى تميم بن المعز وما يخطط إليهصاحب القلعة وأنه يذمه بمجلسه ويصفه بالتخاذل في مواجهة الهلاليين الذين يعبثون بدولته، ووصله أيضا أن الناصرعلناس يجهز جيشا ضخما عازما المسير به إلى المهدية[2].

كانت الأخبار الواصلة إلى المهدية صحيحة ففي سنة 457هـ/ 1064م، لأن الناصر بن علناس أقام حلفا مع العرب الهلالية ويبدو أن قبيلة الأثبج هم الذين حرضوه على ذلك، إذ أنهم كانوا يرغبون في الفرصة الأخيرة لمقاومة نفوذ بني رياح المتزايد، فاستعان شيوخ الأثبج بالناصر ضد منافسهم، وقد لبى هذا الأخير طلبهم بطيبة خاطر، لاسيما أن بني رياح كانوا موالين لبني زيري فكان حلف الناصر يضم بالخصوص إضافةإلى الصنهاجين، الأثبج وعدي من بني هلال وزناتة[3].

وهنا رأى تميم بن المعز أن يستخدم أسلوب الكيد والوقيعة وذلك بأن يثير حلفاءه وأصهاره الرياحين على الناصر بن علناس، فأرسل إلى أمراء بني رياح فأحضرهم وأعلمهم بأن المهدية

[1] - يرى سعد زغلول أن الرواية المحلية التي ينق- لها ابن- الأثير ومن بعده النويري أن أسباب النزاع بين صاحب القلعة الناصر بن علناس وبين تميم بن المعز صاحب بجاية إلى بدايات النزاع الأولى بين حماد وباديس حيث كان كلا هما يرى أحقيته في الملك والتمسك بالوحدة الصنهاجية التي لا يجب أن تتجزأ. (سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3، ص.452).

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 354- 355؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص. 86 -87؛إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص. ص. 24- 25.

[3] - النويري: المصدر السابق، ص.350؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ج.4،ص. 289.

لاتخذ إلا عن طريق البحر، لأن في برها أبراجا أربعة يحميها أربعون رجلا فقط، وأن الناصر الذي يحالف منافسهم الاثبج سيتمكن منهم ويطردهم من المغرب الأدنى.

فوافقت القبائل الهلالية رأي تميم بن معز وعزموا على التحالف معه على حرب الناصر بن علناس الذي أراد الاستيلاء على المغرب الأدنى والتوسع على حساب ابن عمه صاحب المهدية الذي اتفق مع القبائل الهلالية على صد هذا الهجوم[1].

اشترطت هذه القبائل من تميم بن المعز أن يقدم لهم المعونة، فأعطاهم تميم المال والسلاح، فجمعوا قومهم وتجهزوا للمعركة وراسلوا الأثبج وطلبوا منها خيانة الناصر أثناء المعركة مقابل ثلث الغنيمة عند نصرهم فاستجابت الأثبج لذلك، أما بالنسبة إلى زناتة فان تميما راسل زعيمهم وأجزل له العطاء مقابل غدر الناصر فكان له ذلك[2].

ومهما كان الحال ففي سنة 457هـ/ 1065م، خرج الناصر في عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعدي والاثبج، فوصل إلى الأربس واحتل المدينة وتم اللقاء بينه وبين جيش تميم في سهل سبيبة، وحسب الاتفاق المبرم حمل بنو رياح على الأثبج وعدي وحملت زناتة بقيادة المعز بن زيري على أبناء قبيلته المتحالفيين مع الناصر بن علناس، فبدأ الأثبج وزناتة في التقهقر وتبعهم الجنود الصنهاجيين[3]

لقد مني الناصر بهزيمة نكراء، ولكنه تمكن من النجاة بنفسه صحبة عشرة فرسان، بفضل بطولة أخيه الأكبر القاسم بن علناس الذي لقي حتفه في المعركة، وكان قد نصح أخاه بإرسال مبعوثين إلى العرب واستمالتهم بالهدايا عوض مواجهتهم بالسلاح، وإثر الهزيمة طلب من الناصر أن يسلمه تاجه ورايته ليتوه الهلالين عنه ويتمكن الناصر من النجاة لأنه شخص لا

---

[1] - مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص. 255 ؛ عبد الحليم عويس: دولة بني حماد؛ ص.118- 119.

[2] - ابن الأثير: المصدر السابق،ج.10،ص.45؛ رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق ص.255

[3] - يرى مبارك الميلي: أن القبائل الهلالية رغم اختلافها وكثرة نزاعاتها إلا أنها تتفق عندما يكون عدوها مشترك فتحالف رياح والأثبج المتعاديتان خير دليل على هذا لأنها رأت الناصر بن علناس إذا انتصر أخرجهم من النعمة التي حصلوا عليها ألا وهي المغربين الأوسط والأدنى. (تاريخ الجزائر، ج.1، ص. 615.)

يعوض يحتاجه الحماديين في إدارة شؤون بلادهم، فتم الأمر ونجا الناصر وقتل أخوه القاسم بن علناس[1].

بينما فيما يخص نتائج المعركة فكانت خطيرة جدا على قول ابن خلدون حيث أن بني هلال لحقوا بقلعة بني حماد فنازلوها وخربوها وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصافا أفقر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد على ماهناك من الأمصار، وعملوا على تهجير ملوك افريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالهم، بالمغرب الأوسط وحاصروهم في الضواحي وترقبوهم فأخذوا منهم الإتاوة مقابل التصرف في أوطانهم[2].

سيطرت القبائل الهلالية على سهول المغرب الأوسط وأريافه، فسلمت منهم بعض مدنه الحصينة في الجبال الوعرة التي يصعب على فرسان الهلاليين صعودها بعدم خبرتهم في حرب الحصون والدليل على هذا القلعة الحمادية التي لم يستطيعوا الدخول إليها، إضافةإلى هذا فان الحماديين انتهجوا سياسة ترويض القبائل الهلالية وذلك بالتحالف معهم تارة، ورشوهم بالمال تارة أخرى الأمر الذي أجل سقوط دولتهم[3].

كان الناصر بن علناس قد كان يخصص سنويا جزءا من المحصول الذي يجنيه ويقدمه الى الهلاليين مقابل عدم التعرض له ولعاصمته، فبسطوا نفوذهم على السهول والنجود وبسائط المدن الجبلية فاستقرت الأطلس الشرقي بين قسنطينة والقل وميلة وباغاي ومجانة ويلاحظ أن بنوسليم استقرت بالقرب من الساحل بينما عمرت هلال المناطق الداخلية، غنموا غنائم كثيرة من مال وسلاح ودواب وتم لهم السيطرة على البلاد، فأنهم قدموا وهم في ضيق وفقر فاستغنوا بعد ذلك وكثرت أموالهم ودوابهم وسلاحهم، وبهذا قل المحامي عن البلاد[4].

---

[1] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 10، ص. 45؛ النويري: المصدر السابق، ص. 351؛ رشيد بوريبة: الدولة الحمادية...، ص. 56.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 173؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج.1، ص.ص. 428 - 429 ؛ عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج.1، ص. 284.

[3] - ابن خلدون: المصدر السابق،ج.6،ص.173؛ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص. 429- 430؛ رشيد بوريبة: المرجع السابق، ص. 255.

[4] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.10 ص. 45؛ النويري: المصدر السابق، ج. 342؛ عزالدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت، دار الشروق، 1983، ص.ص 94 – 95.

يبدو أن الناصر بن علناس قد استعاد قواه بسرعة اثر هزيمة سبيبة التي كانت كارثة بالنسبة إلى صنهاجة التي حاصرها الهلاليون في القلعة، ووزناتة التي نافسها الهلاليون في غرب المغرب الأوسط، ومن جهة أخرى رأى الاثبج أن التحالف مع بني حماد ضروريا لمقاومة التحالف الزيري الرياحي خاصة بعد استسلام ابن خرسان صاحب تونس، ولذلك فقد توجه الناصر إلى مدينة الأربس سنة 460هـ/1067م، وكان معه قبيلة الأثبج وقام بمحاصرة المدينة حتى افتتحها وأمن أهلها وقتل عاملها ابن محراز وهو على الأرجح أمير بني رياح، وأثناء هذه الحملة الحمادية على المغرب الأدنى، أظهر القائد بن ميمون والي القيروان الخلاف على تميم بن المعز ودخل في طاعة الناصر بن علناس الذي توجه إلى مدينة القيروان ودخلها وضمها إلى دولته، وأبقى عليها واليها القائد بن ميمون ورجع بعد ذلك إلى القلعة الحمادية، خوفا من جموع القبائل الهلالية المتواجدين بقربها والتفكير في اجتياحها[1].

بعد نجاح حملة الحمادية على الأربس وخاصة القيروان بالاشتراك مع قبيلة الأثبج كان لابد من أن يثير رد فعل الحلف الزيري الرياحي فقد وجه تميم جيشا يصم الصنهاجيين وقبيلة رياح إلى القيروان لاستعادتها فلما سمع القائد بن ميمون بهذه الحملة وعلم أنه لا طاقة له في مواجهتهم ترك القيروان وسار إلى المغرب الأوسط قاصد القلعة الحمادية[2].

6-الصراع الهلالي الزناتي ونتائجه:

قام الناصر بن علناس عدة حملات عسكرية في المغرب الأوسط، ففي سنة 468 هـ/ 1076 م، وصل إلى طرابلس القائد الزناتي المنتصر بن خزرون، اثر النزاعات المسلحة التي نشبت في القاهرة بين الأتراك والمغاربة، فوجد في طرابلس قبيلة بني عدي التي طردت من طرف الأثبج وزغبة من افريقية، فتحالف معهم واتجه بهم إلى غزو المغرب، واستقر بالمسيلة وماجاورها وتمكنت جحافل من مغراوة وبني هلال من دخول مدينة أشير، إلا أن الناصر بن

[1] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج. 1، ص. 300 –301؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 173 – 174؛ رابح بونار: المصدر السابق، ج. 212؛

[2] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 10 ص. 49؛ النويري: المصدر السابق، ص. 343؛ رشيد بوريبة: الجزائر في التاريخ، ص. 65.

علناس قد جهز جيشا لمحاربة الثائر المغراوي، وتمكن من استعادة المدينة ولاذ المنتصر بن خزرون مع حلفاءه الهلاليين إلى الصحراء، ورجع الناصر إلى القلعة[1].

ولم يلبث الثائر المغراوي مدة حتى خرج من الصحراء بعد أن أعاد جمع أنصاره وحلفائه ليستأنف أعمال النهب والسلب وقطع الطرق والمنافذ. فعرض عليه الناصر بن علناس الصلح لأنه بلا شك قد رأى نفسه غير قادر على إخضاعه ومنحه مهلة للتفكير في ذلك، وفي الأخير استجاب المنتصر بن خزرون ونجح الناصر في استمالته مقابل إقطاعه واد الزاب وريغة فاتجه هذا الأخير إليهم، وفي نفس الوقت أمر عروس بني سندي أمير بسكرة الخاضع لسلطة بني حماد بأن ينصب كمينا له، فلما وصل الأمير المغروي إلى بسكرة اتجه إليه عروس واستقبله أحسن استقبال، حتى لايشك في الأمر، وعلى حين غرة قطع رأسه وفصله عن جسده، فبعث إلى الناصر بن علناس الرأس حيث عرضه ببجاية ووصبت الجثة في القلعة[2].

تفرق الهلاليون وأنصار المنتصر بن خزرون من مغراوة في الصحراء وأصبحوا يغيرون على الضواحي، فاشتكى أهل الزاب إلى الناصر بن علناس من الزناتين وبني غمرت ومغراوة حلفاء الأثبج الذين نهبوا بلادهم، فوجه إليهم ابنه المنصور فسار على رأس جيشه إلى ورقلة، وتمكن من القضاء عليهم وتشتيت حلفهم، وعين على رأس المدينة عاملا، وقفل المنصور راجعا إلى أبيه محملا بالغنائم والأسرى. كما كان يقوم بأعمال النهب بالاشتراك مع عرب بني عدي بطن أخر من بطون زناتة وهم بنو توجين الذين كان على رأسهم آنذاك مناد بن عبد الله، فوجه إليهم الناصر حملة أخرى بقيادة ابنه المنصور، فتمكن منهم وأسر أمراء بني عدي منهم سكن بن عبد الله، وحميد بن غزل، ولاحق بن جهان، وأسر أيضا أمير حلفاءهم من بنو توجين، وأخيه زيري وعميهما الأغلب وحمامة[3].

---

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق ج.6،ص. 173؛ ابن غلبون: المصدر السابق، ص. 38- 39؛ صالح مصطفى: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر؛ الشركة العامة للنشر والتوزيع، بنغازي، 1978، ض. 180 – 181،

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق ،ص74؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص.ص. 251- 252؛ روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص.323.

[3] - ابن خلدون: المصدر السابق ج.6، ص. 174؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج. 430 – 431؛ عبد القادر المشرفي الجزائري: بهجة الناظر في أخبار الداخليين تحت ولاية الإسبان بوهران كبني عامر، تحقيق محمد بن عبد الكريم، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1924، ص. 34- 35؛ إحسان عباس: المرجع السابق،122؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3، ص. 448.

في سنة 487هـ/ 1094م خرج أبو يكنى بن محسن بن القائد[1] والي قسنطينة وعنابة عن طاعة المنصور بن الناصر حسبما يبدو أن أبو يكنى أراد تكوين حلفا يضم جميع خصوم الأمير الحمادي وهم تميم بن المعز والأعراب الهلاليين والمرابطين، فكلف أخاه ويعلان بالذهاب إلى المهدية مبايعا لها ومسلما مدينة عنابة إلى تميم بن المعز، فقبل هذا الأخير العرض، وأرسل ابنه أبي الفتوح إلى المدينة ليحكمها باسم المهدية، ومن ناحية أخرى تمكن أبي يكنى وأخيه من استمالة عد كبير من الهلاليين وضمهم إلى جيشه، وتبادل أيضا الرسائل مع المرابطين[2].

وقد بادر المنصور الحمادي برد الفعل قبل اتساع رقعة الثورة فوجه جيشا إلى عنابة لاسترجاعها فضرب عليها الحصار لمدة سبعة أشهر، وتمكن من الدخول إلى المدينة وأسر واليها أبي الفتوح بن تميم ،وإرسالهإلى سجن القلعة الحمادية، وتوجه بعد ذلك إلى قسنطينة وضرب عليها الحصار فازداد وضع أبو يكنى وأتباعه تدهورا إلى أن ترك المدينة مستخلفا وراءه أمير الأثبج الذي يدعى سليسل بن الأحمر، ولجأ إلى قلعة بجبل الأوراس وتحصن بها.

واستقر الأمير الهلالي في قسنطينة، حيث كلفه أبو يكنى بحمايتها إلا أن القائد المذكور قد باع المدينة إلى المنصور الحمادي الذي ملكها من جديد وضمها إلى دولته، أما أبو يكنى الذي كان معتصما بقلعته الأوراسية فقد كان يقوم من حين إلى أخر بغارات خاطفة على مدينة قسنطينة، ولكن الجيوش الحمادية قد حاصرته في قلعته واستطاعت القبض عليه وقتله[3].

بعد استفحال أمر المرابطين وغزوهم لتلمسان والمناطق الغربية للمغرب الأوسط منها تنس وونشريس وناحية واد شلف وجزائر بني مزغنة بمساعدة قبائل زناتة خصوصا قبيلتي بني ومانو وبني يلومي، حشد المنصور الحمادي الصنهاجين والجنود الهلاليين من الأثبج ورياح

---

[1] - حسب رشيد بوريبة أنه بعد وفاة الناصر بن علناس تمرد أخاه بلباروإلي قسنطينة على ابنه المنصور فكلف هذا الأخير ابن عمه أبا يكنى بالقضاء على هذا الانشقاق عن البيت الحمادي فتمكن منه وأرسل بلبار إلى القلعة فولى المنصور عليها أبا يكنى مكافئة له، فكان يشرف على قسنطينة وبونة التي عين عليها شقيقه ويغلان. (الدولة الحمادية، ص.74)

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 175؛ روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص, 326 – 327.

[3] - ابن الخطيب: المصدر السابق، ج.3، ص. 98؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج.10، ص. 46- 47.عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، ص. 168 – 169.

وزغبة وربيعة والمعقل بالإضافةإلى عدد كبير من حلفائه الزناتين زحف بجيشه نحو مدينة تلمسان على رأس عشرين ألف رجل وذلك سنة 496 هـ/ 1103 م، ولما وصل إلى وادي سطفسيف سير كتائب من جيشه إلى المدينة، وأخذ يراقب تقدمه عن بعد فالتقى مع تاشفين بن تينعمر والي تلمسان الذي أراد أن يواجه الحماديين خارج المدينة فالتقى معهم بتسالة، ومني بهزيمة نكراء أجبرته على الالتجاء إلى جبل الصخرة، ودخل جنود المنصور إلى تلمسان سالبين وناهبين كل موجدوه في المدينة، وبينما هم كذلك إذ خرجت من المدينة زوجة تاشفين بن تينعمر التي تدعى حواء فتقدمت إلى المنصور الحمادي والتمست منه العفو والرحمة من أجل ما يجمع بين المرابطين وبني حماد من نسب واحد، فاحتفى بها الأمير وأجلى جنوده من تلمسان، وقفل راجعا إلى عاصمته بعدما دامت حملته هذه سنة كاملة[1].

وفي سنة 497هـ / 1104م أبرم الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين الصلح مع المنصور الحمادي وإرضاء له عزل تاشفين بن تينعمر عن ولاية تلمسان، ومنذ هذا الاتفاق المبرم أصبحت العلاقة بين بجاية ومراكش يسودها السلم والأمان بين الطرفين. وبعد مدة وجيزة قدرها سبعة أشهر توفي المنصور الحمادي سنة 498هـ / 1105 م، بعدما رسم حدود دولته من الناحية الغربية وقضى على المتمردين في الجنوب، وصد أطماع بني عمه الزيريين من ناحية الشرق، وفي عهده شهدت دولته ازدهارا وتطورا في جميع الميادين ويكفي أنه استطاع حماية دولته من العرب الهلالية الغازية[2].

تقدم الهلاليون وأحلافهم نحو المغرب الأوسط، فقد دخلواإليه من ثلاث جهات، الأولى من جهة السواحل حيث تقطن كتامة ويضعف نفوذ صنهاجة أو ينعدم، وتقدموا إليه من نواحي باجة، فانتشروا على ضواحي القالة وعنابة وقسنطينة على القل وجبال البابور، وزحفوا من هذه الجهة

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 176؛ البكري: المصدر السابق، ص.76؛ مبارك الميلي: المرجع السابق: ص. 554.
[2] - مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص. 25- 26، عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص. 135 - 136.

أسبق من سواها ولا يوجد أي احتكاك مع كتامة فأما أن يكون الفاطميون قد كتبوا إلى كتامة بعدم التعرض لهم،وأما أن تكون كتامة هي التي تحاشتهم نكاية من صنهاجة[1].

في المعركة سمح للأثبج مرغما بعد طردهم من افريقية على إقامة بمنطقة قسنطينة، فاستوثق سلطانهم على ضواحي المدن ولحقت بهم قبائل هلالية أخرى متوغلة في المغرب الأوسط إذ كان آخرها قبيلة المعقل التي تجزأت إلى قسمين، الأول قصد شمال المغرب الأوسط فضايق زناتة في إقليم وهران، والثاني اتجه جنوبا نحو تافليلات بالمغرب الأقصى[2].

إن استيلاء الأثبج وعدي على ريف مملكة بني حماد يسمح لنا بالتعرف على هذه المنازعات الغامضة، وأنهم أقل بأسا من قبائل رياح وقد نزحوا إلى افريقية بعدهم ليحصلوا على نصيبهم من الأرض الموعودة فلمس يستطيعوا ابعاد قبائل رياح لذلك اضطروا لتوغل نحو المغرب الأوسط، حيث سمح لهم ملوك القلعة بالاستقرار غير مقدرين خطورة هذا الموقف[3].

لم يستطع الرحل الزناتين والقبائل الهلالية على التعايش في افريقية فقد أجلى بنو هلال الزناتيين من افريقية إلى جنوب المغرب الأوسط، أمثال بني غمرت الذين أجبروا على الإقامة في بعض القرى الواقعة جنوب المسيلة[4].

فاجتهدت زناتة في محاربتهم ورجع إليهم من بافريقية والمغرب الأوسط وجهز إليهم صاحب تلمسان من بني خزر قائده أبا سعدي اليفرني، فكانت بينهم بينه حروب إلى أن قتله الهلاليون بنواحي الزاب وتغلبوا على الضواحي في كل وجه، وعجزت زناتة عن مقاومتهم بافريقية وإقليم الزاب، وصار التنافس بينهم على جبل بني راشد وإقليم وهران بالمغرب الأوسط[5].

وبعد ولاية المنصور بن الناصر الحكم بالمغرب الأوسط استفحل أمر المرابطين الذين استطاعوا الاستيلاء على تلمسان فتحالف المنصور مع قبائل بني هلال وهم أحياء الأثبج

---

1 - محمد مبارك الميلي: المرجع السابق، ص. 182.

2 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق، ص.107.

3 - عبد الله عروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، ج.2، ط.2، ص.ص. 94-95.

4 - جورج مارسيه: المرجع السابق، ص. 231.

5 - مؤلف مجهول: مفاخر البربر: ص. 215؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 175 –176؛إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص. 29-30؛

GOLVIN L: LE MAGREB CENTRAL A L'EPOQUE DES ZIRIDES , PARIE , 1965 , PAGE 51

وزغبة وربيعة والمعقل وبني عمران، وبني تازروت، فاستقام الأمر بمساعده بني هلال وكان ذلك سنة 479هـ/ 1104م[1].

بعد أن ضاقت الأرض بالقبائل الهلالية في المغرب الأوسط خاصة بعد هزمهم لزناتة وطردهم إلى الجنوب، شعر صاحب تلمسان بالخطر المحدق به وأعاد الكرة عليهم غير أنه مني بالهزيمة النكراء وشرد جيشه فاضطر إلى مهادنتهم[2].

أما بنو حماد فقد عمدوا بعدما تبين لهم عدم جدوى مقاومة زناتة والزيريين في آن واحد، جددوا الحلف مع قبائل الأثبج وزغبة، وتركوا الأرياف والسهول لهم وكان اختيارهم لهذه القبائل نكاية بالزيرين الذين تحالفوا مع رياح أعداء الأثبج وزغبةوظل الصراع قائما بين هذه القبائل في المغربين الأوسط والأدنى[3].

7- انتقال بني حماد إلى بجاية:

كانت نتائج معركة سبيبة خطيرة أيضا على الزيرين لأن بني هلال بالمغرب الأدنى أصبحوا بعد المعركة أقوى مما كانوا من قبل، فنرى إن تميم بن المعز أصابه حزنا شديد ولم يقبل الألوية والطبول وخيم الناصر التي كانت أهديت له من طرف بني هلال على ذكر ابن الأثير أنه قال "" يقبح بي أن أخذ سلب بني عمي." فبلغ ذلك الناصر فطلب من وزيره أبي بكر بن الفتوح وكلفه بإجراء الصلح مع تميم بن المعز وكان هذا الوزير رجلا سياسيا محنكا بعيد النظر، وكان يرى في غزو بني هلال خطرا على افريقية والمغرب الأوسط، وكان كثيرا ما يشير على الناصر بتناسي الأحقاد والضغائن القديمة والاتفاق مع ابن عمه تميم لجمع قوتهما والوقوف في وجه الهلاليين الغزاة المفسدين[4].

ومن جهة أخرى فان الأمير تميم هو الآخر أراد الصلح مع الناصر بن علناس لأنه كان يخشى من بني رياح الذين كانوا قد تغلبوا على قبيلة الأثبج وأجبروهم على مغادرة المغرب

[1] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج.1، ص. 301- 302؛ عبد الله عروي: المرجع السابق، ج.2، ص. 95 - 96.
[2] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص.576، الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج 1، ص.ص.236 -237
[3] - ابن خطيب: المصدر السابق، ص. 97 – 98؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ج. 4، 309 – 310.
[4] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.10، ص. 46 - 47؛ النويري: المصدر السابق، ص. 352 - 351؛ إسماعيل العربي: دولة بني حماد، ص. 168.

الأدنى ولم يتوقف الأمر عند هذا فحسب بل تزايدت قوة بني هلال وسيطرت على جميع السهول والأرياف فاضطرت بعد تزايد أعدادهم إلى محاربة قبيلة زغبة وأرغمتها هي الأخرى على الرحيل من المغرب الأدنى فخشي تميم بن المعز هذه القوة المسيطرة على بلاد وأن تعمل على محاربته، إضافة إلى هذا فقد أصاب افريقية مجاعة خطيرة ووباء مات فيه الكثير من الناس فنفذت موارد الدولة الزيرية بشلل نشاطها الاقتصادي الذي كان سببه القبائل الهلالية وما أحدثته بالمغرب الأدنى، فأصبح يتوجب على الأمير الزيري القيام بالصلح الذي هو في مصلحته أولا لأنه غير قادرا على محاربة الناصر الحمادي من جهة وبنو هلال والإمارات المتمردة من جهة أخرى فجاء الصلح في وقته المناسب[1].

وهكذا بدأت المفاوضات الحمادية الزيرية فجاء سفير تميم الذي يدعى محمد بن البعبع إلى القلعة لإبرام وثيقة الصلح وكان مروره في طريقه إلى المغرب الأوسط بحرا خوفا من القبائل الهلالية أن تعترض سبيله، فنزل بجاية وهي حينئذ منزل ينزله رعية من البربر فأعجب بالمكان، ورأى انه يصلح لبناء مرسى ومدينة ويحيط بهذا المكان كل لوازم التي تساعد على القيام بذلك.

ولما وصل إلى القلعة استقبله الناصر بن علناس أحسن استقبال وعقد الصلح بين القلعة والمهدية، وخلال إقامة ابن بعبع بالقلعة أشار على الناصر بن علناس بموقع بجاية الحصين الذي يصلح أن يكون عاصمة جديدة لدولته[2].

بعدما رأى بعينه ما تعانيه القلعة الحمادية من أضرار التي تحدثها القبائل الهلالية فاستحسن الناصر الرأي وشد الرحال مع ابن بعبع إلى المكان، فأعجب به واستحسن مشورة ابن بعبع، فأجزل له العطاء لرسول تميم الذي وعده بإدخاله في خدمته في أقرب الآجال، وعاد الناصر إلى القلعة وأمر في ساعته في البناء والتشييد لمدينة بجاية سنة 460هـ/ 1067 م[3].

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق ج.6، ص. 174؛ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص. 299- 300؛ رشيد بوريبة: الدولة الحمادية، ص. 68.

[2] - حسب ابن خلدون ودخل على الناصر الذي كان في استقباله، وأشار عليه بامتلاك المهدية التي يسهل الاستيلاء عليها عن طريق البحر، وأخبره بأمر بجاية ومالها من موقع هام يصلح لبناء مدينة ومرسى ومرافق لصناعة السفن. (العبر، ج.6، ص. 174.)

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق، ح.10، ص. النويري: المصدر السابق،ص.ص.352-353؛ مبارك الميلي: المرجع السابق، ص. 554.

تحولت سفارة الصلح والسلام عن هدفها وأصبح السفير الذي أرسله في مهمة نبيلة لا يعمل إلا لتحقيق أغراضه الشخصية ولو كان ذلك ضد العاصمة التي يمثلها ولكن بني حماد استفادوا من ذلك فائدة كبيرة فان قيام بجاية سيضمن لهم البقاء ولدولتهم نيفن ونصف من الزمان في الوقت الذي تتوفر فيه هذه المدينة على جميع المرافق التي تجهلها عاصمة الدولة الحمادية بعد القلعة المحاصرة من طرف الهلاليين[1].

ويمكن القول أن تأسيس مدينة بجاية يرجع أولا إلى خراب القلعة نتيجة الاجتياح الهلالي للمغرب الأوسط. فكان هو الباعث إلى تفكير في بناء عاصمة جديدة يمكن أن يكون لها دور جديد تطلبه ظروف الدولة، وهذه زيادة عن الموقع الاستراتيجي فهي تتوسط عدد من عواصم المغرب الأوسط كما أنها تشرف على ميناء بحري يسهل التبادل التجاري للدولة بعدما أصبح نشاطها يتركز على التجارة حيث أن السهول الخصبة استحوذت عليها القبائل الهلالية[2].

ويرى صاحب الروض المعطار أن الناصر بن علناس هو من كان صاحب فكرة بناء مدينة بجاية لما رآه من حصانة المهدية فأراد التحصن هو الأخر وردع القبائل الهلالية التي لا تعرف في حروبها الحصون والموانع[3].

استوثق هذا الصلح بين بنو زيري وبنو حماد بالمصاهرات حيث يذكر بن عذارى أنه في سنة 470 هـ. اصطلح تميم بن المعز والناصر بن علناس وتزوج هذا الأخير بابنة تميم وجهزها إليه من المهدية في عساكر عظيمة ومال وذخائر لا تحصى[4].

تعطينا كل هذه الوقائع فكرة عامة عن الفوضى السائدة في تلك الفترة بالمغرب الأوسط والتي بلغت أشدها في الجنوب والغرب بسبب التحالفات المبرمة بين البطون الزناتية والهلالية على

[1] - ابن غلبون: المصدر السابق، ص.. 38 – 39؛ إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص.. 159 – 160.

[2] - ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص.301؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق،ج.3، ص. 450.إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص.169- 170.

[3] - الحميري أبو عبد الله: روض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1975، ص. 95؛ أندري برنيان أندري دوشي، ايف لا كوست: الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح، منصف عاشور، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص. 107.

[4] - ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، 302- 303؛ جورج مارسيه: المرجع السابق، ص.125 رشيد بوريبة: المرجع السابق، ص. 69 – 70.

وجه الخصوص. فلم يمضي الكثير حتى توفي الناصر بن علناس سنة 481هـ/1088 م، وخلفه ابنه المنصور قاهر زناتة وهلال المغرب الأوسط[1].

[1] - ابن الخطيب: المصدر السابق، ق. 3، ص. 87 -88؛ مفاخر البربر، ص. 28- 83؛ رشيد بوريبة: المرجع السابق، ص. 72.

الفصل الرابع

تطور ظاهـــرة الهجرة خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميــــلادي

- تمهيـــــد
- قيام الدولة الحمادية ودورها في ظاهرة الهجرة
- القطيعة المذهبية ودورها في حركة الهجرة
- انتشار صنهاجة في المغرب الأوسط
- استمرار الأزمات الاقتصادية
- الزحف العربي – الهلالي السليمـي – ودوره في حركة الهجرة
- العرب في مصر
- قبائل بني سليم
- قبائل بني هلال
- السياسة الفاطمية تجاه المغرب
- زحف العرب
- العرب في المغرب الاوسط
- العرب وملوك تلمسان من آل خزر
- هجرة بني خزرون

تمهيـــــد:

إذا كانت هجرات القرن الرابع الهجري قد ارتبطت أساسا بالظروف السياسية التي عاشتها المنطقة أنذاك، ونقصد بها الدولة العبيدية وسياستها وصراعها ضد قبائل المغرب وأموي الأندلس، فإن تحركات السكان وهجراتهم قد استمرت خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي لكن باقل حدة، وذلك إلى ما قبل دخول العرب، حيث تمت بصورة تكاد تنحصر في مجال العدوة المغربية، إما داخل المغرب الأوسط أو نحو المغرب الأقصى وأفريقية أو العكس، في حين انخفض تيار الهجرة نحو الأندلس متأثرا بالأحداث التي شهدتها المنطقة في هذه الفترة والمتمثل في الفتنة الأندلسية[1]، التي كانت من نتائجها انقسام الأندلس إلى إمارات عرفت بدويلات الطوائف، وفي ذلك يقول عبد الله بن بلكين: " فلما تمت الدولة العامرية، ورقى الناس لا إمام لهم ثار كل قائد بمدينته وتحصن في حصنه بعد تقدمه النظر لنفسه واتخاذه العساكر والأموال "[2].

تعرض البربر أثناء هذه الفترة إلى مضايقة من بعض أمراء الأندلس وملك طوائفها، ولا سيما من محمد بن هشام بن عبد الجبار[3]، ومما لا شك فيه أن هذه الظروف الصعبة قد جعلت المغاربة يقصرون على الجواز إلى الأندلس لما تسامعوا بذلك، بل الخروج منها والعودة إلى المغرب، وقد صور زاوي بن زيري هذا الموقف بقوله: "ولست أمنا عودهم جملة إليكم بعد، فلا يكون لنا قيام بهم....فالرأي الخروج عن أرضهم"[4]، ويتضح من هذا القول أن الظروف السياسية لم تكن على ما يرام للإقامة في الأندلس، وإن كان زاوي قد خاف من حقد الأمويين عليه لما كان يضمره لهم من استلامهم رأس والده.

---

[1]- الفتنة الأندلسية: هي ذلك الصراع نشب في الاندلس ابتداء من سنة 399ه/1008 م عندما أحجر معبد الرحمن بن محمد حاجب هشام المؤيد وأجبره أن يعهد إليه بالخلافة، فقام عليه الأمويون بقيادة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر (المهدي) بقرطبة فكان سبب هذه الفتنة، فأما الاول فكان الباعث عليها وكان الثاني بابها على حد تعبير ابن عذاري، وقد كان البربر أحد أطرافها عندما ا لتفوا حول سليمان بن عبد الرحمن الناصر اواخر شوال من سنة 399 ه /1008 م مبايعين إياه بالخلافة ولقبوه االمستعين بالله. استمرت الاضطرابات والصراعات بين الامويين ومن معهم من البربر والجند العامريين تارة وبين الامويين والعلويين تارة أخرى إلى إنقراض الخلافة بخلع هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر سنة 422 ه / 1031 م يراجع عنها ابن خلدون – المصدر السابق – مج 2- ص 1181.

[2]- عبد الله بن بلكين – المصدر السابق ص58.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق ج3-ص 75-78- من ذلك أنه أمر أن ينادي في الناس من أتى برأس بربري لله كذا فتسارع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه –ص81 / عبد الله بن بلكين: المصدر السابق – 6 ص60 -61.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص25.

لم نسجل خلال هذا القرن إلا بعض الهجرات الفردية التي كانت تقوم بها عناصر أو فئات محدودة كالفقهاء وطلبة العلم أو التجار، وإذا كانت هذه خال الأندلس مع مطلع القرن الخامس الهجري فغن المغرب كان يسير في نفس الاتجاه تقريبا حيث بشهد مخاضا سياسيا، والذي ستكون أحد دوافع تحرك السكان وهجرتهم.

❖ قيام الدولة الحمادية ودورها في ظاهرة الهجرة:

يعتبر تكليف باديس بن المنصور لعمه حماد بحماية الحدود الغربية للملكة الزيرية سنة 395هـ/1004م[1] بداية الانشقاق السياسي في البيت الزيري، والذي كان فاتحة اختطاط مدينة القلعة[2] سنة 398هـ/1007م التي ستصبح عاصمة الدولة الناشئة سنة 405هـ/1014م، وهو ما يمثل المنعرج الحاسم في تاريخ المغرب الأوسط، ليس لأنه شهد ميلاد أول دولة بربرية مستقلة فحسب، بل لانعكاساتها السياسية والاجتماعية.

عمل حماد على تنظيم مملكته وتدعيم قواعدها ولاسيما في حاضرته القلعة التي ضاهى بها عواصم افريقية والأندلس، ونقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة، وسكان جراوة[3]، وقد ساعد موقعها الوسط في ملتقى الطرق أن تصبح مقصد التجار وأصحاب الحرف وطلاب العلم، والعلماء[4]، ومن أشهر الشخصيات العلمية التي استوطنت القلعة أبو الفضل بن النحوي.[5]

لقد كان لهذه المدينة في الواقع دور سياسي وعسكري، فهي بحكم موقعها صبحت مركزا لمراقبة قبائل زناتة العدو التقليدي لصنهاجة حيث اتخذها حماد وبنيه كقاعدة لانطلاق العمليات العسكرية ضذها، ويشير إلى ذلك غبن خلدون بقوله:"ولم يزل حماد أيام باديس أميرا

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص1868.

[2]- القلعة: تم بناؤها وتمصيرها سنة: 400ه /1009 م بجبل عجيسة – المعاضيد حاليا – بينها ة بين المسيلة اثنتا عشر ميلا – ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1875/ الحميري: المصدر االسابق –ص496.

[3]- جراوة: هناك مدينتان بهذا الاسم، الاولى تسمى جراوة مكناسة أو جراوة أبي العيش نسبة إلى أبي العيش عيسةى بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله التي أسسها سنة 257 ه / 870 م بينها وبين البحر ستة أميال حولها قبائل مطغرة وبني يفرن، والثانية بين قسنطينة وقلعة بني حماد والمرجع أن تكون الثانية لقربها من القلعة رغم أن ابن خلدون يقصد الأولى: -مج1-ص1875. / ابن عذاري: المصدر السابق – ج1 –ص196.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2-ص1875

[5]- ابن النحوي: هو أبو الفضل يوسف بن محمد ابن يوسف (433-513 ه/1041-1119م) أصله من توزر انتقل إلى القلعة وسكنها سنة 494 ه /1100 م فنسب إليها وتعاطى بها التدريس حتى وفاته، تخرج على يديه جماعة من أعلام القرن السادس مثل القاضي أبو عمران بن موسى الصنهاجي الذي كان عالما بالمسائل والألأحكام كان من جلة القضاة في القرن السادس مثل القاضي ابو عمران بن موسى الصنهاجي الذي كان عالما بالمسائل والأحكام وكان من جلة القضاة في وقته

على الزاب والمغرب الأوسط ومتوليا حروب زناتة، وكان نزوله ببلد أشير والقلعة متاخما لملوك زناتة وأحيائهم البادية "[1].

والحقيقة أن الزناتيين لم يكونوا يواجهون ضغط الحماديين فقط بل واجهو خطر بني عمومتهم الزيريين من الشرق الأعلى بدفعهم إلى بلاد بني حماد لإشغالهم بهم، ففي سنة 429هـ/1037م هاجمت عساكر بلاد الزاب حيث فتحت بعض المدن والقلاع وقتلت أعدادا منهم، وأجبر اباقي على الهجرة إلى المغرب وإلى أطراف الصحراء، وهكذا أرغمت الدولتان الزيريتين قبائل زناتة على ترك مواطنها لصالحهما.

❖ القطيعة المذهبية ودورها في حركة الهجرة:

كانت معظم قلائل كتامة وصنهاجة على المذهب الشيعي الاسماعيلي بحكم انتشاره في صفوفهم منذ القرن الثاني الهجري، ثم زاد انتشاره في ظل الدولة العبيدية التي عملت على أن يكون المذهب الرسمي والوحيد في بلاد المغرب.

شكل هذا المذهب احد أوجه الصراع بين أتباعه وبين أتباع المذاهب الأخرى من خوارج وسنة، وقد تمكن أنصار هذا الأخير من الصمود في وجه المد الشيعي[2]، بل إن حماد أقدم سنة 405هـ/1014م على خطوة جريئة عندما أعلن قطع دعوة المذهب الشيعي وقام بملاحقة أنصاره، وفي ذلك يقول ابن خلدون:"وخالف–حماد– دعوة باديس، قتل الروافض وأظهر السنة"[3].

بدأ المذهب الشيعي يفقد تواجده مع إعلان حماد السابق ثم مع خلافة المعز بن باديس في افريقية أوائل سنة 408هـ/1017م حيث بدأ انتعاش المذهب المالكي، وقام أنصاره بملاحقة المتشيعين[4]، وهو ما أدى بهم إلى الهجرة ولاسيما نحو مصر التي تكون قد فتحت لهم

---

[1]- ابن خلدون المصدر السابق – مج2-ص 1876.
[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص26.
[3]- يمكن في هذ الإطار العودة إلى أبي العرب: طبقات علماء افريقية –ص199-212 / القاضي عياض: المصدر السابق – مج2-ص30-31 / ابراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفتع عن عقيدة أهل السنة – مؤسسة الرسالة – لبيروت –ط1-ص 1426ه/2005م –ص 380 /محمد طه الحاجري: مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الادبية – دار النهظة المغربية – بيروت – ط1- 1403 ه / 1983 م – ص 136-138 – التي تضمنت مناظرات بين المذهبين، ودور علماء المالكية في تثبيت هذا المذهب
[4]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2-ص 1876.

المجال بعدما شعرو بالهضيمة وبأنهم منبذون أمام جماهير أهل السنة، حتى أن بعضهم كانوا ينتفون من نسب كتامة ويفرون منه لما وقع لهم من النكير بانتحال مذهب الرافضة وعداوة الدولة بعده[1].

بالإضافة إلى هجرتهم نحو مصر تفرق بعضهم في نواحي المغرب حيث أصبح لهم بجبل وانشريس موطن[2]، واستقرت بعض بطونهم في الغرب وهم بنو بنو يستيتن[3]، ومنهم من واصل الطريق نحو المغرب الأقصى أين استقروا شمالا بين سبتة وطنجة حيث يوجد بطن منهم مندرج في قبيلة أنجرة سميت بهم قرية تدعى ملوثة[4]، كما توجد قبيلة باسمها الأصلي كتامة مستقرة بإقليم الحسيمة شمالا ومن يستيتن كذلك فرقة مندرجة في بني كلال بجهة دبدو باقليم وجدة[5].

ومن المراكز والمدن التي استقرت بها بطون كتامة، قلعة ابن خروب على مرحلة من طنجة وبمدينتي البصرة وأصيلة[6].

❖ انتشار صنهاجة في المغرب الأوسط:

كانت المواطن الأصيلة لهذه القبيلة كما مر في الفصل الأول من المغرب الأوسط مابين المسيلة إلى بلد مليانة مرورا ببلد حمزة والمدية والجزائر، وقد انفتح لها باب الطموح السياسي مع أواخر القرن الرابع الهجري إذ لم يستغرق ولاؤها للزيريين إلا عهود ثلاثة خلفاء وهم بلكين وابنه المنصور ثم حفيده باديس.

بدأت بوادر الانفصال مع حماد الذي مد دولته غربا، ثم سار أبناؤه ممن ملكوا بعده سياسة التوسع ولا سيما القائد بن حماد(419-446هـ/1028-1045م) وابن أخيه بلكين بن

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق – ج1-ص 268ص 274.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق – ج2-ص 1862قد يكون المقصود بالدولة دولة المعز بن باديس (408-454 ه/ 1017-1062 م) الذي في عهده تم التضييق عليهم يالتقتيل والتهجير ومنها قول النويري: " وقيل أن القتل وقع فيهم في جميع المغرب في يوم واحد في المدائن والقرى " ص 336.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق: مج2-ص 1862.يوجد هذا الفرع قرب البيض على بعد 20 كلم إلى الشمال الشرقي ويعرفون اختصارا – ستيتن: موسى لقبال: المرجع السابق – ص 117/ عبد الوهاب بن منصور: المصدر السابق ص- 319.

[4]- موسى لقبال: المصدر السابق –ص117-ص321.

[5]- موسى لقبال: الرجع السابق –ص321.

[6]- ابن عداري: المرجع السابق –ج1-ص332.

محمد(447-454هـ/1055-1062م) وفي ذلك يقول ابن عذاري:"وفي سنة 454هـ/1062م وطئ بلكين بن حماد الصنهاجي جميع الغرب ودوخه بجيوش عظيمة"[1].

إن هذا التوسع الذي بلغته الدولة الحمادية فتح مجال التحرك لقبائل صنهاجة في بلاد المغرب وافريقية بصفة عفوية أو استجابة لأوامر السلطة لتحقيق أهداف معينة، او نتيجة الفتن والثروات التي تعرضت لها الدولة فيما بعد، حيث توجهت بعض بطونهم نحو المغرب أين استقروا بتلمسان كما يستنتج من نص ابن خلدون عندما يتكلم عن الزحف المرابطي بقوله:"وسرح بن تاشفين قائده مزدلي في عساكر لمتونة لحزب من بقي بتلمسان من مغراوة ومن لحق بهم من فل بني زيري وقومهم"[2].

ومن بطون صنهاجة التي استقرت غرب المغرب الأوسط قبيلة بني دركول أو دركون والمعروفة حاليا ببني درقن بزمورة نواحي غليزان[3]، ورغم أنه ليست لدينا معلومات دقيقة عن ظروف وتاريخ انتقال هذا البطن إلا انه يمكن تحـديد ذلك بناء على القرائن بفترة الصراع بين باديس المنصور (385-406هـ/995-1015م) وحماد بن بلكين وهزيمة هذا الخير سنة 406هـ/1015م عندما لاحتقه جيوش باديس إلى مواطن السرسو من بلاد زناتة[4]، نواحي تاهرت.

كما يوجد بعضهم مندرج في قبائل صنهاجية شمال المغرب الأقصى، ومنهم كذلك بنو زروال، ويوجد بعضهم عند وادي ورغة شمال فاس[5]، ومن بطن ملوانة فرق بالمغرب الأقصى يكونون قد هاجرو إلى هناك في خضم الصراعات السياسية بعد وفاة حماد (419هـ/1028م) وفي عهد ابنه القائد، ثم حفيده محسن (446-447هـ/1054-1055م) الذي اتصف بالتجبر حيث نكل بأعمامه مما اضطرهم إلى الهروب من بطشة[6]، أو في عهد بلكين بن محمد الذي

[1]- ابن عداري: المرجع السابق –ج1-ص332..
[2]- ابن خلدون: المصدر السابق –ص2092.
[3]- موسى لقبال: الرجع السابق –ص90.
[4]- ابن خلدون: المرجع السابق –مج2—ص1876.
[5]- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق -ص331.
[6]- يصف ابن خلدون شخصية محسن بقوله: " وهلك – القائد بن حماد – سنة ست وأربعين وولى ابنه محسن وكان جبارا خرج عليه عمه يوسف ولحق بالمغرب " مج2-ص1876.

كان كثير الغزو لبلاد المغرب حيث يكون بعض الأفراد من جيشه أو قادتهم قد استقر في المغرب الأقصى لإحساسهم بنيته في التخلص منهم أو لاستيائهم من تكلف مشقة الغزو، وهو ما يفسر تواطؤهم مع ابن عمه الناصر بن علناس[1] في قتله سنت 454هـ/1062م، وفي المقابل فإنه احتمل من أهل فاس ناسا كرهن على الطاعة.

وإذا كانت بعض هذه الهجرات قد تمت بصورة فردية فغنه غالبا ما ينتقل مع الشخص المهاجر أهله او عشيرته وخدمه فيستقرون بمكان معين فيسمى يهم أو ينسب إليهم.

لقد تضررت القبائل الزناتية كثيرا من تأسيس الدولة الحمادية ومن سياستها التوسعية، وموقف ملوكها منها والذين حولوا شل تحركاتهم وإبعادها، وهو ما لم يهضمه الزناتيون بحكم طبيعة حياتهم، فهم قبائل بدوية رحالة في الغالب لا تخضع لسلطان، ويبدو أن المشكلة الأساسية التي كان يواجهها الحماديون هي ثورات زناتة المتكررة، والتي تعود إلى أيام العبيديين ثم زادها أوارا[2] باديس بن المنصور عندما كلف عمه حماد بحربهم سنة 395هـ/1004م وشرط له أشير وكل ما يفتحه من مواطنهم الأمر الذي اعتبرته زناتة تعديا عليهم، وهو ما يفسر انضمام بني توجين بزعامة عطية بن دافلتن وابن عمه بدر بن لقمان بن المعتز إلى باديس في حربه لحماد عندما خرج عن طاعته سنة 405هـ/1014م ونزل بساحتهم[3]، نكاية فيه لشدته عليهم، وهو نفس الموقف الذي ستتخذه القبائل الزناتية من مظاهر العرب ضد ملوك بني حماد ومن أمثلة ذلك:

1. تواطئهم مع العرب لإلحاق الهزيمة بالناصر بن علناس غي معركة سبيبة[4] سنة 457هـ/1046م[5].

1- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص295.
2- الأور: حر الناس والشمس، واستأورت الإبل نفرت من السهل، واستأور القوم غضبا اشتد غضبهم: الفيروز أبادي: المصدر السابق –ص308.
3- ابن عداري: المرجع السابق –ج1-262.
4- سبيبة: مدينة أولية ذات انهار وثمار عليها سور من حجارة، والها ربض فيه أسواق وخانات، ومنها إلى مرماجنة مرحلة، وبسبيبة كان التقاء جند زيادة الله بن ابراهيم الاغلبي صاحب القيروان وجند المنصور الطنبدي وكانت افريقية قد انتقضت عليه وحكم كل رئيس على جهته، فانهزم أصحاب زيادة الله.ابن حوقل: المصدر السابق: -ص84./ الحميري: المصدر السابق –ص 304.
5- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص299.

2. محاولة المنتصر بن خزرون الاستيلاء على مدينتي المسيلة وأشير أهم مدن الحماديين رفقة عرب بني عدي بعد خروجه من طرابلس[1]، لكنه قتل بضواحي الزاب.

3. مظاهرة بني توجين من زناتة لعرب بني عدي على الفساد وقطع الطريق في دولة الناصر بن علناس كانتقام منهم ضد سياسته التوسعية في مواطنهم[2].

استمر الصراع الحمادي الزناتي على عهد المنصور بن الناصر (481-498هـ/1088-1104م) عندما حالفوا المرابطين بنواحي تلمسان، لكنه تمكن من هزيمة قائدهم تاشفين بن تينعمر في تاسالة، وشرد زناتة غرب المغرب الأوسط.

لم يقتصر صراع الحماديين ضد زناتة فقط بل شمل حتى قبائل كتامة وصنهاجة، فقد ذكر ابن خلدون أنه بعد عودة المنصور من حرب المرابطين وزناتة إلى بجاية أثخن في نواحيها ودوخت عساكره قبائلها فسارو في جبالها المنيعة مثل بني عمران وبني تازورت والمنصورية[3]، لكنه لم يحدد دواعي ذلك، وأغلب الضن أنه كان بسبب تمردهم عليه ومساندتهم للقائمين عليه من أسرته مثل أخيه ويغلان والي بونة وقسنطينة[4]، وفي عهده لجأ إليه معز الدولة بن صمادح صاحب المرية فارا أمام المرابطين لما ملكوا الأندلس فانزله دلس[5] واقطعه إياها.[6]

❖ استمرار الأزمات الاقتصادية:

كنا قد أشرنا في الفصل السابق إلى أزمات اقتصادية ضربت المنطقة نتيجة ظروف طبيعية أو بسبب الحروب أو عدم الاستقرار، والتي أدت إلى نزوح وهجرة السكان نحو مناطق أقل خطرا، وقد تواصلت هذه الأزمات خلال القرن الخامس الهجري في المغرب وافريقية وأدت بدورها إلى مزيد من التحرك والنزوح، وسنستعرض فيما يلي تواريخ الأزمات وأسبابها.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1877.
[2]- المصدر السابق –مج2-ص1877-1878.
[3]- المصدر السابق –مج2-ص1877-1878.
[4]- المصدر السابق –مج2-ص1877-1878
[5]- دلس: مدينة بحرية بين بجاية والجزائر وبينها وبين مرسى الحجاج أربعةو عشرون ميلا ومنها إلى بجاية تسعون ميلا./ الحميري: المصدر السابق –ص132.
[6]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج 2-ص 1879./ عبد الله بلكين: المصدر السابق – ص169-170.

ففي سنة 407هـ/1017م كان بالمغرب والأندلس وافريقية قحط شديد ومسغبة عامة ووباء كثير[1]، ورغم أنه يجهل سبب ذلك حيث لم يذكره مؤرخو الحوليات كإبن عذاري وابن الأثير إلى أنه تبقى الظروف الطبيعية السبب الرئيس لمثل هذه الحالات، وفي السنتين المواليتين أي سنة 408- 409هـ/1017-1018م عرف المغرب الأوسط غلاء في الأسعار بسبب الجراد والحروب التي عرفتها المنطقة حيث اشتد الصراع بين المعز بن باديس وحماد بن بلكين[2] والذي يكون قد أثر على استقرار السكان ونشاطهم الفلاحي. وبعد سنتين فقط عاود القحط ضرب بلاد المغرب وامتد من تاهرت إلى سجلماسة فكثر الفناء في الناس[3] وأدى إلى الخوف والهلع فهاجر الناس إلى مناطق توفر لهم لقمة العيش.

ولم يسترح الناس أكثر من سنتين حتى ضرب الجفاف مرة أخرى، فعظمت المجاعة واشتد الغلاء سنة 413هـ/1022م[4]، وفي سنة 425هـ/1033م كانت مجاعة وغلاء شديد، ورغم أن ابن الأثير وابن عذاري ذكرا ذلك فقط في افريقية، فمن غير المستبعد أنه امتد إلى المغرب الأوسط[5]، ولعل أخطر الأزمات التي عرفها المغرب الحمادي هي التي وقعت سنة 430هـ/1038م بسبب الجفاف حتى أطلق عليها سنة الفرار، وقد اشتدت هذه الأزمة خلال سنة 432هـ/1040م فسميت سنة الغبار بسبب جدب الأرض وانعدام الزرع، والتي استمرت حتى سنة 434هـ/1042م أين خرج الناس للاستسقاء، كما عرف المغرب سنة 447هـ/1055م المجاعة والأوبئة بسبب الجفاف والحروب الصنهاجية، فبالنسبة للجفاف، فقد عم مناطق واسعة، وبلغ حتى مصر أين انحصر النيل عن العادة، وشهدت افريقية مجاعة عظيمة[6]، وزادتها الحروب التي قام بها محسن بن القائد ضد أعمامه، وفي نفس السنة قامت

1- ابن أبي زرع: المصدر السابق –ص118.
2- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص269.
3- ابن أبي زرع: المصدر السابق -118.
4- ابن الأثير: المصدر السابق –مج2-ص1944.
5- ابن الأثير: المصدر نفسه –مج2-ص1985.
6- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1—ص294..

الثورة ببسكرة بقيادة جعفر بن أبي رمان، وقد أثرت كل هذه الأحداث على استقرار السكان والقبائل.

شهد النصف الأول من القرن الخامس الهجري تغيرات مناخية نتجت عنها كوارث وأزمات، وزادت من شدتها الحروب التي كانت سببا في تدهور المنتوج الزراعي ومن ثم الهجرة وبخاصة بالنسبة للفئة المعدمة.

عادت الأزمات خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري لكن بأقل حدة، ففي سنة 469هـ/1076م كانت مجاعة ووباء مات بسببها ألاف الأشخاص، وهاجر بعضهم خوفا من الهلاك، وفي سنة 483هـ/1090م ضرب الجفاف مرة أخرى وصاحبه غلاء في الأسعار، ونفس الشيء عرفته سنة 491هـ/1097م[1].

إن هذه الأزمات كان لها أثر على استقرار السكان فكثيرا ما ينزح هؤلاء فرادى أو جماعات هروبا من مصير الموت أو بحثا عن لقمة عيش.

❖ الزحف العربي – الهلالي السليمي – ودوره في حركة الهجرة:

شهد العالم الإسلامي خلال القرن 5هـ/11م ظاهرة سكانية مشتركة هي حركة وسيادة البدو الرحالة على الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية، ففي المشرق ظهر الأتراك السلاجقة رعاة الخيل الذين سيطروا على الخلافة ببغداد سنة 447هـ/1055م وخطبوا لطغرل بك في جوامعهم وإنهاء حكم بني بويه[2] منهين عصر نفوذهم الذي دام أكثر من قرن[3].

أما في المغرب فإن العرب كانوا يتدفقون من صحراء مصر نحو افريقية والمغرب، وفي الغرب منه كانت قبائل صنهاجة أصحاب اللثام تزحف نحو الشمال مزيحة من أمامها قبائل زناتة، وقد كانت لهذه التحركات البشرية هزات عنيفة سياسية وعسكرية حاسمة، ففي الشرق تمكن

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1—-ص302.

[2]- عرفت سنة 334ه/945م تحولا سياسيا في الدولة العباسية حيث أصبح معهم الخلفاء لا أمر لهم ولا نهي فساءت الأحوال الأجتماعية بسبب فرض الضرائب والمكوس وأخذ اموال الناس من غير وجهها.المسعودي: المصدر السابق –ج4-ص64-65.

[3]- ابن خلدون: المصدر نفسه –مج1-ص1404./ ابن الثير: المصدر نفسه –مج2-ص2096./ محمد بك الخضري: المرجع نفسه –ص392 وما بعدها

السلاجفة من هزيمة الروم في موقعة ملاذكرد سنة 463هـ/1071م[1]، أما في الغرب فكانت هزيمة قشتالة أقوى الممالك المسيحية بالأندلس في معركة الزلاقة[2].

تعتبر الهجرة الهلالية أبرز ظاهرة اجتماعية عرفتها بلاد المغرب مع نهاية النصف الول من القرن الخامس الهجري وذلك بالنظر إلى حجمها وانعكاساتها التي قلبت الأوضاع السياسية والاقتصادية والديمغرافية للمنطقة.

فقد انساقت أمام زحفها القبائل البربرية التي كانت تستقر في طرابلس باتجاه الغرب، وانحازت قبائل المغرب الأوسط إلى التل أو الصحراء أو المغرب الأقصى، وقبل أن نخوض في دور العرب وتأثيرهم على استقرار السكان، لابد من تتبع حركتهم من مواطنهم الأصيلة في شبه الجزيرة العربية ثم تواجدهم بمصر، وأخيرا انتقالهم إلى بلاد المغرب.

❖ العرب في مصر:

لم تعرف قبائل بني هلال وسليم الاستقرار كباقي القبائل العربية حيث عاشت حياة الترحال والتنقل نتيجة الطبيعة الصحراوية، بعيدة عن سلطان الدول متحررة من أي خضوع ولاسيما بعد أن استولى الموالي من الفرس والترك والدليم على الخلافة العباسية ببغداد، فلجأوا إلى الأطراف مهمشين في الصحاري بعيدا عن الصراعات السياسية وهو ما جعلهم غير قارين في موطن.

❖ قبائل بني سليم:

وهم بنو منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[3]، وكانــت منازلهم في الجاهلية وصدر الإسلام بعالية نجد بالقرب من واحة خيبر[4] وبين

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج1ص1424./ ابن الأثير: المصدر السابق –مج2-ص2096./ الكاتب سيف الدين: اطلس تاريخ العرب والعالم – دار الشروق العربي –بيروت –ط3-2009 –ص81.80.

[2]- الزلاقة: بطحاء على أربعة فراسخ من مدينة بطليوس غرب الأندلس كانت فيها الوقعة الشهيرة بين المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين المرابطي ومن معه من أمراء الأندلس وهم: المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية وعبد الله بن بلكين صاحب غرناطة وأخوه تميم صاحب مالقة وابن الأفطس صاحب بطليوس، والمطوعة من أهل الأندلس ضد الفونش ملك الجلالقة الذي اشتط في فرض المغارم على المسلمين واحتل مدنهم وحصونهم مثل طليطلة مستغلا ضعفهم وتنافسهم فلم يجد هؤلاء بدا من الاستنجاد بأمير المرابطين، وقد اختلف في عدد جيش المسلمين ما بين عشرين ألف إلى خمسين ألف كما اختلف كذلك في تاريخ الوقعة بين شهر رجب وشهر رمضان سنة 479ه/1086 م أو 481 ه/ 1087-1088 م إلا أنها تتفق على أن يوم المعركة كان يوم الجمعة رغم أن الاتفاق كان يوم السبت أو الإثنين حيث غدر الفونش بالمسلمين لولا يقظة ابن عباد وقد تمكن المسلمون من الحاق الهزيمة بالنصارى: عبد الله بن بلكين – المصدر السابق –ص123-125./ ابن خلدون: المصدر السابق–مج2-ص1885./ الذهبي: دول الإسلام: ج1-ص 411-412./ الذهبي: العبر – ج2-ص 340./ مريم قاسم طويل: المرجع السابق –ص184 وما بعدها / النويري: المصدر السابق – ص160./ الحموي: المصدر السابق: مج2-ض 479

[3]- ابن حزم: المصدر السابق –ص 481./القلشقندي: المصدر السابق –ص294./ ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1815.

[4]- خيبر: وهي أرض على ثمانية برد من المدينة، قيل أنها سميت بالخيبر بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل وعبيل أخ عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام: ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج2-ص 263.264./

وادي القرى[1] وتيماء[2]، ثم ارتحلوا إلى الحجاز بجانب المدينة، ولما ظهر القرامطة [5] انضم إليهم بنو سليم وصاروا جندا لهم بالبحرين وعمان، ثم قدموا معهم إلى الشام.

❖ قبائل بني هلال:

وهم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان[3]، ومن بطونهم بنو فروة وبنو بعجة وبنو حرب وبنو رياح، نزل بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف.[4]

ولما ظهرت الدولة الفاطمية في مصر استطاع العزيز بالله(365-386هـ/975-996م) أن ينتزع منهم الشام ويردهم إلى قرارهم بالبحرين، ونقل أشياعهم من بني هلال وسليم، وأنزلهم بالصعيد في العدو الشرقية من النيل فأقاموا هناك.

❖ السياسة الفاطمية تجاه المغرب:

قبل أن نستعرض تواجد العرب في المغرب وعلاقته بظاهرة الهجرة، يفرض علينا النسق التاريخي أن نربط ذلك بالأوضاع السياسية والمذهبية القائمة بين الفاطميين في مصر، وخلفائهم على بلاد المغرب، والتي كانت أرضية لبروز مستجدات ستكون أحد دوافع وعوامل انتقال العرب غلى المغرب.

كان الخلفاء الفاطميون بمصر يدبرون الثورات بافريقية والمغرب في إطار سياسة توازن القوى، وخلق فوضى تبقى معها المنطقة في وضع غير مستقر، لايفكر معه أمراء المهدية في الاستقلال، فكان الخلفاء يدعمون هذه الثروات، وقد أشار إلى ذلك صراحة ابن الأثير قائلا: "وفي هذه السنة 377هـ/987م جمع المنصور صاحب افريقية عساكره وسار إلى كتامة قاصدا حربها، وسبب ذلك أن العزيز بالله العلي بمصر كان قد أرسل داعيا له إلى المغرب الأوسط،

---

[1]- وادي القرى: من أعمال المدينة وهي مدينة عامرة كثيرة النخل والبساتين والعيون بها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب يعرفون بالواديين: الحميري: المصدر السابق ص 602./ابن الوردي: جريدة العجائب –ص74./ ياقوت الحموي – المصدر السابق–مج4-ص 433.

[2]- تيماء: من أمهات القرى على سبع ليال من المدينة على أطراف الشام، وقيل التيماء الارض الواسعة المهلكة: ياقوت الحموي – المصدر نفسه – مج1-ص 471./ الحميري: المصدر السابق –ص 146.

[3]- القرامطة: إحدى فرق الباطنية تنسب إلى حمدان قرمط كان أول ظهور لهذه الفرقة سنة 226 ه/ 899 م وعلى يد أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، لم تكن لهذه الفرقة دولة وإنما كانو قوة عسكرية غاشمة تعتمد على السلب والنهب لمزيد من المعلومات عنهم يراجع: عبد القهار البغدادي: الفرق بين الفرق – بعناية وتعليق ابراهيم رمضان – دار المعرفة – بيروت –ط4-1429ه/2008 م ص 250.

[4]- ابن حزم: المصدر السابق – ص 273.275./ القلشقندي: المصدر السابق – ص 177

بهدف استمالة هذه القبيلة إليه، وإرسالها جندا يقاتلون المنصور ويأخذون افريقية منه لما رأى قوته"[1] عندما قامت ثورة أبو الفهم حسن بن نصر الخراساني التي كانت بإيعاز صاحب القاهرة، ويظهر أن سياسة الفاطميين قد تغيرت تجاه خلفائهم الزيريين في افريقية والمغرب بعد وفاة بلكين بن زيري سنة 373هـ/983م.

الحقيقة أن ولاء الزيريين لسلطان القاهرة إلى أمد بعيد كان مسألة مشكوك فيها من طرف العبيديين أنفسهم، إذ لا يمكن أن يبقى المغرب تابعا لهم إلى الأبد، وقد ذكر أن المعز لما سأله أحمد بن عبيد الله – عم أبيه – كيف تثق ببلكين، أجابه بأن الذي طلبه جعفر بن علي بن حمدون ابتداء هو آخر ما سيصير إليه أمر يوسف، يقصد الاستقلال، ومما يدل على هذا الشعور أنه أعفاه من حكم مدينتي طرابلس وأجدابيا[2]. ويتجلى ذلك في:

- طلب العزيز بالله من بلكين ان يرسل إليه فارس من قواد صنهاجة[3] سنة 371هـ/981م لإضعافها وإيجاد فراغ في القيادة الزيرية مع إمكانية التخلص منها.
- تصريح المنصور بن بلكين في خطبته التي ألقاها بعد توليه الحكم سنة 374هـ/984م إثر وفاة أبيه بقوله:"ولست ممن يولي بكتاب ويعزل بكتاب"[4] والذي يكون قد أبان عن نواياه السياسية التي جلبت له نقمة الفاطميين بسبب تخوفهم من استقلاله
- بداية ظهور الثار أبو الفهم الخرساني سنة 376هـ/988م اي مباشرة بعد تولي المنصور حكم إفريقية، وواضح انها ردة فعل فاطمية على خطاب المنصور، فلما أبلغ هذا الأخير الخليفة عن قتال الثائر نهاه عن ذلك[5]، وهو ما يؤكد النوايا ضد الزيريين.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1839./ ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص238.
[2]- أجدابية: مدينة كبيرة بين برقة وطرابلس، وهي في صحراء صفا، بها مسجد وفنادق وحمامات واسواق حافلة مقصودة: الحميري: المصدر السابق –ص11-12./ ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج1-ص88./ مجهول: الاستبصار –ص144.
[3]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1—ص238..
[4]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1—-ص240.
[5]- ابن الاثير: مج2ص 1839.

- هزيمة يطوفت والي تاهرت سنة 374هـ/984م عندما بعثه المنصور لحرب زيري بن عطية المغراوي[1]، والذي شجع الفاطميين في الضغط على الزيريين للحيولة دون الاستقلال أو التفكير فيه.

استمرت العلاقة بين الفاطميين ونوابهم في افريقية بصورة مشوبة بالحذر إلى ولاية المعز بن باديس حيث لاحت بوادر التوتر السياسي والمذهبي من خلال الصراع بين السنة والشيعة.

لما تولى المعز بن باديس امور افريقية سنة 407هـ/1006م قتل السنة الشيعة بالقيروان[2] ولم يجد بدا من مسايرة ثورة الشعب ضد الشيعة فلم يتدخل لوقف

الاضطرابات، بل إنه كان يفكر في قطع التبعية المذهبية للفاطميين[3] منتظرا الظروف المناسبة لذلك، وفعلا كانت سنة 433هـ/1041م بداية التحول الجذري في العلاقات بين المهدية والقاهرة وذلك عندما أظهر المعز الدولة العباسية وأبدى تقاربه مع خليفتها القائم بأمر الله.[4]

وفي سنة 435هـ/1043م كانت حادثة مقتل الشيعة التي أوقعها الشعب في صفوف هؤلاء، حيث لم يتمكن المعز من إيقاف هذه الثروة الدموية فاضطر إلى مجاراة الرأي العام، ونبذ من يومئذ دعوة الفاطميين علنا وخلع طاعتهم، وحمل جميع أهل المغرب على إتباع مذهب الإمام مالك حسما لمادة الخلافات المذهبية، ثم أذن بأن يخطب على المنابر للخلافة العباسية سنة 439هـ/1047م، فوفاه القائم خليفة بغداد بتقليد يعترف له بالاستقلال، [5] ثم كانت القطيعة الرسمية سنة 440هـ/1084م والتي حركت العرب إلى افريقية والمغرب.

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق ج1-ص239.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق –ص 1869./التجاني –ص 19.و يلاحظ ان هذا الاقتتال قد جاء سنوات قليلة بعد صدور محضر القدح في نسب العلويين خلفاء مصر سنة 402ه/1011 م، والذي كتب فيه الشريف وأخوه الراضي وجماعة من كبار العلوية والقاض أبو محمد بن الاكفاني والإمام أبو حامد الاسفراني والامام أبو احسين القدوري، يثبت أن ابن خلدون نسبهم إلى العلوية عندما يقول: " ولا يلتفت لإنكار هذا النسب " ثم يقول:" أما المحضر الذي ثبت بغداد أيام القادر بالقدح في نسبهم وشهد فيه أعلام الأئمة... فهي شهادة علي السماع " ثم يؤكد ذلك بقوله:" فكتاب المعتضد إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار يغريهم بالقبض عليه لما سار إلى المغرب شاهد بصحة نسبهم " ويستشهد بشعر الشريف الراضي: مج1-ص935./ ابن الأثير: المصدر السابق –مج2-ص1909./ الذهبي: دول الإسلام –ج1-ص353.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1—ص274.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1—-ص275. / ابن الاثير: مج2ص 2018.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق– ص 1869 / رحلة التجاني: ص17/ حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق –ص111.

❖ زحف العرب:

لما بلغ خبر خروج افريقية عن الخلافة عظم ذلك على الفاطميين لكنهم عجزوا عن الإنتقام فاحتالوا في ذلك وأباحوا للعرب إجازة النيل[1]، والتوجه نحو الغرب، وذلك اتقاء لشرهم بما كانوا يحدثونه من الفساد، ومن جهة أخرى معاقبة أمراء صنهاجة المتمردين، فأباح لهم المستنصر)427-487هـ/1035-1094م) اجتياز النيل والتوجه نحو المغرب.

استقر بنو سليم في برقة وسارت بطون هلال (دياب وعوف وزغبة) إلى افريقية، وأمام هذا الزحف اندفعت القبائل البربرية مثل هوارة ولواتة تاركة منازلها بطرابلس وجبل نفوسة[2].

❖ العرب في المغرب الاوسط:

اتصفت تحركات الأعراب بعد وصولهم إلى افريقية بالخشونة والفوضى والافساد والقتل، وبعد أن سيطروا على القيروان سنة 449هـ/1057 م لجأ عدد كبير من سكانها إلى القلعة وبلاد بني حماد، فكان هذا أول أثر لزحف العرب حيث سيستقبل المغرب الاوسط أمواجا بشرية ليس من بربر افريقية فقط بل من العرب الذين سيواصلون تقدمهم نحو الغرب.[3]

حاول ملوك بني حماد تفادي خطرهم فتحالف بلكين بن محمد بن حماد مع الاثبج وعدي ضد زناتة التي حاربهم لمنع تدفقهم لكنها انهزمت سنة 450 هـ/ 1058 م فكان ذلك إيذانا بدخول العرب إلى المغرب الأوسط والذي ستكون له انعكاسات على استقرار قبائله، حيث تم إجلاء الزناتيين إلى التل والبعض الأخر إلى الصحراء أزو المغرب الأقصى، واستحوذ عرب الاثبج على بعض الممتلكات في سهول الزاب وقلعة بني حماد[4]، ثم تأتي المعركة الحاسمة في

---

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق: مج 2-ص2036 / ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2 ص 1784.يشكك حسين مؤنس في إجازة العرب إلى إفريقية من طرف الفاطميين بسبب الضائقة المالية والازمة الإقتصادية التي شهدتها مصر في عهد االمستنصر، إضافة إلى الصراعات السياسية بين طوائف لجند (أتراك، مغاربة، عبيد) وحسب رأيه كيف تدفع الدولة بعير ودينار وهي على هذه االحال. ثم إن بني قرة من هلال كانوا موجودين في برقة قبل ذلك بزمن وهو الذي ربما حمل حسين مؤنس على هذا الشك، ثم إن ابن خلدون ذكر أن رغبته قتلت سعيد بن خزرون سنة 429 ه/1037 م أي أن قبل دخول العرب، إلا أنه يقع في إضطراب ويستدرك قائلا: " وهذا الخبر مشكل من جهة أن زغبة من العرب الهلاليين إنما جاءوا إلى افريقية من مصر بعد الأربعين من تلك المائة الخامسة " مج 2 –ص2090.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2-ص 1784./ ابن حوقل: المصدر السابق: -ص 71./ حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته: ص 201.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج 1-ص 1094، مج 2-ص 1785/ ابن الاثير: المصدر السابق – مج2- ص 2037

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق-* مج 2- ص 1790-1791./ الحميري: المصدر نفسه – ص 76./ الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية في عهد بني زيري من القرن 10-12م – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط1-1994 –ج1-ص 289.

سبيبة سنة 457 هـ /1064 م التي انكسر فيها الناصر بن علناس ومن كان معه من زناتة والعرب، وهو ما فسح المجال لهؤلاء بالتقدم إلى المغرب الأوسط.

وقد كان من نتائج هذه الهزيمة ان اكتسح العرب المغرب الاوسط وبدأوا ينبثون في أرجائه، فانحدرت جماعة من نواحي باجة وتفرقت بنواحي القالة وبونة وقسنطينة حيث استقر الدواودة[1] والأثبج، [2] ودخلت جماعة أخرى من طريق سبيبة فانتشروا بنواحي تبسة[3] وجنوب أوراس إلى الزاب وتوغلوا حتى القلعة فاستقر بطن العمور[4] بجبل راشد من ناحية الحضنة والصحراء، فكان من نتيجة ذلك أن تفرقت قبيلة عجسية في أنحاء المغرب الأوسط بعد أن طرق العرب مدينة القلعة وأريافها واستقر في مواطنها بطن عياض[5] عندها اختط الناصر بن علناس مدينة بجاية وهجر القلعة هروبا من ضيم العرب.

أما زغبة[6] والمعقل[7] فطرقوا الصحراء الوسطى نواحي الأغواط وانبثوا في أرجائها في التلول وبلاد الزاب بعد أن أقطعهم إياها أمراء بني حماد تفاديا لمجاورتهم، في حين تقدمت بعض أحيائهم مثل بني عامر إلى أخر المغرب الأوسط نواحي تلمسان، وتفرقت المعقل نواحي الصحراء وغلبوا زناتة فملكوا قصورها مثل توات وبودة وتيمنطيت وواركلا وتاسبيت وتيكورارين[8]، وصعد بعضهم شمالا إلى وهران وتلمسان فاستوطنت زغبة شرق نهر تافنة، واستوطن المعقل غرب النهر بالسهول ناحية وجدة، فزاحموا البربر وضايقوهم حتى تخلوا لهم عن مواطنهم، وهاجروا إلى الغرب فنزل بنو عبد الواد بإقليم تلمسان وبنو مرين بالمغرب الأقصى بعد أن

[1]- الدواودة: أبناء داود بن مرداس بن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال: ابن حزم: المصدر السابق –ص 273./ ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2-ص 1796/ عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق –ص 4210.

[2]- الاثبج: وهم من العرب الهلالية وينسبون إلى اثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، ومن بطونهم دريد وكرفة والضحالب وعياض ولطيف ومقدم وبني قرة: ابن خلدون: المصدر السابق – مج 2-ص 1789 وما بعدها / عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق–ص 417-420.

[3]- تبسة: مدين أزلية قديمة بقرب وادي ملاق، بها أثار للاول بينها وبين قفصة ستة مراحل: مجهول: الاستبصار – ص 162-163./ ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج 1- ص 431./ الحميري: اللمصدر السابق – ص 129.

[4]- وهم ملحقين ببني هلال ويظن أنهم من ولد عمروبن عبد مناف بن هلال إخوة قرة من عبد مناف وليسوا من ولد عمرو بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال الذي تنتمي إليه رياح وزغبة الاثبج: ابن خلدون: المصدر السابق– مج2- ص 1791 /

[5]- القاضي عياض: ابناء عياض بن مشرف بن أثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال: ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص 1791 / ابن حزم: المصدر السابق – ص 273/ / عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق– ص 419. الذي سمي بهم الجبل –أمعضادن – المعاضيد حاليا.

[6]- زغبة: زغبة بن أبي ربيعة نهيك بن هلال، من بطونهم بنو يزيد وبنو عامر وبنو مالك وبنو عروة وحصين:ابن حزم: المصدر السابق – ص 273.

[7]- المعقل: ابناء معقل واسمه ربيعة بن كعب بن الحارث انضموا إلى الهلاليين عند دخولهم افريقية لقلةعددهم، ولم ثلاثة بطون: ذوي عبيد الله والثعالبة وذوي منصور: ابن خلدون: المصدر السابق– مج2-ص 1810/ عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق – ص 424-425.

[8]- ابن خلدون: المصدر السابق– مج2-ص 1810./ عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق –ص414.

أزاحوهم عن مواطنهم ببلاد الزاب وفي ذلك يقول إبن خلدون: "لما غلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع البلاد وأزاحوهم عن الزاب وما إليه من بلاد افريقية وانشمر[1] بنو واسين هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين عن الزاب إلى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط من مصاب وجبل راشد إلى ملوية وفكيك "[2] بجوار بنوي ومانو وبنو يلومي ملوك الضواحي بالمغرب الأوسط حيث صعدوا شمالا إلى التل. أما مطغرة فنزحت بعض بطونها شرق جبل بني راشد، في حين انحازت قبيلة لماية إلى افريقية حيث سكن بعضهم جربة التي سميت باسمهم الجزيرة البحرية الواقعة قبالة ساحل قابس، أما عجيسة فقد تفرقت بعد دخول العرب فسكن بعضهم ضواحي تونس وبعضهم الأخر ضواحي بجاية ومنهم من اتجه جنوب المسيلة – نواحي بريكة حاليا. وللإشارة فإن العرب لم يكونوا دائما سببا في تحرك وهجرة القبائل، بل على العكس من ذلك فقد ساهموا أحيانا في استقرارها وذلك بشل حركتها وإجبارها على التوطن لاشتمالها على مجال ظعنهم، أو لدخولهم في خدمة العرب، ويمكن أن نورد نصين لابن خلدون عن قبيلتين زناتيتين هما غمرة حيث يقول:" ولما غلبهم الهلاليون على الضواحي اعتصموا بجبال المسيلة حيال صنهاجة، وصدوا عن الظغن، وتركوا القيطون إلى سكنى المدن"[3] والثاني عن سكان مدينة واركلا من خلال قوله:"واستجبر عمران هذا هذا المصر، واعتصم به بنو واركلا هؤلاء والكثير من ظــواعن زناتة عند غلب الهلاليين أياهم على المواطن واختصاص الأثبج بضواحي القلعة والزاب"[4]، وهناك من استقر في الحصون والمعاقل بعيدا عن سيطرة العرب.

العرب وملوك تلمسان من آل خزر:

في الوقت الذي كان فيه العرب يطئون بلاد المغرب من الشرق، ويستولون على ملك صنهاجة في الشمال، كان إخوانهم الجنوبيين ينظمون أمورهم ويؤسسون دولة المرابطين اللمتونية ما بين سجلماسة وبلاذد السودان، فقضوا على إمارة مغراوة بقتل أمير ها مسعود بن وانودين سنة

[1]- انشمر وشمر وتشمر: مر جادا، وتشمر للأمر تهيأ له: ابن منظور: المصدر السابق – مج 3-ص399.
[2]- ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص2102-2103 –
[3]- المصدر السابق مج 2- ص2095. –
[4]- المصدر السابق: 2096.

445هـ/1053م بعد أن طلبوا منها الدخول في دعوتهم، وفي ذلك يقول صاحب الحلل الموشية: "فأمرهم – عبد الله بن ياسين– بالخروج من الصحراء...فغزوهم في جيش كثيف حتى غلبوا عليهم "[1]، ثم زحفوا شمالا فافتتحوا مدن المغرب الأقصى مثل فاس سنة 462هـ/ 1069 م، وقتلوا الكثير من مغراوة وبني يفرن ومكناسة عندها فر من نجا من القتل إلى المغرب الأوسط.

نهض يوسف بن تاشفين بنفسه في جموع المرابطين سنة 473 هـ/ 1080 م حيث افتتح تلمسان واستلحم بني يعلى ومن كان بها من مغراوة ثم عرج نحو وهران وتنس فافتتحهما، وملك جبل وانشريس وشلف ومدينة الجزائر وانكفأ راجعا وقد محا أثر مغراوة من المغرب الأوسط بالقتل والتهجير.

هجرة بني خزرون:

بعد مهلك ورو بن سعيد سنة 405 هـ/ 1014 م ظهر صراع الزعامة حيث انقسم قومه على ابنه خليفة بن ورو وأخيه خزرون بن سعيد، ثم صار أكثر زناتة إلى خليفة[2]، ويبدو أن الفشل والاحباط السياسي الذي أصيب به خزرون جعله يغادر مملكة ابن أخيه متجها نحو مصر حيث أقام بدار الخلافة عند الفاطميين، التي نشأ بنوه (المنتصر، سعيد) بها، لكن المطاردة التي تعرض لها المغاربة هناك من طرف الأتراك[3] سنة 420 هـ/1029 م بسبب الفتنة التي حدثت بينهما والتي تم على أثرها إجلاؤهم عن مصر، فالتحق المنتصر وسعيد بطرابلس إلى أن زحف العرب إلى افريقية، فاقتسموا مع بني خزرون هؤلاء قابس وطرابلس، ثم تقدم المنتصر مع عرب بني عدي من قبائل هلال فنزلوا المسيلة وأشير من أعمال بني حماد، إلى أن أخرجهم الناصر منها، ولكن المنتصر أعاد الإجلاب عليها فراسله الناصر في الصلح وأقطعه ضواحي الزاب وريغ، وعمل الحيلة لقتله سنة 460 هـ/1067 م فتفرق أمرهم في المغرب الأوسط.

1- ابن سماك: المصدر السابق –ص67-68.
2- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2089.
3- المصدر السابق: مج2-ص2090./ المقريزي: المصدر السابق –ج2-ص41.

يعتبر الزحف الهلالي ثاني أكبر هجرة عربية نحو المغرب بعد الفتح الإسلامي، وإذا كانـت حركة القرن الأول الهجري قد وضعت المغرب وسكانه ضمن الإطار الثقافي والسياسي للخلافة الإسلامية، فإن حركتهم الثانية ظهرت أثارها في الجانب الاجتماعي بدخول عنصر جديد، والجانب الثقافي حيث اصطبغ المغرب بطابع العروبـــــة.

الفصل الخامس

أثار ونتائج الصراعات القبلية بالمغرب الاسلامي

- – ظهور إمارات عربية مستقلة
- – إمارة تونس
- - إمارة صـــفاقس
- - إمـــارة قفصـــة
- - نشـوب ثورات محليـة
- - ثورة سـوسة وتـوزر
- - ثورة بنزتوتقيـوس
- - فتن زرعة وطبرية وبعض الحصون بالمغرب الأدنى
- - طرد زغبة من المغرب وبيع القيروان
- - الغزو النورماني لسواحل المغرب
- - غـزو المهديـة
- - غزو صفاقس وسوسة
- - غزو طرابلس وجزيرة جربـة
- - غـزو بـونة وجيجل
- الآثار والنتائج الاجتماعية
- النتائج السياسية
- الأثار المذهبية
- الأثار الإقتصادية
- الأثار العمرانية بالمغرب الأوسط
- الآثار العمرانية بالمغرب الاقصى
- الآثار العمرانية بمصر
- نتائج وأثار المغاربة في الأندلس
- الآثار الاجتماعية والعمرانية بالأندلس
- الآثار الثقافية لهجرة العرب

❖ ظهور إمارات عربية مستقلة :

بعد مجيء العرب الهلالية إلى المغرب الأدنى وما أثاروه من فوضى والاضطراب في جميع الجوانب خاصة منها السياسية والاقتصادية في البلاد فكان من الطبيعي أن ينتشر داء الانفصال ليشمل المدن الرئيسية في كل من المغربيين الأدنى والأوسط وخاصة مدن ساحل من صفاقص وسوسة شمالا، وجنوب العاصمة المهدية إلى تونس في أقصى الشمال، وقابس في أقصى الجنوب .

حيث قامت أسر مستقلة توارت الحكم ولم تسلم القيروان من المهانة الطائفية hلتي وصلت إليها إلى حد أنها كانت عرضة للبيع والشراء عن طريق وساطة العرب الهلالية، كما كانت بأشبه بالأرض التي لا صاحب لها يمكن أن تستبيحها جيوش الحماديين والعرب الهلالية وجيوش بنو زيري التي أرادت أن تسترجعها، ولقد ورث تميم الصنهاجي من والد المعز مملكة ممزقة الأوصال.[1]

ومجمل القول فقد شهدت أسرة بني زيري بعد الهجرة الهلالية تفتت دولتها بعد أن فقدت النفوذ الذي أولته لها ا العاصمة القيروان وكل ما كانت تمثله في الماضي، ويثير هذا الحكم المركزي انفجارا فوضويا يشبه أقل ما حدث في نفس الوقت تقريبا بعد انهيار خلافة قرطبة فقد بدأت مدن افريقية تتخذ حكاما مثل المدن والمقاطعات الأندلسية وما كان يعرف بملوك الطوائف.[2]

– إمارة قابس :

كانت ولاية قابس في أيام الدولة الفاطمية بالمغرب مترددة في بني لقمان الكتاميين، ولما انتقلت الخلافة إلى مصر وأصبحت ولاية المغرب تحت يد بنو زيري ترددت ولاية قابس هي الأخرى تحت حكمهم، فولى عليها في أول الأمر بنو عامر ثم تولاها إبراهيم بن باديس الزيري ثم المنصور بن ماواس ثم توالت بعد ذلك في أقوام برغواطة ولاهم المعز بن باديس.[3]

---

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 166 ؛ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص. 302 ؛ حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، ج.1، ص.607.

[2] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.10، ص.259، النويري: المصدر السابق، العلوي التقي: الهلاليون بالمغرب الأدنى والأقصى، مجلة البحث العلمي، المغرب، جامعة محمد الخامس، العدد 35، 1985. ص. 65 - 66.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.ص.166 - 167 ؛ جورج مارسيه: المرجع السابق، ص.225.

أثناء غزوة بني هلال كان والي قابس المعز بن محمد بن وليمة الصنهاجي بني زيري كانوا قد التجئوا إلى قابس تحت حماية مؤنس في سنة 445هـ / 1053 – 1054 م ولأغلب الظن أن قابس كانت تعتبر مركزا مؤهلا للمقاومة الفعالة فالأرجح أنها كانت محصنة في قبضة حامية صنهاجية على غاية من الأهمية وأن واليها الصنهاجي لم ينفصل عن مخدومه إلا حوالي سنة 454هـ/1063 م.[1]

وكان أخواه إبراهيم وماضي بالقيروان قائدا المعز بن باديس على جيوشه هذا الأخير فعزلهما لغرض في نفسه ففرا عنه مغاضبين ولحقا بمؤنس بن يحي الرياحي أمير قبيلة بنو رياح فاستقبلهما أحسن استقبال وأكرمهما، ثم انصرفا بعد ذلك إلى أخيهما بقابس واتفقا معه على التمرد والعصيان عن الدولة الزيرية فوافقهما محمد بن ووليمة وقطع اسم المعز بن باديس من الخطبة، وعزموا على مبايعة مؤنس بن يحي الرياحي الذي أسل لهما هدايا وصلته من القاهرة فكانت العلاقة مستمرة بين الهلاليين والدولة الفاطمية بمصر.[2]

بقي عامل قابس في طاعة مؤنس بن يحي الرياحي بالى أن توفي المعز بن باديس وولي بعده ابنه تميم فاستغل إبراهيم بن محمد الفرصة، وتحالف مع مجموعة كبيرة من الأعراب بقيادة مالك بن علوي وهجم على المهدية سنة 476هـ/1084م، وتمكن من ضرب الحصار عليها لكن تميم دفع الأموال إلى حلفاءه الهلاليون من الأثبج وهجموا على جيش إبراهيم بن محمد وخرج هو الآخر مع جنده من الجهة الأخرى وهجم عليهم، فانهزم والي قابس ورجع إلى مدينته فاستدعى أهل مدينة قابس عمر بن المعز الصنهاجي أخو تميم صاحب المهدية فتولى إمارة المدينة غير أن تميم عند سماعه الخبر جهز إليه جيشا يقوده بنفسه فضرب الحصار على مدينة قابس وتم له الاستيلاء على المدينة وعين عليها عاملا من قبله.[3]

بعد مدة وجيزة زحفت قبيلة زغبة على مدينة قابس واستطاع أمير القبية لكنن خصومهم من بنو رياح استطاعوا أن يفتكوا المدينة منت أيدي زغبة التي خرجت مهزومة من المدينة حتى أنه بعد

---

[1] - البكري: المصدر السابق، ص.35 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج.3، ص. 449 – 450

[2] - التيجاني: المصدر السابق، ص.96، ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص.ص. 82– 83 ؛ حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، مج.1، ج.1، ص .651- 652.

[3] - التجاني: المصدر السابق، ص. 97 ؛ محمود مقديش: المصدر السابق ،ص.ص. 54- 56 ؛ حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص..25- 26

مدة قصيرة طردت من المغرب الأدنى بأكمله من طرف قبيلة رياح وذلك سنة 489هـ/ 1073م . المسيطرة على المغرب الأدنى وذلك بتحالف مع بنو زيري.[1]

فقد كانت ولاية قابس تحت إمرة مكن بن كامل أمير المناقشة إحدى بطون بني رياح الهلالية . حيث توالت المدينة على عائلته وكانت علاقتها مع المهدية تارة طيبة وتارة أخرى غير ذلك إلى أن تمكن تميم بن المعز من الاستيلاء على المدينة وطرد بني دهمان من المدينة.[2]

– إمارة تونس :

لما انتقل المعز بن باديس إلى المهدية عهد ولاية تونس إلى القائد بن ميمون الصنهاجي الذي تولى أيضا مدينة القيروان لكن سلطة هذا القائد لم تدم غير ثلاث سنوات حتى أنه كان يقيم بصبرة تحت حامية صنهاجية خوفا من بنى هلال فاستغل أهل مدينة تونس الفرصة وعملوا على قطع العلاقة بينهم وبين بنو زيري بالمهدية، وذلك بفضل الفوضى العارمة التي اجتاحت بلاد المغرب ففر الصنهاجيون المتبقيون من المدينة والتحقوا بالمهدية، فزحف على تونس عابد بن أبي الغيث صهر المعز بن باديس، واستعبد أهلها وفي نفس الفترة استولى أمير عربي أخر على مدينة عنابة التي استسلمت إليه.[3]

في سنة 450هـ/ 1058 م، تحول وفد من شيوخ تونس إلى قلعة بني حماد ليطلبوا إلى الناصر بن علناس الحماية من القبائل الهلالية وتولية عليهم والي من قبله غير أن الناصر لم يلبي طلبهم ورأى من الفطنة بعدم التدخل في شؤون المغرب الأدنى خوفا من تلقيه نفس المصير الذي تلقاه أبناء عمومته أصحاب المهدية ففضل أن يتصرف في مدينة تونس بنفس الطريقة التي انتهجها إزاء مدينة القيروان ولذلك فقد اقترح على شيوخ تونس أن يختاروا شيخا منهم لإدارة المدينة وأن يقتصر دوره على المراقبة فقدموا أحد شيوخهم القادمين بحضرة الناصر لكنه تمنع هن ذلك فاختار لهم الناصر والي عليهم من قبله يدعى عبد الحق بن خرسان فعمل على الحكم تونس باسم الدولة الحمادية وأشرك سكان المدينة في الحكم وعمل على توقيف

---

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق ج.6، ص.97 ؛ ابن أبي دينار: المصدر السابق ؛ ص.87 ؛ روجي إدريس: المرجع السابق، ج. 1، ص.ص.279 - 280.

[2] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 10، ص.ص. 174- 175، النويري: المصدر السابق، ص. 342 – 343، حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، ص.ص. 641- 642.

[3] - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج.10 ص. 21، النويري: المصدر السابق، ص.ص. 342 – 344 ؛ الحبيب الجنحاني: القيروان عبر العصور ؛ ص.ص.65- 66.

أعمال النهب التي كان يقوم بها بنو هلال مقابل إتاوة معينة يدفعها إليهم فعرفت المدينة نوعا من الاستقرار في عهده.[1]

في سنة 458هـ/ 1065م، اغتنم تميم بن المعز هزيمة الناصر بن عل ناس في معركة سبيبة وأراد أن يسترجع مدينة تونس فجهز جيشا يضم فيه أمير زغبة يبق بن علي . وبعد حصار دام فترة طويلة استسلم عامل المدينة عبد الحق بن خرسان واتفق مع تميم على مبايعته دون أي خسائر تذكر بين الطرفين وبقي الأمر على ذلك إلى أن توفي عبد الحق بن خرسان سنة 488هـ / 1095 م فخلفه ابنه عبد العزيز الذي استطاع أن يساير صاحب المهدية والقلعة وفي نفس الوقت استمالة العرب الهلالية المحيطة بإمارته وعرفت هذه الأخيرة تطورا وازدهارا وبلغ سيرة ملوك الطوائف وحصن تونس وبنى أسوارها وبنى قصور بني خرسان المشهورة وشارك أهل مدينته في الحكم الذين رضوا بسلطته.[2]

وفي سنة 524 هـ/ 1130 م حاصر العزيز بن المنصور الحمادي صاحب بجاية مدينة تونس واستطاع أن يخرج أمير بني خرسان من المدينة ونقله رفقة أهله إلى بجاية، وتولى أمر تونس كرامة بن المنصور عم يحي بن العزيز الحمادي، فحكمها وتولى حكمها مع أبنائه من الحماديين مبايعا بجاية ولما سقطت المهدية بأبديالنورمان سنة 543هـ / 1148 ثار أهل تونس على عاملهم الحمادي، فطمع الأمير الرياحي زياد بن محرز في المدينة، فحاربه أهل تونس بمحالفة القبائل الهلالية خاصة قبيلة الرياح التي كانت تسيطر على المغرب الأدنى وتنافس جميع القبائل العربية الأخرى فاستطاع التونسيون من هزم الأمير الحمادي وخلعه عن ولايتهم لكنه استطاع هزمهم وسيطرة على مدينتهم.[3]

[1] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 173 ؛ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج. 1، ص. 301 -302 ؛ كرو أبو القاسم محمد: العرب وابن خلدون، تونس، طبعة الاتحاد العام، 1977.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.163 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص.293 ؛ الهادي روجي ادريس: المرجع السابق ،ج.2، ص.ص. 310- 311.

[3] - ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص.189 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص.160، جغلول عبد القادر: مقدمات في التاريخ المغرب القديم والوسيط، بيروت، 1982. ص.ص.54- 55.

ج

– **إمارة صـفاقس :**

من بين ولاة المدن الذين طمحوا بالاستقلال نتيجة الاجتياح الهلالي للمغرب وزال الهيمنة الزيرية على البلاد، كان حمو بن مليل البرغواطي[1] صاحب صفاقس أشدهم طمعا وأكثرهم طموحا، فبمجرد ملك تميم استعان حمو بطائفة من العرب من الأثبج وعدي وسار بهم في سنة 455هـ / 1062 م نحو المهدية بقصد حصارها أو بقصد إملاء الشروط على تميم أن لم يكن بغرض انتزاع الملك منه والمهم أن تميم بن المعز، خرج للقاء حمو بعسكره من عبيده السودان على مانظن إلى جانب طائفة من العرب الذين كانوا في خدمته من زغبة ورياح فكان الهلالية أصبحوا قاسما مشتركا بين جميع المتنافسين[2].

تم اللقاء في موضع سلقطة في منتصف الطريق مابين المهدية وصفاقس ورغم الحرب الشديدة التي دارت بين الطرفين في تلك السنة 455هـ/ 1062 م انتهت بهزيمة ساحقة لحمو بن مليل وأصحابه إذ أخذتهم سيوف رياح وزغبة فأكثروا القتل في أصحابه بينما فر حمو بن مليل إلى مدينته صفاقس وكان النصر بفضل بنو هلال وعاد تميم بن المعز عاصمته المهدية . ولم ينتهي الخلاف بين المهدية وصفاقس فكثيرا ما كانت هناك اشتباكات ونزاعات وكان القاسم المشرك في هذه الحروب نجد القبائل الهلالية[3].

لقد استعان حمو بن مليل البرغواطي صاحب المهدية بإحدى وزراء المعز بن باديس السابقين فعلى شأنه وعظم سلطانه، الأمر الذي دعا تميم إلى محاولة شراء ذلك الوزير لكن دون جدوى، فقرر تميم تصفية النظام المخالف له في صفاقص باستخدام كل قوة وحيلة فهو عندما يرسل قواته سنة 493هـ/ 1100م لحصار صفاقص يأمر قائده بهدم ماحول المدينة وحرق الأشجار وقطعها باستثناء ما يتعلق بأملاك الوزير.[4]

---

[1] - ابن الأثير: المصدر السابق ج.10. ص. 29 ؛ النويري: المصدر السابق، ص.. 342 – 343 ؛ شارل أندري جوليان: تاريخ افريقية الشمالية، ص.ص. 254- 255.

[2] - حسب ابن خلدون فقد كانت صفاقس أيام بني باديس تحت ولايتهم إلى أن ولي عليها منصور البرغواطي، فحدث نفسه بالثورة والتمرد أيام تغلب بني هلال على افريقية وخروج المعز إلى المهدية، ففتك به ابن عمه حمو بن مليل البرغواطي فحاصره الهلاليون حلفاء المنصور، فاستطاع أن يبذل لهم المال ويعقد حلفا معهم وأقام واليا على صفاقس تحت حمايتهم. (العبر، ج.6، ص. 168.)

[3] - ابن أبي دينار: المصدر السابق ،ص. 82 ؛ ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص. 190 ؛ شوقي صيف: عصر الدول والإمارات، القاهرة، القاهرة، دار المعارف، 1992، ص.. 65- 57.

[4] - ابن عذاري: المصدر السابق ،ج.1، ص. 434 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص. 168 ؛ روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص.ص.247 – 275.

كان الهدف من وراء ذلك هو إثارة شك حمو بن مليل في وزيره وهو ماحدث فعلا فلقد اتهم حمو وزيره بتآمر مع تميم وهو من استدعاه لحصار المدينة فأنزله به العقوبة العظمى جزاء الخيانة الأمر الذي ترتب عنه انحلال نظام الدولة، فأعاد تميم بن المعز حملة أخرى على بمساعدة قبيلة بني رياح التي كانت بمثابة ساعده الأيمن في أي معركة يقوم بها وهكذا سقطت صفاقس بين أيدي عسكر تميم وخرج حمو بن مليل من مدينته، وقصد صاحب إمارة قابس مكين بن كامل الدهماني الذي كان قد استولى على مدينة قابس، فأحسن إليه وأنزله في كنفه إلى أن توفي حمو بن مليل بمدينة قابس.[1]

- إمــارة قفصــة :

بنو رند بيت من بيوت البربر الزناتية المستعربة وعندما ارتحل المعز بن باديس إلى المهدية مخلفا ما وراء ذلك للعرب استبد بأمر قفصة عبد الله بن محمد بن الرند وضبط البلد وصالح العرب على أتاوة فلما أحسب القوة استبد بالأمر وقطع الأتاوة سنة 445هـ/ 1053 م وبايعته قفصة وتوزر وسوسة ونفزاوة وسائر أعمال قسنطينة فاستفحل أمره وعظم سلطانه ووفد عليه الشعراء والقصاد وكان معظما لأهل الدين إلىأن هلك سنة 465 / 1072 م، وخلفه ابنه أبو عمر المعتز الرندي فسار في أعقاب أبيه وثبت سلطانه على نواحي قسطيلة والجريد التونسي كله إلا أن كف بصره وعجز عن التصرف وتوفي ابنه تميم في حياته فصار الأمر إلى حفيده يحي بن تميم، وتوارث الحكم إلى دخول الموحدين المغرب الأدنى.[2]

في نفس الفترة استولى بني جامع الهلاليين على مدينة قابس وكانت بينهم وبين بنو زيري صراعات مستمرة وانضم إليهم عدد كبير من الثائرين على بنو زيري الأمر الذي اشتدت به وطأة الهلاليين في المدينة واستعصت على المهدية في ضمها إلى ممتلكاتها.[3]

---

[1] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج,10، ص.29 ؛ النويري: المصدر السابق، ص.ص. 374 – 375 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3، ص.ص. 364 – 365.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج. 6، ص. 168 ؛ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص. 300- 301 ؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص. 585 – 586.

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.10، ص. 29 ؛ النويري: المصدر السابق، ص. 355 ؛ أحمد مختار العبادي: في التاريخ المغرب والأندلس، ص.ص.292- 293.

- نشوب ثورات محليـة :

- ثورة سوسة وتـوزر :

خالف أهل سوسة أيضا على المعز بن باديس صاحب افريقية سنة 445هـ، ومنعوه من المال الذي كان يصله وما زاد الأمر تعقيدا هو عند وفاة أخت المعز عندهم ضموا أموالها إليهم وأبو أن يبعثوها إلى أخيها، فعزم على محاربتهم، فبعث إليهم أسطولا ضخما أصبح بمرسى سوسة وأحرق كل مكان في المرسى من مراكب، فانتقم أهل سوسة من أهل القيروان الذين كانوا متواجدين بالمدينة، فأخذوا أموالهم وأهانوهم أشد الإهانة.[1]

لم ييأس المعز بن باديس وأعاد الكرة عليهم وأرسل إليهم جيشا يبلغ ألف فارس وأمرهم أن يتضافروا مع الأسطول على حصار سوسة برا وبحرا، لكن العرب الهلالية ساعدت أهل سوسة، وتمكنوا من هزم جيش المعز وأقفل الأسطول راجعا إلى المهدية[2]، فظل أهل سوسة مخالفين يحكمون أنفسهم بأنفسهم مشكلين مجلس شورى فيما بينهم إلى أن دخل الموحدين إلى افريقية، وأما بالنسبة إلى توزر قاعدة الجريد خالفت هي الأخرى على بنو زيري أثناء الهجرة الهلالية فقد بايع أهلها آل حماد وبقوا تحت حمايتهم[3].

- ثورة بنزتوتقيـوس :

لما كانت بنزرت تحت إمرة أحد اللخميين الذي يدعى أبو رجاء اللخمي اضطرمت نار الفتنة بالعرب الهلالية ورحيل المعز إلى المهدية فضم إليها هذا الأمير جماعة من المتشردين وقطاع الطرق، فكانوا يغيرون على الضواحي وينهبون ويسلبون الناس أرزاقهم، وبقوا على هذه الفوضى حتى اختلف أمرهم وتشتت رأيهم[4]، فبعث أهل بنزرت إلى ابن الورد وطلبوا منه أن يقوم عليهم فتم ذلك، وقدموه على أنفسهم وحماهم من العرب بالدفع لهم فاستفحل أمره وسمي بالأمير وشيد المصانع والمباني وأكثر من العمران إلى أن توفي وخلفه ابنه وكان شهما تهابه

[1] - التيجاني: المصدر السابق، ص.ص. 28- 29، ابن عذارى: المصدر السابق، ج.1، ص.ص. 301- 302 ؛ موسى عز الدين: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، بيروت دار الشروق، 1983 ص.ص. 126 – 127.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.ص. 412– 413 ؛ حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، ج.3، ص.ص. 654- 655.

[3] - محمود مقديش: المصدر السابق، ص. 242- 243 ؛ ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص.ص.84 – 85 ؛ الحبيب الجنحاني: القيروان عبر العصور، ص.ص. 59- 60.

[4] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 169 ؛ ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1.294 – 295 ؛ عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب، ص.ص. 25- 26.

العرب وقام بالأمر بعده ابنه مقرن فاشتدت وطأته وهادن العرب سلطان هو قصده الشعراء وامتدحوه وبقيت بنزرت على ذلك حتى دخول الموحدين.[1]

أما تقيوس فقد جرت بين أهلها وبين العرب الهلالية فتن وحروب وسادت الفوضى في المدينة، وأصبحت المدينة تحت رحمة القبائل الهلالية التي كانت تجول بها بكل حرية وتفسد بها.[2]

- فتن زرعة وطبرية وبعض الحصون بالمغرب الأدنى :

كان بقلعة زرعة بروكسن بن أبي علي الصنهاجي من أولياء العزيز المنصور صاحب بجاية والقلعة، وقد حصنها صاحبها وجلب بعض المتشردين والأوباش وأنزلهم بالقلعة، وقصده الرجال من كل جهة فاستفحل أمره فخلع طاعة بجاية، وأصبح يعبث في النواحي ويفسد وحارب ابن الورد ببنزرت وابن علال بطبرية، وأصبحوا يضرمون النيران في السهول والأرياف، وانتشرت الفتنة في البلاد إلى أن تدخل صاحب بجاية وقضى عليه.[3]

وكان أيضا بقلعة طبرية شيخا من شيوخها يدعى مدافع بن علال القيسي فتمرد على المهدية بعد ضعف حكامها، وتحصن بقلعته واستبد بها وانتشرت الفوضى في الضواحي، لاختلال الأمور بها، وكما هو الحال بمزلرقطون من إقليم زغوان الذي جمع صاحبه بعض أوباش القبائل، وأصبح ينهب ويفسد الزروع والثمار إلى أن قضي عليه، وكذا الأمر بقلعة شقنبارية التي تمردت واستعان صاحبها ببعض العرب وهجم على الأربس واستولى عليها وخلفه ابنه الذي دخل في عهده الموحدين بلاد افريقية والمغرب الأوسط.[4]

- طرد زغبة من المغرب وبيع القيروان :

في السنة 466هـ/1073 م نشبت صراعات بين بني رياح وبني زغبة نتج عنه انتصار القبيلة الأولى التي استطاعت أن تطرد زغبة من المغرب الأدنى وإجبارها على بيع القيروان،

---

[1] - ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص.ص. 301- 302 ؛ عمر أبو النصر: تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد المغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة، دار عمر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ؛ 1971. ص.ص.160 - 161.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص. 170 ؛ محمود مقديش: المصدر السابق، ص.ص.93 – 194.ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص.ص. 82- 83.

[3] - ابن خلدون: المصدر السابق: ج.6، ص. 170 ؛ ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ج.6، ص. 16 ؛ الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص.ص. 274 – 275.

[4] - ابن عذاري: المصدر السابق، ج.1، ص. 296، محمود مقديش: المصدر السابق، ص.ص. 195 – 196 ؛ حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص.ص. 34- 35.

فقد تم ذلك بفضل القائد بن ميمون الصنهاجي الذي أقنع أمير زغبة يبق بن علي بيع القيروان إلى صاحب صفاقص حمو بن مليل البرغواطي ونجح القائد في إبرام الصفقة وتم بيع القيروان وتولاها القائد بن ميمون مبايعا حمو بن مليل الذي هو بدوره عدو بنو رياح المتحالفة مع تميم بن المعز في حروبه ضده وبنو رياح هو خصوم زغبة.[1]

يرى روجي إدريس أنه من الغريب أن يقدم حمو بن مليل القيروان بعد شراءها إلى القائد بن ميمون مكافأة له من توسطه في الشراء، والقريب من الواقع أن أمير زغبة يبقى بن علي قد باع مدينة القيروان بالمزاد العلني تحت ضغط بني رياح فلا عجب إذا كان المشتري هو حمو بن مليل صاحب صفاقص تابعا للناصر الحمادي الذي اشترى هو بنفسه مدينة القيروان وهل القائد بن ميمون وحمو بن مليل لم يتصرفا لحساب ابن حماد .

فيمكن أن يكون القائد عونا من أعوانا الناصر بن علناس صاحب المغرب الأوسط خاصة أن صاحب القلعة كانت له أطماعا توسعية في المغرب الأدنى الذي كان يعاني من ويلات القبائل الهلالية نتج عنها انقسامه إلى إمارات متنازعة فيما بينها كل واحدة منها تحالف قبيلة من القبائل العربية.[2]

وفي مجمل القول أن قبيلة زغبة بعد انهزامها أمام بنو رياح حليفة بنو زيري اتجهت إلى خصومهم بنو حماد، فأرسلت إلى الناصر بن علناس وعرضت عليه بيع القيروان فأرسل هذا الأخير القائد بن ميمون وكلفه بمهمة الشراء وتم عقد البيع وعين الناصر الحمادي رسوله على مدينة القيروان يحكم باسم القلعة متحالفا مع حمو بن مليل صاحب صفاقص ضد تميم بن المعز الذي أراد أن يسترجع مملكة بنو زيري فعمل على إجراء حملات عسكرية مستمرة على المدن المستقلة فحالف بنو قبيلة بنو رياح التي تملك زعلمة القبائل الهلالية ولها كلمتها عليهم فأعانت صاحب المهدية على مشروعه بينما غريمتها زغبة اتجهت إلى المغرب الأوسط وعقدت

---

[1] - ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص.ص296- 297 ؛ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص.ص.83- 84 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص.ص. 462 –463.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق ،ج.6، ص. 170- 171 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج.10، ص.ص. 68 – 69 ؛ الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص.ص. 320 – 321.

الحلف مع الأمير الحمادي وأقطعها أراضي واسعة بجانب القلعة مقابل إعانته في جميع حروبه صد خصومه بنو زيري وزناتة[1].

بسطت قبيلة بني رياح نفوذها على كامل مناطق المغرب الأدنى فبعدما هزمت قبيلة زغبة وأجبرتها على الرحيل من المغرب، اتجهت بعد ذلك إلى قبيلة عدي فدارت بينهما معارك عنيفة خرجت منها رياح منتصرة وأجبرت عدي على الرحيل أيضا من المغرب الأدنى فتم ذلك فعلا وتوجهت قبيلة عدى إلى المغرب الأوسط تحلف هي الأخرى الناصر الحمادي[2].

لقد سقطت مدينة باجة في سنة 500هـ/ 1106 م في قبضة بطن من بطون رياح وهم بنو الأخضر وهلك في هذه الغزوة مالا يحصى من أفراد المدينة ولم يتمكن تكميم بن المعز من إجراء أي رد فعل لأنه كان في فراش الموت.

- الغزو النورماني لسواحل المغرب :

أصبحت غزوات بني زيري البحرية المستمرة تهدد النشاط التجاري في حوض الغربي للبحر المتوسط خاصة البحارة البيشانيينوالجنويين، حتى ألت في أخر الأمر الزى شن حرب صليبية تمهيدية حقيقة ضد سواحل المغرب فقد كان من الضروري على وضع حد لهذه الهجمات ومدينة المهدية هي المبتغى والعزم على إطلاق صراح الأسرى النصارى المعتقلين بالمهدية وفرض احترام الاتفاقيات المبرمة مع الايطاليين والتي ما فتئ تميم بن معز ينتهكها بسبب قلة الموارد داخل البلاد وتوجهه إلى البحر والسبب الرئيسي في ذلك هي الغزوة الهلالية وأثارها على النشاط الاقتصادي للدولة الصنهاجية .

- غزو المهدية

نتيجة الاعتداءات البحرية المستمرة التي كان يتعرض لها التجار الايطاليين منطرف الزيريين، طلبت مدينة بيزة إلى نظيرتها مدينة جنوة التحالف معها إلى قيام بعمل مشترك ضد المهدية، فانضم إلى الحلف أهل أمالفي في جنوب ايطاليا وقوات كبيرة من قبل الكنيسة

---

[1] - ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص.ص. 300- 301، ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 10، ص.ص 46 -47، روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص.ص. 273 – 274.

[2] - محمود مقديش: المصدر السابق، ص.ص. 40- 41 ؛ النويري: المصدر السابق، ص.ص.277 – 276 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج.3، ص. 462.

البابوية، وتطلب الأمر أربعة سنوات لإعداد أسطول الحملة الذي حوى على 400 قطعة بحرية[1].

انطلق الأسطول النورماني سنة 480هـ / 1087م إلى جزيرة قوصرة للتجمع بها وإعداد الخطة لدخول إلى المهدية، فأسرع أهل قوصرة بالكتابة إلى المهدية بالبريد الطائر بواسطة حمام الزاجل وهنا تشير أصابع الاتهام إلى تميم بالتقصير في اتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهة خطر التهام إلى تميم بالتقصير في اتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهة خطر الاتهام إلى تميم بالتقصير في اتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهة خطر الغزو النورماني لأنه رأى أن هذه حملة عابرة على جزيرة قوصرة لا يتطلب منه أن يعرض أسطوله للخطر[2]. لكن في الحقيقة أن تميم بن المعز أراد أن يبعث عثمان بن سيد المعروف بالمهر مقدم الأسطول الصنهاجي ليمنعهم من الإقلاع من جزيرة قوصرة[3] والتفت نحو المهدية، فمنعه من هذا الإجراء أحد قادته يدعى عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر . فتقدم الأسطول النورماني فوجد المهدية مفتوحة أمامه ولم يواجه مقاومة من قبل أهلها وما يجدر الإشارة إليه أن الجيش الصنهاجي كان خارج المدينة إضافة بالى قلة العدد والعتاد في المدينة لمواجهة النورمان، وقصر أسوار المهدية وكل هذه الأسباب جعلت المدينة لقمة صائغة للنورمان الذين نهبوا كل ما تحتويه المدينة بعد أن خلفوا خسائر بشرية كثيرة ولم تسلم مدينة زويلة من النورمان الذين أغاروا عليها وانتهبوها[4].

أمام هذا الوضع اضطر تميم بن المعز إلى طلب الصلح من النورمان بخروجهم عن المهدية مقابل المال، وقبل النورمان ذلك فدفع إليهم مئة ألف دينار[5] على أن يرد المهاجمين جميع ما أخذوه من السبي، وأقلع النورمان مزودين بغنائم وافرة من الذهب والفضة والأقمشة

---

[1] - ابن الأثير: المصدر السابق ج.10، ص. 165 ؛ ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص. 301، حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، مج.1، ج.1، ص. 662 – 663.

[2] - التجاني: المصدر السابق، ص.ص.331 - 332 ؛ ابن غلبون: المصدر السابق، ص.ص.40- 41 ؛ أمين توفيق الطيبي: جزيرة قوصرة العربية، مجلة البحوث العلمية، مركز دراسة جهاد الليبين، يوليه، السنة الثالثة، العدد الثاني، 1981، ص.ص. 306 – 307.

[3] - جزيرة قوصرة: هي جزيرة في بحر الروم بين المهدية وجزيرة صقيلية وبها فئة من الخوارج الوهبية.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج.4، ص.413.)

[4] - ابن الأثير: الصدر السابق، ج.10، ص.165 ؛ النويري: المصدر السابق، ص.ص. 356 – 357 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج.3، ص. ص.464 – 465

[5] - حسب ابن الخطيب فقد دفع تميم إلىالنورمان جزءا من المبلغ نقدا والجزء أخر على شكل أواني ذهبية وفضية وأشياء أخرى ثمينة. (أعمال الأعلام، ص. 87.)

الثمينة والسروج البرونزية أضف إلى ذلك أن تميم قد منح امتيازات تجارية للبيشانيين والجنويين في المغرب الأدنى[1].

لما تولى يحي بن تميم الحكم صالح الأمير العربي رافع الدهماني الرياحي أمير قابس وكانت العلاقة بينهما يسودها التفاهم والتواصل، وكان يمتلك هذا الأمير سفينة ضخمة بساحل مدينته حتى أن يحي الزيري ساعده في إنشاءها، لكن بعد تولية ابنه علي الحكم لم يعجبه أمر السفينة وكره لإمارات السواحل أن تملك سفن خاصة بها، فبعث إلى أمير قابس يمنعه في ذلك، لكن هذا الأخير لم يعره اهتماما، فجهز أمير المهدية أسطولا ضخما لحجز السفينة غير أن رافع الدهماني أرسل إلى صاحب صقلية روجار الثاني يستنجده من علي بن يحي وأخبره سبب الحملة هي السفينة المحملة بالهدايا الموجه إليه، فأسرع روجار في إرسال أسطولا لإعانة رافع غير أنه تزامن في وصوله مع أسطول صاحب المهدية فرأى النورمان بأعينهم قوة أسطول علي، فرجعوا إلى صقلية بينما فرض علي الحصار على قابس مدة قصيرة ورفعه عنها بعد مشورة مجلسه ورجع إلى المهدية[2].

ولم تهدأ نفس علي وأراد الاستيلاء على قابس وتأديب أميرها الذي يقيم علاقات مع خصومه النورمان ويحالفهم عليه، فتوجه إليه بأسطول عبر البحر وجيش على البر متحالفا مع القبائل الهلالية فطلب أمير قابس الصلح من علي فلم يقبل ،فبادر رفع بالهجوم أولا فالتقيا الجيشان خارج المهدية وبعد معركة عنيفة هزم رافع الدهماني والحق بجيشه خسائر فادحة، بفضل شجاعة بنوهلال الذين أغراهم علي بن يحي بالمال الكثير، فظلت العلاقة متوترة بين المهدية وقابس وفي نزاع مستمر تارة بإشراك الهلاليين وتارة بإشراك النورمان الذين يتدخلون[3].

في شؤون المغرب الأدنى للاستيلاء عليه متحججين بنصرة حليفهم رافع إلى أن توفي علي بن يحي وخلفه الحسن سنة 502هـ / 1409م[4].

[1] - التيجاني: المصدر السابق، ص.ص.332 –333 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.6، ص.ص.160– 161 ؛ حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، ص.ص. 628- 629.

[2] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.10، ص.ص.611 – 612 ؛ النويري: المصدر السابق، ص.ص 356 - 357 ؛ ابن أبي دينار القيرواني: المرجع السابق، ص.ص. 84- 85 ؛ رابح بونار: المرجع السابق، ص.ص. 197 – 98.

[3] - ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص.301 ؛ الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص.ص. 335- 336 .

[4] - ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج.1، ص.ص.301- 302 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق ،ج.6، ص.167 ؛ التيجاني: المصدر السابق، ص. 334- 335 ؛ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص.ص. 25- 26.

و بعد تولية الحسن بن علي إمارة بنو زيزي كاتب أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين، فوصل إليه أسطوله مع قائده علي بن ميمون فاستفتح في طريقه بعض الحصون والقلاع ببلاد النورمان، فلم يشك صاحبها روجار أن الباعث لهذا الأسطول هو الحسن بن علي فجمع جيشه واستعد لغزو المهدية، فأحس الحسن بذلك فأمر بتشييد الأسوار والحصون والاتخاذ الأسلحة واستقدام القبائل الهلالية للجهاد، فوصل الأسطول النورماني إلى المهدية على رأسه جورج الأنطاكي الخبير بأسرار المهدية، وتجمع بجزيرة الأحاسي وهي على عشر أميال من المهدية ثم ساروا إلى المرسى لكن الريح فرقتهم فعادوا وتحصنوا بقصر الديماس لكي يأخذوا المهدية برا وبحرا ،لكن الصنهاجيين وبني هلال باغثوهم وتمكنوا من القضاء عليهم[1].

فأقلع الأسطول النورماني راجعا إلى قوصرة وانتظر المدد من صقلية، فأتاه ذلك وبقي على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول بسبب الريح إلى أن لانت له، فدخل المهدية ووجدها خالية من سكانها فاستولى على كل ما تحتويه من ذخائر والأموال ولم يلق النورمان أية مقاومة من طرف بنو زيري وأهل المهدية[2].

أما الحسن بن علي انتقل عند أحد أمراء العرب يريد الرحيل إلى القاهرة لكن النورمان علموا به وترصدوا له، فرحل إلى جزائر بني مزغنة وبقي بها إلى دخول الموحدين[3].

- غزو صفاقس وسوسة :

بعد الاستيلاء على المهدية أرسل جرجي الأنطاكي أسطولا إلى صفاقس التيس دخلها جملة من العرب الهلالي وتحصنوا بها بعد سقوط المهدية فعند وصول النورمان إلى المدينة لقوا مقاومة من أهلها والهلاليين فتظاهروا بالهزيمة فطاردهم المقاومون إلى خارج المدينة لكنهم عند ابتعادهم وضعوهم بين الفك والسنداب وتم هزمهم وقتل لكثير منهم ودخلوا إلى مدينة فخرج الناس فنودي بالأمان ورجه أهلها بعد ذلك ولم يقوموا بعدها بأي مقاومة تذكر[4].

---

[1] - ابن الأثير:المصدر السابق، ج.11، ص.127 ؛ التيجاني: المصدر السابق، ص.341- 342 ؛ مقلد عبد الفتاح الغنيمي: موسوعة المغرب العربي، ج.4 ،ص.ص. 374 – 375.

[2] - عماد الدين أبي الفدا: المصدر السابق، مج.1، ص.189 ؛ محمود مقديش: المصدر السابق، ص.ص. 482 – 483 ؛ إسماعيل العربي: المرجع السابق ص.ص. 179 – 180.

[3] - ابن أبي رزع الفاسي: المصدر السابق،ص.259 ؛ النويري:المصدر السابق ،ص.373 ؛ الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج.1، ص.ص.337- 338.

[4] - التيجاني: المصدر السابق، ص.74 ؛ ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص. 180 ؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الإسلامي ،ص.ص. 591 – 592.

فأمن أهلها وأسكن جملة من النصارى بها وعين عليها عمر بن أبي الحسن واليا عليها غير أنه أخذ والده رهينة عنده خوفا من تمرد الابن على النورمان، لكن الوالد أوصى ابنه بعدم الاهتمام به والعمل على الجهاد وقتل النصارى المتواجدين بالمدينة فامتثل عمر بن أبي الحسن لوصية أبيه وأقام ثورة على النورمان بمساعدة بني هلال وتم قتل النصارى لكن والده لقي حتفه[1]. وكانت انتفاضة صفاقس على النورمان بمثابة القدوة الحسنة التي انتهجتها سائر المدن بمساعدة القبائل الهلالية لكن النورمان أعادوا الكرة على صفاقس وتمكنوا من الاستيلاء عليها ونادوا في الناس بالأمان فعادوا وعاشوا تحت ظل الحكم النورماني[2].

لما فرغ جورج الأنطاكي من مدينة صفاقص أرسلا جيشا لغزو مدينة سوسة كان واليها علي بن الحسن الزيري[3] فلما سمع بسقوط المهدية وخروج والده منها لحق به وترك المدينة بدون والي، فلما وصال نبأ خروجه إلى أهل سوسة خرجوا هم الأخريين إلى أرياف وسهول المغرب الأدنى، ولم يبق إلا العاجزين عن الرحيل، فدخل النورمان إلى المدينة دون مقاومة فنودي بالأمان فرجع الناس إلى مدينتهم، وعين جورج الأنطاكي عاملا على مدينة سوسة واستولوا بذلك على سائر بلاد المغرب الأدنى[4].

– غزو طرابلس وجزيرة جربـة :

في سنة 537هـ، قصد روجار طرابلس بأسطوله ليأخذها لكنه مني بالفشل لمقاومة أهلها وشجاعة العرب الهلالية التي حملت على النورمان وهزمتهم، لكنه أعاد الكرة ثانية في سنة 541 هـ، أعد لهم أسطولا ضخما وسار إليهم ونشب قتالا عنيفا بينهم فتمكن في الأخير من الاستيلاء على المدينة ونادى بالأمان بين الناس فرجع كل من فر ودفعوا الجزية إلى صاحبها[5].كانت جزيرة جربة من بلاد افريقية قد كثرت عمارتها وخيراتها فأهلها لا يدخلون طاعة أس سلطان كان خاصة بعد الاجتياح الهلالي لافريقية، فعزم النورمان على الاستيلاء عليها

---

[1] - ابن الأثير:المصدرالسابق، ج.11، ص. 129 ؛ النويري: المصدر السابق، ج.11، ص.ص. 128- 129؛جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ص.ص.282-283.

[2] - ابن أبي دينار القيرواني: المرجع السابق، ص. 95 ؛ محمود مقديش: المصدر السابق، ص. 483 – 484 ؛ حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص.ص. 143- 144.

[3] - حسب التيجاني فان أمير هلالي يدعى جبارة بن كامل كان واليا على مدينة سوسة وأظهر مقاومة شديدة صد النورمان حين عزموا على احتلال المدينة وفي الأخير تمكنوا من هزمه وغزو المدينة ونادوا بالأمان بعد فرار أهلها خوفا من بطشهم فعادوا إلى مدينتهم وعاشوا تحت حكم صقلية. (الرحلة، ص. 30.)

[4] - ابن الأثير: المصدر السابق ج.11، ص.ص. 92 – 93 ؛ الوزير السراج: الحلل السندسية، ص.ص.567- 568 ؛ إحسان عباس: المرجع السابق، ص.ص. 69- 79.

[5] - عماد الدين أبي الفدا: المصدر السابق، مج.1، ص. 369 ؛ روجي إدريس: المرجع السابق، ج.2، ص. 412.

فجهزوا أسطولا كبيرا وساروا إليها فلقيوا مقاومة شديدة من قبل أهلها وبعد قتال عنيف تمكنوا من غزو الجزيرة ونهبوا أموالها ونقلوا أهلها سبايا إلى صقلية[1].

كانت جزيرة جربة من بلاد افريقية قد كثرت عمارتها وخيراتها فأهلها لا يدخلون طاعة أس سلطان كان خاصة بعد الاجتياح الهلالي لافريقية، فعزم النورمان على الاستيلاء عليها فجهزوا أسطولا كبيرا وساروا إليها فلقيوا مقاومة شديدة من قبل أهلها وبعد قتال عنيف تمكنوا من غزو الجزيرة ونهبوا جميع أموالها ونقلوا أهلها سبايا إلى صقلية.[2]

- غزو بونة وجيجل :

في سنة 548 هـ، سار الأسطول النورماني إلى مدينة بونة[3] واستطاع أن يفرض الحصار عليها، وتمكن القائد النورماني فيلب المهدوي من الاستيلاء على المدينة، غير أنه رفق بأهلها وسمح لجماعة من العلماء الصالحين بالخروج بأموالهم، وأقام عشرة أيام بالمدينة ورجع إلى صقلية غير أنه لقي حتفه بسب ذلك، ولم تمر إلا مدة وجيزة وهلك الملك روجار في السنة نفسها، وخلفه ابنه غليام وكان سيئ التدبير والسيرة فاختلف عليه عدة حصون من جزيرة صقلية وبلاد قلورية حتى افريقية[4].

ووصل النورمان بعد بونة إلى مدينة جيجل وتمكنوا من الاستيلاء عليها وفر أهلها إلى البراري والجبال، وأسروا من أدركوه في المدينة ونهبوا الأموال وأحرقوا القصر الذي بناه يحي بن العزيز الحمادي[5].

الآثار والنتائج الاجتماعية:

- **تشتت السكان:** حكمت الظروف السياسية والاقتصادية والأمنية على السكان بالتشتت في الأوطان، حيث كانت تلجأ القبائل كلها أو بعض أفرادها إلى مواطن توفر لهم الأمن أ، يجدون

[1] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.11، ص.ص. 542 ؛ التيجاني: المصدر السابق، ص. 126 ؛ محمد سالم شرف: ملامح المغرب، ص.ص. 52-53.

[2] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.11، ص.ص. 542 ؛ التيجاني: المصدر السابق، ص. 126 ؛ محمد سالم شرف: ملامح المغرب، ص.ص. 52-53.

[3] - بونة: مدينة متوسطة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ومقدارها رفعتها كالأربس وكان بها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح موجودة وفيها كثير من الخشب والشجر وأنواع كثيرة من الفواكه. (البكري: المصدر السابق، ص.65.)

[4] - الإدريسي: المصدر السابق، ص. 154 ؛ عماد الدين أبي الفدا: المختصر في أخبار البشر: ج.1، ص. 369 – 370 ؛ عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص.ص. 186 – 187.

[5] - ابن خلدون:المصدر السابق، ج.6، ص. 172 - 173 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج.11، ص.ص. 187- 188 ؛ مبارك الميلي: المرجع السابق، ص.ص. 236 –237.

فيها أسباب وسبل العيش، أو من أجل تحقيق أهداف سياسية، وذلك بطريقة إرادية مباشرة أو تحت ضغوط مختلفة أو تماشيا مع واقع معين كانتقال كتامة إلى مصر برحيل العبيديين.

- **تشريد القبائل:** ونقصد به حالة الخوف وعدم الاستقرار الذي عاشته القبائل ولا سيما الزناتية منها التي تفرقت وشردت بسبب مطاردتها من طرف خلفاء بني عبيد أو من طرف نوابهم الزيريين.

ونفس الحالة عاشتها هذه القبائل خلال عهد المنصور: (481-849هـ/1089-1105 م) بن الناصر الحمادي أثناء تصديه لزحف المرابطين وحلفائهم بني ومانو وبني يلومي، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " وأثخن – المنصور – بعدها في زناتة وشردهم بنواحي الزاب "[1] فلم يلتئم لهم شمل أو يقر لهم قرار، وعاشوا بين صحراء وتلول المغربين وفي طرابلس والأندلس، رغم بعض فترات الاستقرار النسبي التي عاشتها هذه القبائل مستغلة الظروف السياسية كالصراع الزيري الحمادي.

والحقيقة أن هذه الحالة لم تعشها القبائل في بلاد المغرب فقط، بل لاحقتهم حتى المهجر فقد انتشرت كتامة في مصر نتيجة صراع المشارقـــــة والمغاربة.

أما في الأندلس فكان لبني برزال وصنهاجة وغيرها نفس المصير بسبب الفتنة ثم صراع الطوائف، ولا أدل على ذلك من عودة زاوي بن زيري إلى افريقية فيما أل عبد الله بن بلكين وأخوه تميم إلى المنفى بالسوس[2] بعد أن استولى المرابطون على الاندلس.

ورغم حالة التشتت التي صارت إليها القبائل فإنها كانت من الناحية الإجتماعية أحيانا عامل دمج وخاصة بين المغربين الأوسط والأقصى اللذان شكلا وحدة جغرافية ومن مظاهر الاندماج إمارة زيري بن عطية[3] التي وصلت حتى الزاب، وهو ما حدث في العهد الحمادي ولكن بصورة عكسية حيث قام بلكين بن محمد بن حماد سنة 454 هـ / 1062 م من مد نفوذه

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1879.
[2]- عبد الله بن بلكين – المصدر السابق ص 164 وما بعدها.
[3]- هو زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغراوي تولى رئاسة قومه، أخرجه بلكين بن زيري من المغرب الأوسط سنة 369 ه/ 979 م، ثم عاد إليه حيث استرجع قسما كبيرا منه وألحقه بإمارته في المغرب الأقصى واختط مدينة وجدة، ولما شعر بالقوة خلع طاعة بني أمية فحاره المنصور بن أبي عامر وألجأه إلى الصحراء، زحف ثانية إلى المغرب الأوسط فحاصر أشير إلى أن توفى سنة 391 ه/1000 م متأثرا بجراحه: ابن خلدون المصدر نفسه –مج2-ص 2080-2084./ يحي بن خلدون: المصدر السابق – ج1-ص 249-ص 253..

إلى فاس فكان من نتيجة ذلك تداخل القبائل وتنقلها بين المغربين ذهابا وإيابا في حين لم يحدث ذلك بين المغرب الأوسط وافريقية إلا نادرا.

إخلاء المغرب من السكان: أدت هجرة أو تهجير السكان خارج المغرب الأوسط إلى انخفاض عدد سكانه وبصورة أشد خلال القرن الرابع الهجري، أي فترة حكم العبيديين سواء بطريقة مباشرة أو عن طريق الحملات العسكرية حتى بدا أن المغرب وكأنه قد خلا من ساكنة بعض القبائل وحسب قول ابن خلدون مثل زناتة[1] وهو ما يبين حجم الضرر الذي لحق بالسكان، والذي مس قبيلة كتامة المحسوبة على العبيديين وقد كنا قد اشرنا في الفصل الثاني إلى أن المنصور أمر بترحيل أربعة عشر ألف بيت منها وبعملية حسابية بسيطة يمكن تقدير هؤلاء المهاجرين بما لا يقل عن سبعين ألف نسمة أي بمعدل خمسة أفراد لكل بيت رغم ما يطرح من تساؤل هل ارتحل كل هذا العدد فعلا إلى افريقية ؟ يمكن أن نرد على ذلك بالإيجاب، فالمدة التي مكثها المنصور في انتظارهم وهي شهرا كاملا، ثم عبارة الداعي ادريس بقوله: "وفيها – مدينة ميلة – وافته حشود كتامة وعيالهم فأنفذهم إلى افريقية"[2].

تفكيك البنية القبلية وتغيير تركيبتها: كثيرا ما تؤدي هجرة قبيلة إلى اندراجها ضمن القبيلة التي استوطنت بإقليمها فتنضم إليها طوعا أو تتحالف معها بالمجاورة والمصاهرة، وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الظاهرة التي كانت تحدث بين قبائل المغرب بقوله: " وتفرقت أوزاعا في القبائل " فعندما يتكلم عن قبيلة لواتة مثلا يقول: " ولهم شعوبا أخرى كثيرة اندرجوا في البطون وتوزعوا بين القبائل"[3]، أو عندما يذكر لماية يقول: " وبقيت فرق منهم أوزاعا في القبائل".

ونفس الشيء ينطبق على ولهاصة إحدى بطون نفزاوة حيث يقول: " وأما سائر ولهاصة من ورفجومة فهم لهذا العهد أوزاعا أشهرهم قبيلة بساحل تلمسان اندرجوا في كومية وعدوا منها بالنسب والخلط"[4]، وهو ما يطرح أحيانا إشكالية هوية القبائل نتيجة هذا التداخل والاختلاط حتى أن ابن خلدون يضطرب في نسب بعض القبائل التي فقدت لقبها أو أخذت لقب القبيلة التي

[1]- وفي ذلك يقول ابن خلدون: " فمحا من المغرب الاوسط أثار زناتة "، وقوله:" فاقفر المغرب الأوسط من زناتة " –مج2-ص20789.
[2]- الداعي إدريس: المصدر السابق –ص468.
[3]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1844.
[4]- المصدر السابق: مج2-ص1843

انضمت إليها فعندا يتكلم عن قبيلة نفزاوة يقول: " وأما بطون نفزاوة فلا يعرف لهم لهذا العهد حي ولا موطن إلا القرى الظاهرة المقدرة السير المنسوبة إليهم"[1]، ومن ذلك أيضا أن بعض فروع كتامة فقدوا ألقابهم لانتفائهم من هذا النسب بسبب النكير عليهم انتحال مذهب الرافضة، وكان بعضها يدعي النسب إلى العرب.

إضافة إلى إشكالية تفكك القبائل وإعادة بنائها وما يطرحه من غموض وتداخل في الأنساب، فإن الهجرة أثرت بطريقة مباشرة في تغيير التركيبة السكانية عرقيا واجتماعيا واقتصاديا، فقد أحدثت الأزمة الاقتصادية التي عرفتها طرابلس سنة 430 هـ/1038 م اختلالا اجتماعيا وبخاصة في وادي ريغ[2] نتيجة هجرة أعداد كبيرة من سكان طرابلس واستقرارهم بالمنطقة على حساب السكان الاصليين، كما احدث دخول عرب الاثبج إلى الزاب تغييرا في تركيبته البشرية بعد أن استولوا على فضاءات شاسعة[3]، وأصبحوا يشكلون غالبية سكانهم وأسسوا بها إمارة بني مزني[4].

إن عملية تهجير الجماعات البربرية المحلية وإخضاعها حول أرياف منطقة الزاب من تركيبتها الاجتماعية المحلية إلى تركيبة مشرقية تتميز بالدور المحوريللقبيلة في تنظيم النسيج الاجتماعي، كما أن هذا التغيير الريفي العميق واكبه كذلك نهاية الزاب كمعقل إباضي بعد نزوح عدد من الجماعات الإباضية نحو منطقة واركلا ووادي ميزاب[5].

إن غرضنا من هذا المثال هو إعطاء صورة على منطقة الزاب كنموذج عن أكثر المجالات استقرارا للعرب، والتي كان التاثير العربي بارزا، مما يدل على ذلك رحلة ابن الحاج التي خصصها لمنطقة الزاب أثناء زحفه مع السلطان المريني.

أدي دخول العرب إلى إعادة هيكلة مجتمع المغرب الأوسط بإضافة عنصر جديد ذي خصائص خلقية وعقلية سيكون تأثيرها واضحا على السكان حيث انطبعوا بها بالاندماج

---

[1]- المصدر السابق: مج2-ص1843

[2] - ALLAOUA AMARA: Retour a problématique du déclin économique du monde musulman medieval –le cas du maghreb hammadite 11/12 C^le - the maghreb review – vol 28-N 01 -2003 p 227.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1791/ عمار علاوة: " الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الإجتماعية لبلاد الزاب " مجلة الأداب – جامعة قسنطينة – ع 10-سنة 2004-ص22.

[4]- بنو مزني: ينسبهم ابن خلدون إلى مزنة بن ديفل بن محيا بن لطيف أحد بطون الأثبج الهلاليين ويزعمون أنهم من مازن بنو فزارة بن ذيبان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر: ابن خلدون – المصدر نفسه –مج2-ص1971.

[5]- علاوة عمارة: المرجع نفسه –ص25.

والمعاملة، وللإشارة فإن سيطرة العرب على بعض المناطق لم يلغ نهائيا الجماعات المحلية حيث تعايشت بعض القبائل مع العرب مثل لواتة مع الفجور أحد بطون رياح [1].

النتائج السياسية:

تعزيز سلطة صنهاجة: سيطرت على المشهد السياسي للمغرب منذ القرن الرابع الهجري مجموعتان قبيلتين هما كتامة وصنهاجة من جهة، وقبائل زناتة من جهة أخرى، وقد اختارت كتامة وصنهاجة العبيديين كحليف لهما فيما ارتبطت زناتة بالأمويين في الأندلس، وإذا كانت كتامة صاحبة الفضل في احتضان دعوة الشيعة وحمل دولتهم فإن هؤلاء قد تخلوا عنها لما ضعفت عصبيتها وتوجه أكثر أفرادها إلى مصر حيث كانوا يعولون عليهم هناك لصدق تشيعهم والحاجة إليهم كمقاتلين، وعليه يمكن القول أن القبيلة انتهى دورها تقريبا كقوة سياسية واجتماعية في المغرب الأوسط بانتقال أسيادهم إلى القاهرة فاسحة المجال لقوة جديدة هي صنهاجة.

لقد كان ظهور زيري بن مناد خلال ثورة النكار أحد اكتشافات العبيديين في ميدان القيادة العسكرية، ولذلك كلفه المعز بمهمة قتال زناتة رفقة جوهر، ثم اتضح له أهمية هذه القبيلة كقوة عسكرية ضاربة يمكن أن تخلفهم في المغرب، وقد شجعهم على ذلك قوة عصبيتها لكثرة عددها وما تملكه من قيادات عسكرية[2] كزيري وابنه بلكين الذي أثبت جدارته في حرب زناتة وتوسم فيه العبيديون خيرا.

إن مجاروة صنهاجة لزناتة ستكون حاجزا أمام هذه القوة التي كانت تثير المخاوف خلفاء المهدية وبالتالي تعززت سلطة صنهاجة على حساب كتامة وعلى حساب أمير المسيلة جعفر بن علي بن حمدون الذي كان إلى وقت قريب من أنصار العبيديين.

طارد بلكين زناتة بعد توليه أمور افريقية مباشرة فألجأها إلى المغرب الأقصى والصحراء وصار المغرب الأوسط كله لصنهاجة[3]، فاتسع نفوذ القبيلة باتجاه الغرب بتأسيس حماد ملكا قسيما بملك أل باديس امتد من جبل أوراس إلى تلمسان وملوية[4] كان من نتائجه ضعف نفوذ زناته

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1798./ ابن الحاج النميري: فيض العباب – تحقيق محمد بن شقرون –دار الغرب الإسلامي –بيروت – ط1-1990-ص8.

[2]- ابن الأثير: المصدر السابق –مج2-ص1788./المقريزي: اتعاظ الحنفا – المصدر السابق –ج1-ص84

[3] - ابن خلدون: المصدر السابق – مج2-ص2080.

[4]- ابن خلدون: المقدمة –ص229.

في مواطنها بالمغرب الأوسط والذي استغله المرابطون في القضاء على ما تبقى منهم في المغربين.

أما زناتة فرغم ما أصابها من التشتت والطرد فإنها أصبحت قوة سياسية في المغرب الأقصى وطرابلس حيث تمكن المغراويون من تأسيس إمارتهم الثانية التي اتسعت أيام الأمير دوناس ابن حمامة[1]، كما أقام بنو خزرون إمارتين لهم الأولى بسلجماسة التي قضى عليها المرابطون سنة 463هـ/ 1070 م والثانية بطرابلس تلاشت أمام زحف العرب.

الأثار المذهبية:

حافظت بعض القبائل على مذهبها عند انتقالها من مواطنها الاصلية إلى مراكز استقرارها الجديدة، ومن ذلك إباضية تاهرت المهاجرين إلى واركلا وتقرت[2]، وفيهم يقول ابن خلدون: "وفي أهل تلك الأمصار من مذاهب الخوارج وفرقهم كثير وأكثرهم على دين العزابة ومنهم النكارية "[3]، أما قبائل لماية المهجرين إلى جربة فقد حافظت كذلك على مذهبها حيث كانت لهم تأليف في أصول وعقائد المذهب الإباضي يتدارسونها فيما بينهم[4].

باستثناء هذه المناطق فقد غلب على بعض بلاد المغرب المذهب السني المالكي الذي حافظ عليه علماؤه وفقهاؤه ونقلوه غلأى الأقاصي، وفي المقابل حاربوا الفرق الضالة مثلة نحلة برغواطة[5]، فقد قام أبو كمال تميم بن زيري بن يعلى اليفرني سنة 420 هـ/ 1029 م من إزالة هذه النحلة وحمل قبائلها على الإسلام.

الأثار الإقتصادية:

يرتبط النشاط الاقتصادي عادة باستقرار الجماعة أو الفرد للمارسة الزراعة والرعي أو الصناعة والتجارة، ولا شك أن ماشهده المغرب الأوسط من هجرة لسكانه وقبائله قد أثر سلبا على الإنتاج

[1]- دوناس بن حمامة: هو أبو العطاف دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي الخزري تولى الحكم بعد ابيه (431-451ه / 1039-1059م) خرج عليه لأول أمره ابن عمه حماد بن معنصر بن المعز الذي حاصره بمدينة فاس إلى أن توفى سنة 435ه/1043 م، فاستقامت دولة دوناس: ابن خلدون: المصدر نفسه –مج2-ص2085.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2087./ ابن سماك العاملي: المصدر السابق –ص67-68.

[3]- ابن خلدون: لمصدر السابق –ص2093.

[4]- المصدر نفسه: مج2-ص1847/ الحميري: لمصدر السابق –ص158./ ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج2-ص42.

[5]- برغواطة: اختلف في إسم برغواطة هل هو اسم لقبيلة أم لنحلة دينية فيرى ابن خلدون أن برغواطة بطن من مصمودة كانوا شعوبا كثيرة متفرقين وكانت مواطن جمهورهم ببسائط تامسنا وسيف البحر ويعود أصل هذه التسمية إلى مبتدعها صالح بن طريف (عاش في القرن الثاني الهجري) من فحص بالرباط بالاندلس عربته العرب إلى برغواط وأضافوا إليه هاء الجمع فصار برغواطة ومما يعزز هذا الطرح كثرة من جاهد هذه النحلة من ملوك العدوتين ويرجح أن تكون اسما لنحلة أخذت تسمية القبيلة: يراجع عنها: ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1899 وما بعده / صالح بن عبد الحليم: المصدر السابق –ص187/ ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص227 وما بعدها / عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق –ص146./ عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق ص322./ عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق –ص112-113.

الفلاحي حيث تقلصت المساحة المزروعة وبخاصة في حكم الفاطميين الذين فرضوا ضرائب كبيرة على الفلاحين بحكم ارتباطهم بالأرض، وهو ما أدى بهم إلى التخلي عنها وممارسة أنشطة أخرى، وقد استنتج ابن خلدون علاقة اقتصادية عن هذه العملية مفادها أن المجاعات تحدث بقبض الناس أيديهم عن الفلح بسبب العدوان في الأموال والجبايات [1].

استمرت ظاهرة هجرة الأراضي الزراعية في العهد الحمادي بدخول العرب الذين استولوا على مجالات واسعة كانت فيما سبق ملكا لقبائل مغربية ونتيجة للفوضى التي صاحبت دخولهم تعطل النشاط الفلاحي والتجاري اللذان ساهما في تعميق الأزمة التي عرفها المغرب الأوسط بعد سنة 447 هـ/1055 م ولو إلى حين.

أدى استقرار العرب فيما بعد إلى إحياء هذا النشاط ومنه زراعة النخيل التي انتشرت في الواحات، كما اشرفوا على تنظيم التجارة وتسييرها وذلك بخفاوة القوافل في المناطق الخاضعة لنفوذهم، أما في غيرها من المناطق فكانت تقوم بها[2]

القبائل البربرية، ويلاحظ أن في هذه الفترة (ق 5 هـ/11م) ستظهر الطرق البحرية كمنافذ تجارية بعهد انتقال الحماديين إلى بجاية أين أنشأوا أساطيل للتجارة مع أمم البحر الشامي والاندلس.

الأثار العمرانية بالمغرب الأوسط:

إن ظاهرة التمدن في بلاد المغرب عموما خلال الفترة الوسيطية لم تكن نشيطة وذلك لطبيعة الحياة البدوية الغالبة والقائمة على أساس الرعي والانتجاع، وقد أشار ابن خلدون إلى أن المدن والأمصار في المغرب قليلة[3] وأرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب رئيسة وهي:

1- رسوخ عوائد البداوة التي لا يمكن التخلي عنها بسهولة.

2- العصبية القبلية كنظام سياسي واجتماعي، الذي عزل أفراد القبيلة الواحدة ومنعها من الاندماج في مجتمع متعدد العصبيات وهو المدينة حيث تزول عصبية القبيلة.

3- حياة الظغن والتنقل التي اعتادتها القبائل وفرضتها ظروف الحياة.

[1]- ابن خلدون: المقدمة –ص237.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2100.

[3]- ابن خلدون: المقدمة – فصل في أن المدن والأمصار بافريقية والمغرب قليلة –ص281-282.

كما يعود نقص العمران كذلك إلى الحروب والصراعات التي لم تترك مجالا للإستقرار والعمران، بل أنها كانت أحيانا سببا مباشرا للخراب، من ذلك أن الكاهنة خربت مدينة باغاية وحصنها عندما غزاها حسان، أو ما كان يعمد إليه الجيش أثناء الحمـــلات من تدمـــير للحصـــون والمـــدن.

لكن هذا لا يلغي وجـــود مراكز وحواضر تقليـــدية كبـــونة وقسنطينة وبسكرة وغيرها، التي حافظت على وجودها وعمارتها التي تعود في الأصل إلى العهد الروماني، وتوصف عند الجغرافيين بالمدينة القديمة أو الأولية أو الأزلية، حيث أصبحت أسسا للمد الناشـــئة بعد تخريبهـــا والبنـــاء بأنقاضها، فعادة ما تبنى المدن الجديدة بالقرب منها مثل تاهرت والمسيلة وبجاية.

عادت ظاهرة العمران إلى بلاد المغرب مع أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع ميلادي متأثرة بالظروف السياسية وبخاصة الدول التي قامت في هذه الفترة بداية من تأسيس الدولة الرستمية انطلاقا من السواحل بتأسيس مدينتي تنس[1] وهران[2].

اتسمت السياسة العبيدية تجاه المدن في المغرب الأوسط بثلاث اتجاهات:

- **الإبقاء على بعض المدن:** حافظ العبيديون على بعض المدن التي كانت قائمة مع تدعيمها لتكون قواعد لهم مثل تاهرت التي أصبحت مركزا إداريا وعسكريا فمن خلالها يمكن مراقبة القبائل كمغراوة في الشرق والشمال وبني يفرن في الغرب ولواتة في القبلة ثم القبائل القريبة منها كمطماطة ومكناسة، لذلك ظلت هذه المدينة محل صراع دائم بينهم وبين القبائل الزناتية، وقد عمل الأمويون من جهتهم على أن تكون قاعدة لهم في العوة فقاموا بتدعيم أنصارهم بها، وقد قدر العبيديون أهميتها الاقتصادية حيث أنها تتحكم في الطرق التجارية نحو الصحراء فعملوا على حفظ الأمن بها.

[1]- تنس: مدينة قديمة أسسها القرطاجيون غرب شرشال كمركز تجاري، وعرفت في العهد الروماني باسم كارتينا CARTENNAS أو CARTENNAE ثم أعيد بناؤها على يد جماعة من البحريين الأندلسيين سنة 262 ه/ 876 م منهم الكركدن وابن عائشة والصقر وصهيب، وتوسعت هذه المدينة بانتقال السكان المجاورين لها مثل أهل سوق كرام: البكري: المصدر السابق –ص242./ ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج1-ص457./ مجهول: الاستبصار –ص133/ الحميري: المصدر السابق –ص138.ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص117./ الادريسي: المصدر السابق –ص104/محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي غرب المتوسط –ص101.

[2]- وهران: أسسها جماعة من الأندلسيين على رأسهم محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون سنة 290 ه/902 م بينها وبين تنس ثماني مراحل خربت بعد سبع سنوات من تأسيسها أي سنة 297ه/909 م ثم اعيد بناؤها أستولى عليها العبيديون وولها حميد بن دواس اللهيصي، ثم ملكها يعلى بن محمد اليفرني سنة 343 ه/954 م، ثم استعادوها أثناء حملتهم سنة 347 ه/958 م استولى عليها المرابطون سنة 474 ه/1081 م: ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1885/ ياقوت الحموي: المصدر نفسه –مج2-ص464./ مجهول: المصدر نفسه ص133./ الحميري: المصدر السابق –ص612./ ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص189-ص191-ص198.

- **بناء مدن جديدة:** إضافة إلى السياسة السابقة اتجه هؤلاء أحيانا إلى إنشاء مدن جديدة، والحقيقة أنها لم تتعدى مدينتين أو ثلاث مثل أشير والمسيلة، ويبدو أن الظروف السياسية والعسكرية وألأمنية هي التي فرضت ذلك عليهم، وليس سياسة

عمرانية، معتمدة والدليل على ذلك أن هذه المدن التي شيدت على قلتها إما كانت على أراضي قبائل مناهضة أو في أراضي موالية ومن أهمها:

مدينة المسيلة: وهي مدينة قديمة تعود إلى العهد الروماني عندما انشأ هؤلاء على خطوط الزاب خط اللميس، وأقاموا مدينة ذكرها البكري باسم بشليقة[1]، وذلك لإيقاف القبائل الرعوية والتصدي لهجمات الثوار.

اختط أبو القاسم[2] محمد لن المهدي مدينة المسيلة بعد عودته من تاهرت، وكلف علي بن حمدون ببنائها، وولاه عليها، ثم خلفه ابنه جعفر فصارت من أعظم مدن المغرب ليس كحاضرة فقط بل كمدينة سياسية واقتصادية، وتتجلى أهميتها في كونها مدينة إدارية حيث أصبحت قاعدة بلاد الزاب بدل طبنة فانتقل إليها إطارات الدولة، كما تعتبر كذلك مركز عبور بن شرق المغرب الأوسط وغربه، أما اقتصاديا فهي ذات مياه (وادي سهر) ومزارع وجنات وسوائم ما جعلها مركزا للتموين بالطعام والأقوات حتى أن المهدي أمر عامله عليها أن يخزن فيها من ذلك لاستعماله عند الشدة[3]، ومن جهة أخرى فهي إحدى طرق التجارة إلى بلاد السودان.

أما في العهد الزيري فازدادت أهميتها أكثر إذ أصبحت محل نزاع بين حماد وابن أخيه باديس بن منصور الذي نزلها بنفسه في إحدى حملاته العسكرية سنة 406 هـ/1015م، وأقام بها ستة أيام مقارعا لحماد[4] إلا أنها فقدت دورها كمدينة أساسية بعد بناء مدينة القليعة قريبا منها.

---

[1]- البكري: المصدر السابق –ص245/ النويري: المصدر السابق –ص321/ الحميري: المصدر السابق –ص568.
تحدد المصادر ثلاث تواريخ: 313 ه/925 م، 315 ه/927 م، 323 ه/935 م لبنائها ويظهر أن سنة 313ه/925 م أو 315 ه/927 م، هي أقرب إلى الصواب لاقترانها بأحداث وقعت خلال هذه السنة (315ه/927 م) وهي الحملة العسكرية التي قام بها محمد القائم على تاهرت ضد محمد بن خزر: ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص190.191/الداعي إدريس: المصدر السابق –ص215-217.ابن خلدون ك المصدر السابق –مج1-ص1077/ ابن الاثير: المصدر السابق –مج2-ص1618./ البكري: ص239/ معجم البلدان: مج4-ص267/ ينظر كذلك مقال المهدي البوعبدلي: " ماضي المسيلة السياسي والثقافي عبر التاريخ والخلاف بين زيري بن مناد وجعفر بن علي أمير المسيلة " مجلة التاريخ – المركز الوطني للدراسات التاريخية –عدد06-سنة 1978-ص133-150.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1078./ابن الاثير: المصدر السابق –مج2-ص1618.

[3]-

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص263.

تخريب بعض المدن: لقد كان الهاجس الأمني إحدى أولويات السياسة العبيدية وهو ما جعلهم يخربون بعض المدن والحصون التي كانوا يرون فيها مصدر خطر ضدهم، وقد استمرت سياستهم هذه مع تواصل المقاومة الزناتية ومحاولات الإستقلال التي قام بها بعض الأمراء مثل يعلى نب محمد حيث كانـــت تواجه بعنف وغالبا ما تنتهي بتخريب هذه المدن التي طالتها هذه العملية مدن إمارة هاز[1]، ثم أجلب عليها زيري بن مناد فأخرجها ثم قصدها جوهر فقضى عليها.

سار الزيريون على خطى أسيادهم في تخريب المدن وبالخصوص أثناء الثورات التي كانت الوسيلة الفعالة للقضاء عليها، فعلى إثر الثورة التي قامت بها كتامة سنوات 376-378 هـ/986-988 م أمر المنصور عند وصوله إلى ميلة بهدم أسوارها بعد أن أخلاها من السكان فأصبحت خرابا[2].

مدينة اشير: بناها زيري بن مناد سنة 324 هـ/935 م[3] في سفح جبل تيطري وهي تشرف على سهول التل الغربية وبلاد القبائل الشرقية من جهة، ومن جهة أخرى فهي تقع في منتصف الطريق بين تاهرت والمسيلة، وبالرغم من وعورة موقعها وصعوبة الوصول إليها فقد أصبحت من أهم مدن المغرب الأوسط بل ضاهت تاهرت والمسيلة، وغدت شبه إمارة مستقلة حيث ضرب زيري بها السكة من الذهب والفضة بعدما كان الناس يتعاملون بالبقر والشاه، ونتيجة لذلك اطمأنت نفوس الناس إليها، وهجر إليها العلماء الفقهاء والتجار.

اتخذ زيري بن مناد هذه المدينة قاعدة لحرب قبائل زناتة التي استطالت على المنطقة، وقد استراح العبيديون لبنائها لأنها ستكون حاجزا بينهم وبين هذه القبائل.

إذا كان بناء هذه المدينة قد حقق نصرا سياسيا وعسكريا لخلفاء المهدية، فإن زيري بدوره قد حصل على مكاسب لا تقل أهمية حيث أضيف إليه عمل تاهرت، ونتيجة لذلك شرع زيري

---

[1]- هاز: إمارة أسسها العلويون من بني سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومن مدنها سوق حمزة التي تنسب إلى حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وتمتد هذه الإمارة من البويرة حاليا إلى المدية: ابن جزم: المصدر السابق –ص55/ اليعقوبي: المصدر السابق –ص191/ابن خلدون: المصدر السابق –مج1-ص1062/ رابح بونار: المرجع الاسبق –ص39-40.

[2]- مجهول: الاستبصار –ص166/ ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج4-ص356/ابن عداري: المصدر السابق –ج1-ص243.

[3]- ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج2-ص165./ البكري: المصدر السابق –ص240/ ابن حوقل: المصدر السابق-ص89/ النويري: المصدر السابق –ص304/ مجهول: المصدر السابق –ص304/ مجهول: المصدر السابق –ص170/ يذكر ابن الأثير أن بلكين بن زيري هو الذي بنى أشير ودلك سنة 364ه/974 م وهو خطأ رغم أنه يقول بعدها: " فلما بنيت سر بذلك القائم " ص1780 / وكما نعلم فإن القائم توفي سنة 334 ه/945 م وإنما قام بلكين بتجديد سورها فقط في التاريخ المذكور.

في بناء مدن جديدة، وهو ما يعتبر انطلاقة لحركة عمرانية حيث أنشأ مدينة مليانة[1] وجزائر بني مزغنة التي أسسها سنة 362 هـ/972 م، والمدية[2]، وقد اختار لكل واحد منها موقعا يختلف عن الأخر، فالأولى على نهر شلف والثانية على ساحل البحر والثالثة غير بعيدة عن أشير.

مدينة بجاية: لما انهزم الناصر بن علناسفي معركة سبيبة وطرق العرب بوادي القلعة وأريافها وهجرها السكان، ارتأى أن يبني مدينة حصينة لا تصل إليها أيدي العرب فاختط مدينة بجاية نسبة إلى قبيل من صنهاجة وذلك سنة 460 هـ /1068 م، وسماها الناصرية، وشجع الناس على سكناها بأن اسقط عنهم المغارم[3].

اعتنى الناصر بهذه المدينة أيما اعتناء فبنى بها القصور والمساجد والحمامات والأسواق، وانشأ بها ميناء تجاريا، وصلت سفنه إلى أقصى الشرق ناهيك عن أوربا والاندلس، وفي ذلك يقول الحميري: " وهي مرسى عظيم تحط فيه السفن من كل جهة"[4].

انعكست الحركة العمرانية على النشاط الاقتصادي سواء التجارة حيث ارتبط المغرب بعلاقات تجارية بواسطة الطرق البحرية عبر ميناء بجاية او بواسطة الطرق البرية مع بلاد السودانو كما انتشرت زراعة النخيل في الواحات و\لك بعدما استقر بها الخوارج الإباضية.

الآثار العمرانية بالمغرب الاقصى:

خلفت إقامة قبائل المغرب الأوسط المهاجرة إلى المغرب الأقصى بعض المدن والقصور، وكنا قد أشرنا سابقا إلى بعضها، أما بالنسبة للمدن فيمكن ان ن\كر مثالين على دلك:

مدينة أصيلا: وهي غربي طنجة على بعد مرحلة منها بناها قوم من كتامة أيام عبد الرحمن بن الحكم بالأندلس (206-238هـ/821-852م) فشيدوا بها مسجدا وسوقا، توسع عمرانها بهجرة الناس إليها من الأندلس والمغرب، وسكن حولها قوم من لواتة وهوارة، ملكها

---

[1]- مليانة: مدينة رومانية قديمة جددها بلكين بن زيري بأمر من والده سنة 355 ه/961 م، وهي مدينة حسنة في سفح جبل زكار تشرف على فحوص واسعة وقرى كثيرة، يشق تلك الفحوص نهر الشلف: البكري: المصدر السابق –ص241/ ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج4-ص318/ الحميري: المصدر السابق –ص547/ ابن حوقل: المصدر السابق –ص89/ الحسن الوازن: المصدر السابق –ج2-ص34-35.

[2]- المدية: مدينة بناها الأفارقة على تخوم نوميديا تحيط بها جداول ماء كثيرة عرفت في العهد الروماني باسم لامبديا LAMBADIA وتنسب إلى قبيلة لمدية الصنهاجية، جدد بنائها بلكين بن زيري: الحسن الوازن: المصدر نفسه –ج2-ص41/ البكري: المصدر السابق–ص247.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1878. Dominique valeran: Bougie Porte Maghrébin- 1967-1510- Ecole Francaise De Rome -2006-P 142.

[4]- الحميري: المصدرن السابق –ص81/ ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج1-ص270/ موسى لقبـــــــال: " تاريخ بجاية " مجلة الأصالة - عدد19- سنة 1974- ص 3-10.

الأدراسة ثم استولى عليها موسى بن أبي العافية سنة 322هـ/933م وبني سورها، ثم غلبه عليها بنو محمد الأدراسة سنة 326هـ/840م[1].

مدينة وجدة: بناها زيري بن عطية المغراوي سنة 384هـ/994م[2]، وأنزلها عساكره وحشمه ودويه ونقل إليها دخيرته فقويت شوكته بها إلى أن فسد ما بينه وبين ابن أبي عامر فعقد على حربه لواضح الصقلبي ووجوه البربر سنة 388هـ/998م، فانهزم زيري إلى الصحراء وأسلم جميع أعماله[2] ، كما أسس المغاربة بعض القصور التي سميت ببطون قبائلهم مثل دنهاجة[3].

الآثار العمرانية بمصر:

ارتحلت أعداد كبيرة من الكتاميين إلى مصر مع المعز لدين الله، ولما كانوا من رجال الدولة وقادة وجند، اكتسبوا نتيجة خدمته ثروة ومال استخدموه في بناء المنازل والقصور [4] ،وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله: "وارتحل معه – المعز لدين الله – كتامة على قبائلهم واستفحلت الدولة هناك وهلكوا في ترفها وبذخها"[5].

لم يؤسس المغاربة المهاجرون في مصر مدنا قائمة كما هو الحال في الأندلس أو في المغرب الأقصى وإنما أنشأوا أحياء سكنية خاصة بهم عرفت بالخطط والحرات[6]، وأقاموا مرافق اجتماعية كالأسواق والحمامات، اتخذت اسمائهم نذكر منها:

سويقة المغاربة: سويقة بالقاهرة مشهورة لها أربعة أبواب[7].

خطة كتامة: اختط المغاربة بعد استقرارهم في القاهرة خطتين، الأولى داخل القاهرة والثانية خارجها خارج باب الخرق[8].

حارة كتامة: وهي المجاورة لحارة الباطلية نسبة لطائفة قيل لهم البطالية[9].

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج1-ص233/ الحميري: المصدر السابق –ص42/ ابن الابار: المصدر السابق –ص71-ص80-81/ ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج1-ص172-173 /موسى لقبال: المرجع السابق –ص137.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص2082-2083/ مجهول: الاستبصار –ص177/ الحميري: المصدر السابق –ص607/ابن ابي زرع: المصدر السابق –ص105/ صالح بن عبد الحليم: المصدر السابق –ص129-133

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1862.

[4]- ينظر مقدمة ابن خلدون عن علاقة الغنى والرفة بالعمران: باب البلدان والأمصار وسائر العمران فصل: في أن تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرفة لأهلها.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1862.

[6]- الخط بالكسر الأرض التي تنزلها ولم ينزلها نازل قبلك، وقد خطها واختطها كل ما خطرته فقد خططت عليه أما الحارة فهي كل محلة دنت منازلهم فهم أهل حارة: الفيروز أبادي – المصدر السابق –ص614-343.

[7]- ابن دقماق:الانتصار بواسطة عقد الامصار – منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – 1839 م قسم 2 –ص32. قد يكون عدد الأبواب هو عدد الأحياءالمجاورة والمؤدية إليها.

[8]- ابن دقماق: المصدر السابق –ص37. قد تكون الأولى خاصة بالمقربين بالخليفة كقادة الجيش والموظفين والثانية خاصة بأفراد الجند والعامة.

[9]- المقريزي: الخطط المقريزية: ج2-ص383.

خط قصر ابن عمار: نسبة إلى أبي محمد الحسن بن علي بن عمار[1] الذي أنشأه بالقاهرة

مدينة المنشية: مدينة بناها الهواريون على ضفة النيل، وهي من عمل اخميم وقد بنوها لما ضايقهم الأعراب.

رغم ما شهده مغرب القرن الرابع هجري من حركة عمرانية كانت في الحقيقة ذات مرام سياسية وأمنية، أكثر منها سياسة تمدينية، إلا أنها ساهمت في بروز حواضر جديدة ستلعب دورا تارخيا وثقافيا فيما بعد، ونفس الأمر ينطبق على فترة المغرب الحمادي حيث ظهرت بجاية ليس كعاصمة إدارية لدولة فقط بل كمدينة اقتصادية ومركز علمي.

نتائج وأثار المغاربة في الأندلس:

1.الآثار السياسية: شكلت القبائل االمغربية المهاجرة إحدى تشكيلات المجتمع الأندلسي ولا سيما طبقة الجند، إلا أن الفتنة التي نشبت أواخر القرن الرابع الهجري وكانوا طرفا فيها ستكون لها انعكاسات على تواجدهم هناك.

وعلى العموم فإن ذلك قد كان له أثارا ونتائج سياسية واجتماعية وعمرانية، وقبل أن نخوض في ذلك لابد أن نخوض في ذلك لابد أن نلمع بطرف من الخبر عن دورهم وعلاقتهم بالفتنة.

أيد البربر سليمان المستعين بالله[2]، وقدموه للخلافـــة وبايعوه بقرطبة في ربيع الأول من سنة 400هـ/1010م لكنه أخرج منها بعد هزيمته في موقعة عقبة البقر[3] أمام جيش محمد المهدي[4]، ولما استولى سليمان على الأمور أخذ يوزع الولايات على أنصاره من زعماء قبائل

---

[1]- الحسن بن عمار: من كبار شيوخ كتامة وأح المقربين من العزيز بالله (365-386 ه/ 975-996م)، شغل وزيرا لديه فخلع عليه سنة 375 ه/975 م وقلده سيفا من سيوفه ولقبه أمين الدولة ولما احتضر أوصاه بابنه الحاكم بأمر الله (386-411 ه/ 996-1021 م) فكان أحد مدبري دولته قتله سنة 390 ه/ 1000 م: المقريزي: المصدر نفسه –ج2-ص444/ ابن خلدون: المصدر نفسه –مج1-ص1089/ ابن الاثير: المصدر السابق – مج2-ص1865/محمد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي الافريقية ومصر وبلاد الشام – دار النفائس – بيروت – ط2-2007-ص260-264.

[2]- المستعين بالله: هو سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر المستعين بالله، قدمته البرابرة عند مقتل عمه هشام بن سليمان بن ناصر القائم على محمد بن هشام بن عبد الجبار، وقدموه خليفة فدخل قرطبة وبويع له بالخلافة للنصف من ربيع الأول سنة 400 ه/1010 م ثم خرج منها في شهر شوال السنة بعد هزيمته أمام المهدي بموضع عقبة لابقر دخل قرطبة ثانية صدر شوال سنة 403 ه/ 1012 م إلى أن قتله علي بن حمود العلوي أخر محرم سنة 407ه /1016 م. تنظر ترجمته في: ابن الأبار: المصدر السابق –ص175/ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق –ص40/ / ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص117/ ابن حزم: المصدر السابق – 102 / ابو الفداء: المختصر في أخبار البشر – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت –د ت – ج2- ص145/ المقري: المصدر السابق –ج1-ص124.

[3]- عقبة البقر: وتسمى كذلك دار البقر وهي حصن بقرب قرطبة على نحو بضعة عشرة ميلا – تسمى حاليا —EL VACARعبد الواحد المراكشي: المصدر السابق –ص40/ اسماعيل العربي: دولة بن زيري –ص30/ مريم قاسم طويل: المرجع السابق –ص90.

[4]- محمد المهدي: هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ولد سنة 366 ه/ 796 م خلع هشام المؤيد سنة 399 ه /1008 م استولى على الخلافة دخل في صراع ضد المستعين بالله، قتله العبيد بقيادة واضح الصقلبي: ابن الابار: المصدر السابق –ص175/ الحميدي: المصدر السابق –ص17/ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق –ص40/ لبن حزم: المصدر السابق –ص100.

البربر فأعطى صنهاجة البيرة[1]، وأعطى مغراوة الجوف[2]، وأعطى بني برزال وبني يفرن جيان[3] وذواتها[4]، وأعطى بني دمر وأزداجة شذونة[5] ومورور [6] وغيرها من الحصون[7].

وهكذا استقل البربر بأعماله وأسسوا دويلات أو ممالك الطوائف على غرار ما أسسه العرب والصقالبة، وفي ذلك يقول ابن خلدون:" لما انتثر ملك الخلافة العربة بالأندلس، وافترقت الجماعة بالجهات وصار ملكها في طوائف من الموالي والوزراء وأعياص الخلافة وكبار العرب والبربر واقتسموا خططها وقام كل واحد بأمر ناحية منها "[8].

ويظهر أن سليمان قام بذلك مكافأة لهم على معاضدتهم إياه، ومن جهة أخرى التخلص من نقل وصايتهم عليه، ويمكن أن نستنتج ذلك من نص ابن عذاري بقوله: " ولما استولى سليمان والبربر على قرطبة كان منهم الحاجب والوزير"[9]، ونص ابن الأثير بقوله: " وكان البربر هم الحاكمين في دولته لا يقدر على خلافتهم لأنهم كانوا عامة جنده، وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه"[10].

دولة ملوك الطوائف: أفرزت الفتنة الأندلسية مجموعة من الدول عرفت في التاريخ بدول الطوائف أو ملوك الطوائف، وهي في الحقيقة عبارة عن إمارات استقل بها أصحابها بعد أن كانوا عمالا عليها، فاستبدوا بها ثم راح يصارع بعضهم بعضا، الأمر الذي أدى على فوضى سياسية استغلها النصارى في الإغارة عليهم وإجبارهم على تسليم المدن والحصون أو دفع الضرائب، فلما اشتد كلب النصارى على جزيرة الأندلس استنجد أمراء الطوائف بالمرابطين فأجاز إليهم يوسف بن تاشفين[11] فغلبهم جميعا على أمرهم، وقد صور عبد الواحد المراكشي هذا

---

[1]- البيرة: كورة كبيرة أسس مدينتها عبد الرحمن بن معاوية وهي بين القبلة والشرق من قرطبة بينهما تسعون ميلا، خربت أثناء الفتنة فانتقل أهلها إلى غرناطة: مجهول: تاريخ الاندلس –ص124-126/ الحميري: المصدر السابق ص28/ياقوت الحموي –مج1-ص196/ ابن الوردي: المصدر السابق –ص34.

[2]- الجوف: جنوب غربي قرطبة من مدينة أكشونية. ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج1-ص193-مج2-ص95.

[3]- جبان: مدينة أولية شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا تتصل بكورة البيرة مائلة عنها إلى ناحية الجوف، وتتصل كورتها كذلك بكورة تدمير وكورة طليطلة: مجهول: المصدر السابق –ص91/ ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج2-ص100/ اليعقوبي: المصدر السابق – ص194/ الحميري: المصدر السابق –ص183-184.

[4]- ابن عذاري المصدر السابق –ج3-ص113.

[5]- شذوذة: مدينة أزلية كانت من قواعد الاندلس كورتها متصلة بكورة مورور، وهي جامعة لخيرات البرو البحر، لها واديان وادي قرطانة ووادي لكة يلتقيان بقرية قلسانة، ولشذوذة مدن كثيرة أهمها شريش ومن حصونها أركش: مجهول: المصدر نفسه –ص115-118/

[6]- مورور: من كور الاندلس تتصل أعمالها بأعمال قرمونة، وهي عن قرطبة بين الغرب والقبلة على نحو ستين ميلا، وهي كثيرة الزيتون والفواكه: ثاقوت الحموي: المصدر السابق–مج4-ص338/ الحميري: المصدر السابق –ص469-564.

[7]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص113

[8]- ابن خلدون: المصدر السابق–مج1-ص1161.

[9]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص114.

[10]- ابن الأثير: المصدر السابق –مج2-ص1911.

[11]- عبد الله بن بلكين: ص97-ص103-ص121/ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق –ص97-98.

الواقع بقوله:" ولم يزالوا كذلك وأحوال الندلس تضعف وثغورها تحتل ومجاوروها من الروم تشتد أطماعهم ويقوى تشوفهم إلى أن جمع الله الكلمة ورأب الصدع ونظم الشمل وحسم الخلاف وأعز الدين وأعلى كلمة الإسلام وقطع طمع العدو"[1].

سنقتصر في هذا البحث على الممالك التي أقامها بربر المغرب الأوسط مع التركيز على ثلاث إمارات كان لها دورا بارزا في تاريخ الأندلس وهي:

دولة بني برزال: لما هاجمت الفتنة بالأندلس وقام كل واحد بأمر ناحية استبد بنو برزال بزعامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي بمدينة قرمونة[2]، التي كان كان واليا بها منذ عهد هشام،بويع له بها سنة 404هـ/1013م[3] ثم بايعه أهل استجة[4].

و اشبونة[5] والمدور إلى أن فسد ما بينه وبين أبي القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد فأغزاه بابنه إسماعيل (المعتضد) الذي قتله سنة 434هـ/1042م[6]، ثم ولي بعده ابنه عزيز بن محمد (المستظهر) الذي سار على نهج والده في الإحسان إلى الرعية لكن أطماع بني عباد في مدينتهم جرت عليهم الحروب والغارات، فلم يزل المعتضد يضايقه إلى أن توفي سنة 459هـ/1066م فاستولى على مدينته قرمونة[7]، وهكذا انقرضت هذه الدول بعد بضع وخمسين سنة.

دولة بني زيري: بعد أن أصبحت البيرة وجيان من كمنصب صنهاجة، ارتأى زعيمها زاوي ان يرتحل إلى مكان حصين لما رأى تألب الثوار عليهم فوقعت أعينهم على بسيط جمع الأنهار والأشجار فبنوا مدينة غرناطة، ولما بويع علي بن حمود الحسيني سنة 407هـ/1016م بعد ان أخرج كتابة نسبة إلى هشام بن الحكم يقول له فيه:" أنقذني من اسر البربر والمستعين وأنت ولي عهدي"[8]، فوافقه على ذلك خيران العامري وصنهاجة.

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق –ص71

[2]- قرمونة: وتسمى قرمونية وهي مدينة في الشرق من اشبيلية وغربي قرطبة بينها وبين استجة خمسة واربعون ميلا وهي مدينة قديمة معناها باللسان اللاتيني – كارب مويه – معناها صديقي افتتحها عبد الرحمن بن محمد سنة خمسة وثلاثمائة / الحميري: المصدر السابق –ص461.

*[3]- ابن عذاري: المصدر السابق ج3-ص206-ص311

[4]- استجه: مدينة قديمة بين القبلة والمغرب من قرطبة بينهما مرحلة وهي من قواعد الاندلس على نهر شنيل (أو سنجل وهو نهر غرناطة) لها أعمال كثيرة ما بين حصون وقرى وكان أهل أستجة ممن خلع وخالف فافتتحها عبد الرحمنبن محمد: الحميري: المصدر نفسه –ص53.

[5]- اشبونة: وتسمى لشبونة وهي مدينة قديمة على البحر المحيط ممتدة على نهر باجة وهي بغربية: مجهول: تاريخ الاندلس –ص97/الحميري: المصدر السابق –ص61

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج1-ص1161.

[7]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص312/ ابن خلدون: المصدر نفسه –مج1-ص1162

[8]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص116.

بعد مقتل علي بن حمود لسنة من بيعته زحف المرتضى[1] وجمع أكثر أمراء الطوائف متجها نحو قرطبة، وبعد قتال زاوي صاحب غرناطة انهزم المرتضى وأصحابه، ورغم هذا الانتصار الذي حققه زاوي إلا أن مقامه لم يطل بالأندلس فعاد إلى افريقية سنة 410هـ/1019م[2] على الأرجح، إلا أن هناك تساؤلا يمكن أن يطرح بخصوص عودة زاوي وهو فعلا كان سبب ارتحاله من تألب أهل الأندلس عليه حسب الكلمة التي ألقاها في أنصاره، وحسب ما صرح به عبد الله بن بلكين: " وإن زاوي ابن زيري لما بصر بهذه الحال ورأى تألب أهل الأندلس عليهم وبغضهم لهم عمل بذلك فكرته"[3] وهو ما ذهب إليه ابن عذاري بقوله:" ولهول ما عاينه زاوي من اقتدار أهل الأندلس في أيام تلك الحروب وجعاجعهم[4] به وإشرافهم على التغلب عليه هان سلطانه عنده بالأندلس"[5].

أما ابن خلدون فيرى أنه كان بسبب ما قام به البربر من قتل وتخريب عندما قاموا مع سليمان المستعين فخاف من الانتقام حيث يقول:" ثم وقع في نفسه سوء أثار البربر بالأندلس أيام الفتنة، وحذر مغبة ذلك فارتحل إلى سلطان قومه بالقيروان"[6]، أم أن رجوعه كان طمعا في منصب ضمن مملكة المعز ابن باديس التي كان زاوي أحد الثائرين فيها على جده المنصور، وبخاصة بعد أن وجد رأس والده زيري وأزاله عن جدار قرطبة، وأصاره إلى قومه ليدفن مع شلوه في جدثه[7]، وهو ما أفصح به عبد الله بن بلكين عندما يقول:" فنظر من المكان بعين الحقيقة، وزهد فيه مع علمه من وفاة باديس المنصور والد المعز ملك القيروان وان ابنه ولي طفلا صغيرا فشرهت نفسه إلى تلك الولاية"[8].

ومهما يكن السبب الداعي لعودة زاوي فإن دولتهم استمرت في غرناطة على يد حبوس بن ماكسن[9] الذي اتسعت المملكة في عهده إلى مدن جيان وقبرة[10]، وقد وصفه ابن خلدون بأنه

---

[1]- المرتضى: هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، قام شرق الاندلس سنة 407ه/1016م حيث ولاه العبيد العامريون ضد علي بن حمود الادريسي: ابن عذاري: المصدر نفسه –ج3-ص121.

[2]- عبد الله بن بلكين: المصدر السابق –ص61/ ابن عذاري: المصدر نفسه –ج1-ص269-ج3-ص125-129./ مريم قاسم طويل: المرجع نفسه ص99 وما بعدها.

[3]- عبد الله بن بلكين: المصدر السابق –ص63

[4]- الجعجاع: معركة الحرب، وصوت الرحى، وأصوات الجمال إذا اجتمعت: الفيروز أبادي: المصدر االسابق ص658.

[5]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص128.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج1-ص1164-مج2-ص1881.

[7]- المصدر نفسه –ج2-ص1881/ ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص129.

[8]- عبد الله بن بلكين: المصدر السابق –ص63.

[9]- ابن الخطيب: المصدر السابق – مج1-ص 146/ ابن خلدون: المصدر نفسه –مج1-ص 1164/ مج 2-ص 1881/ / ابن عذاري: ج3-ص 264.

[10]- قبرة: تتصل كورتها بأعمال قرطبة بينها وبين قرطبة ثلاثين ميلا تشتمل على مدن كثيرة: ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج4-ص17/ الحميري: المصدر السابق –ص453/ابن عذاري: المصدر نفسه –ج3-ص264.

أعظم ملوك الطوائف[1]، حيث استطاع أن يحافظ على مملكته من عواصف الفتن، وبعد وفاته سنة 428هـ/1037م أو 429هـ/1038م[2] تولى بعده ابنه باديس المظفر الذي دافع عن إرث أبيه من طمع جيرانهم فقد أبطل زحف زهير العامري على غرناطة[3] سنة 429هـ/1037م وأحبط مؤامرة حاكها ضده يدير ابن عمه حباسة بن ماكسن على العرش[4].

لم يتسمى الزيريون بالخلفاء بل حافظو على لقب الحجابة[5]، وظلوا على ولائهم للأدراسة الحموديين، فقد كان باديس ضمن رؤساء البربر الذين بايعوا محمد ابن القاسم بن حمود الحسني سنة 439هـ/1047م وقدموه للخلافة[6] بالجزيرة الخضراء[7].

والحقيقة أن ولاء بني زيري للحموديين لم يستمر طويلا ففي سنة 449هـ/1057 زحف باديس بن حبوس على مالقة، وخلع محمد بن إدريس (المستعلي) بن يحي (العالي) وضم المدينة إلى مملكته وولى عليها ابنه المعز[8].

بعد وفاة باديس سنة 467هـ/1074م خلفه حفيده أبو محمد عبد الله بن بلكين فعقد لأخيه على مالقة[9] التي استقام أمرها، ولكن الضغوط الرهيبة التي تعرضت لها مملكة الأخوين من طرف بني عباد وملوك النصارى جعلتها مهددة بالزوال إلى أن ملك المرابطون الأندلس سنة 483هـ/1090م فخلعاهما ونفاهما إلى العدوة[10]، وانزل عبد الله بأغمات[11]، وبعث أخاه تميما نول لمطة[12]، ثم جمع بينهما فيما بعد بمدينة مراكش مع حريمهما وأولادهما.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1881

[2]- المصدر السابق مج1ص1164، مج2ص1181/ ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص191/ ابن الوردي: تتمة المختصر –ج2-ص8.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص166و ما بعدها / ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1881/ عبد الله بن بلكين المصدر السابق – ص70.

[4]- المصدر السابق: ص65-68.

[5]- ابن عذاري: المصدر السابق –ص218 يختلف لقب الحجاية على عهد المنصور بن أبي عامر وفي عصر الطوائف.

[6]- ابن عذاري: المصدر السابق –ص229/عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ص55/ ابن خلدون: المصدر السابق –مج1-ص1160.

[7]- الجزيرة الخضراء: وتسمى كذلك الخضراء، وهي مدينة مشهورة بالاندلس نزلها طارق بن زياد عند الفتح، وهي على ربوة مشرفة على البحر، يقابلها من بر العدوة مدينة سبتة، وعرض البحر بينها وبين سبتة خمسة وخمسون فرسخا وهي على نهر برباط: ياقوت الحموي: المصدر السابق – مج2-ص55/ الحميري: المصدر السابق –ص223/ ابن الوردي: جريدة العجائب –ص30/ مجهول: تاريخ الاندلس –ص122.

[8]- عبد الله بن بلكين: المصدر السابق –ص76/ ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص266/ ابن خلدون: المصدر السابق – مج 1-ص1160/ النويري: المصدر السابق –ص 171.

[9]- مالقة: من أعمال رية وهي مدينة كبيرة واسعة الأقطار عامرة الديار وهي على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، منها إلى شذوذة ثمانية وعشرون ميلا: ثاقوت الحموي: المصدر السابق –مج4-ص197/ الحميري: المصدر السابق –ص517/ ابن الوردي: خريبة العجائب – ص34.

[10]- عبد الله بن بلكين: المصدر السابق –مج1-ص164 وما بعدها / ابن سماك العاملي: المصدر السابق –ص132/ ابن خلدون: المصدر السابق – مج1ص1164-مج2-ص1181/ صالح بن عبد الحليم: المصدر السابق –ص146/ ابن الخطيب: المصدر السابق –ص146.

[11]- أغمات: نواحي مراكش وهما مدينتان إحداهما تسمى أغمات وريكة أو أوريكة وهي مدينة عظيمة في ذيل جبل كثيرة الأشجار والثمار والثانية أغمات هيلانة أو إيلانة وهي مدينة كبيرة في أسفل الجبل يسكنها يهود تلك البلاد، بينهما نحو ثمانية أميال: ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج1-ص181/ الحميري: المصدر السابق –ص46/ مجهول: الاستبصار –ص207/ ابن الوردي: المصدر السابق -ص29/ ابن الاثير: المصدر السابق – مج1-ص2147.

[12]- لمطة: من بلاد السوس الأقصى، وهي في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، بينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة وهي مشهورة بالدرق اللمطية التي يقاتل بها أهل المغرب لحصانتها وخفة محملها: الحميري: المصدر السابق –ص584.

- **دولة بني يفرن:** لما افترقت الجماعة وانتثرت سلك الخلافة على إثر الفتنة المبيرة استقل أبو نور هلال بن أبي قرة بن دوناس اليفرني بمن معه من قومه بمدينة رندة التي بويع له بها سنة 406هـ/1015م[1]، وقد توسعت هذه المملكة لتشمل بلاد رية[2] وشذونة وشذونة ومورور،وأقلقت هذه التوسعات ابن عباد صاحب اشبيلية فراح يدبر له المكائد فاستدرجه رفقة محمد بن نوح الدمري صاحـــب كورة مورور وعبدون بن خزرون صاحب أركش فسجنهم ثم تحيل في قتلهم[3].

بعد مقتل أبي نور بويع لابنه أبي نصر فتوح أواخر سنة 449هـ/1105م الذي خطب له على منبر مالقة وسائر صقع رندة، وقد كان عادلا محسنا لرعيته وهو ما أزعج المعتضد بن عباد خشية مزاحمته فحاك ضده المؤامرات إلى أن قتل سنة 457هـ/1064م من طرف أحد رعاياه يقال له ابن يعقوب[4] حسب رواية ابن عذاري،وسنة 459هـ/1066م حسب رواية ابن خلدون حيث غدر به أحد جنوده[5].

إذا كانت القبائل البربرية قد هاجرت إلى الأندلس لظروف سياسية وامنية أو مذهبية أو اقتصادية،فإنها سرعان ما اصطدمت بواقع سياسي مضطرب،اضطرت معه إلى ركوب أمواجه، وولوج باب تلك الصراعات، التي لم تكن اقل وقعا عليهم مما عاشوه في موطنهم.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق–مج2-ص2076/ ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص270/ ص312/ صالح بن عبد الحليم: المصدر السابق– ص48/ مجهول: تاريخ الأندلس –ص115.

[2]- رية: كورة واسعة متصلة بالجزيرة الخضراء، وهي قبلي قرطبة لها حصون ومدن: ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج2-ص457/ الحميري: المصدر نفسه –ص279.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق–مج3-ص271-272/ ابن خلدون: المصدر السابق –مج1-ص1162، مج 2-ص2071

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج3-ص414.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج1-ص1162.

❖ الآثار الاجتماعية والعمرانية بالأندلس:

كان للمهاجرين البربر في الأندلس عبر ما يقارب قرنين من الزمن أثارا مادية تمثلت بالخصوص في المدن سواء التي ساهموا في تشييدها أو تعميرها قبل الفتنة أو التي أنشأوها لأنفسهم بعد الفتنة، وسنذكر مدينتين كنموذج على ذلك:

- **مدينة الزاهرة:** بناها محمد بن أبي عامر بين سنوات 368-370هـ/978-980م قريبا من قرطبة، وقد ازاد عمرانها لما سكنها ونقل إليها رجال الدولة من القواد والكتاب والوزراء والحجاب، فأصبحت العاصمة الإدارية للأندلس فكثرت بحوزتها العمارة[1] حتى اتصلت أريافها بقرطبة، واحتشد إليها الناس من كل الأقطار، ولاشك أن البربر قد نزلوا بها على ابن أبي عامر بعد أن أصبحوا خاصته وبطانته.

مدينة غرناطة: وهي إحدى مدن كورة البيرة بينهما ستة أميال، كانت قبل الفتنة عبارة عن قرية صغيرة يسكنها اليهود،وقيل أن اسمها بالأعجمي Granada

أي الرمان لكثرته بها وقيل إغرناطة، ولما خربت البيرة أثناء الفتنة انتقل إليها سكانها، وقد شرع زاوي في بنائها وتحصينها ثم مدنها وحصن أسوارها حبوس بن ماكسن وأكمل تمصيرها باديس بن حبوس، وقد وصفها المقري بأنها أحسن بلاد الأندلس حتى سميت دمشق الأندلس، وقرى غرناطة على ماذكر المؤرخون مائتين وسبعين قرية، وقد كانت هذه المدينة أخر ما سقط من مدن المسلمين في الأندلس وذلك سنة 897هـ/1492م[2].

أما اجتماعيا فقـــد ساهم تدفق أعداد كبيرة من البربر إلى ارتفاع عدد سكـــان الأندلس حيث عرفت بعض المدن توسعا نتيجة ذلك، ففي مدينة قرطبة اضطر محمد بن أبي عامـــر سنة 377هـ/987م إلى الزيادة في مسجد المدينة[3] الذي أصبح يستقبل عددا أكبر من المصلين.

---

[1]- ابن عذاري: المصدر السابق –ج2-ص287/ مجهول: المصدر السابق –ص80-83/ الحميري: المصدر السابق –ص457

[2]- مجهول: تاريخ الاندلس –ص 124-126/ المقري: المصدر السابق –ج1-ص 166/ ياقوت الحموي: المصدر السابق –مج3-ص 383/ الحميري: المصدر السابق – ص 45/ ابن الخطيب: المصدر السابق – ص 99 وما بعدها / ابن الوردي: المصدر السابق – ص34/ مريم قاسم طويال: المرجع السابق –ص 19 وما بعدها.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2-ص 287/ الحميري: المصدر نفسه – ص 457/ مجهول: المصدر السابق – ص 80-83.

الآثار الثقافية لهجرة العرب:

كان لدخول العرب إلى بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة مساهمة فعالة في تعريب اللسان البربري ونشر الثقافة والخلاق العربية كالشجاعة والفروسية والكرم وغيرها، والتي أصبحت من صفاتهم، كما انعكست عملية التعريب على ازدهار الحركة العلمية ولاسيما في الحواضر فبرزت بجاية كمدينة علمية لما ضمته من مدارس ومساجد استقطبت الطلبة والعلماء على حد سواء رغم أن بعض القبائل ظلت على رطانتها لعدم مخالطتها للعرب وانزوائها في الجبال والقرى والمدن البعيدة كواركلا، أو رغبة منها في المحافظة على تراثها الثقافي.

❖ **الآثار الشخصية للهجرة:**

كثيرا ما تكون لبعض الشخصيات المتميزة والفاعلة سواء في الميدان السياسي أو العسكري دورا في تغيير مجرى الأحداث، ولا نريد في هذا المقام دراسة السيرة الذاتية للأشخاص وما أنجزوه، وإنما إعطاء بعض النماذج فيمن كانت هجرتهم سببا لنتائج وأثار اجتماعية، سلبية أو إيجابية، وما دمنا بصدد الحديث عن القبائل فإن رحيل جعفر بن علي[1] وأخيه يحي مع بني برزال إلى الأندلس مكن ذلك بلكين بن زيري من تحقيق انتصار باهر على زناتة، وشتت فيها شماهم فتفرقوا في الأقطار[2].

أما حماد بن بلكين فقد استفاد من جواز عمه زاوي بن زيري وأبناء عمه ماكسن وهما حباسة وحبوس على إثر فشل ثورته ضد باديس بن المنصور إلى الأندلس إلى أن تخلص من أحد المنافسين حيث تمكن بعدها من تأسيس إمارته، وإلا فكيف نفسر معاهدة السلم التي عقدها معهم على الإجازة إلى الأندلس بعد انهزامهم ومقتل ماكسن ’ذ بقوا مدة تزيد عن سنة ينتضرون العبور من ساحل مليانة ؟، أفلم يكن حماد قادرا على حصارهم وقتالهم طوال هذ المدة؟، والظاهر أنه كان يريد التخلص منهم بانفصالهم بعيدا عن المغرب، ونفس الشيئ ينطبق على

---

[1]- جعفر بن علي: كان جده الأكبر عبد الحميد من الطارئين على الأندلس، قدم الشام ونزل بكورة البيرة ثم تنقل حفيده حمدون جد جعفر إلى بجاية ولما ظهر الشيعة العبيديون في المغرب دخل في دعوتهم وبعد وفاته في ثورة أبي يزيد سنة 360ه 954 م تولى ابنه جعفر هذا الدعوة له إلى أن انضم إلى بني خزر، فأجاز معهم إلى الأندلس سنة 360ه/970م رفقة أخيه يحي بعد قتلهم لزيري بن مناد. تراجع ترجمتهما: ابن الابار: المصدر السابق – ص173/ ابن عذاري: المصدر السابق –ج2-ص242 وما بعدها –ص280/ ابن حيان: المصدر السابق –ص22 وما بعدها.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق –مج2-ص1866/ ابن عذاري: المصدر السابق –ج2-ص243/ ابن حيان المصدر السابق –ص26/ ابن الأثير: المصدر السابق –مج2-ص1785/ النويري: المصدر السابق –ص309

القبائل كذلك، فلما هاجرت كتامة مع العبيديين إلى مصر خلفتهم صنهاجة في زعامة المغرب الأوسط وافريقية حيث أسست دولتين لها.

وعلى العموم فإن موجات الهجرة التي شهدتها المنطقة على مستوى الأفراد أو الجماعات، وبخاصة نحو الأندلس لم تتوقف عند سنوات الفتح فحسب، بل تواصل نزوح البربر نحو العدوة الأندلسية إلى ما قبل سقوط عام 897هـ/1492م بشكل عفوي أو منظم وإن اختلف حجم هذه الهجرات حسب الظروف، بعكس العرب الذين توقفت هجراتهم الجماعية نحو الأندلس بانتهاء عصر الولاة تقريبـــــــــا[1].

[1]- اسماعيل العربي:المرجع السابق –ص18.

الخاتمة

يتضح من خلال البحث أن النظام السياسي و الاجتماعي في بلاد المغرب بشكل عام قام على أساس قبلي حيث مثلت هذه الأخيرة محور الأحداث التي عرفتها المنطقة، وكانت لها علاقة بتمركز السكان واستقرارهم و تحركاتهم.

إن ظاهرة الهجرة التي شهدها المغرب الاسلامي كانت أساسا نتيجة الظروف السياسية التي ألمت بالمنطقة مع تأسيس الدولة العبيدية و علاقتها بقبائل المنطقة من جهة و الأمويين من جهة أخرى، وبناء على ما سبق يمكن أن نخرج بمجموعة من الاستنتاجات و الملاحظات.

1. لقد أحدث تأسيس الدولة العبيدية في بلاد المغرب زوبعة أثرت بطريقة مباشرة على قبائله حيث هاجرت قبائل زناتة إلى المغرب الأقصى و أطراف الصحراء و الأندلس.

2. كان المغرب الاسلامي وقبائله منطقة تجاذب من طرف قوتين سياسيتين و مذهبيتين هما الدولة العبيدية ذات المذهب الشيعي الإسماعيلي، والدولة الأموية السنية، وقد جند كل منهما حليفة للوقوف بجانبه وخدمة مصالحه، وهو ما أدخل المنطقة في جو من الصراعات.

3. انقسمت قبائل المغرب إزاء الدولة العبيدية إلى تيارين:تيار مؤيد لها مثلته قبيلتا كتامة وصنهاجة، وتيار معادي انضوت تحت لوائه معظم قبائل زناتة، ويبدوا أن هذه الأخيرة قد دفعت ثمن موقفها حيث كان بنو يفرن و مغراوة و غيرهما محل متابعة و انتقام من طرف خلفاء بني عبيد.

و إذا كان هذا مصير قبائل زناتة، فإن قبائل التيار الأول قد عققت مكاسب مادية وسياسية إذ وظف أفرادها في مناصب سياسية وعسكرية و إدارية في بلاد المغرب ومصر، كما تمكنوا من تأسيس أول دولة مستقلة لهم، والتي أبانت عن بداية بروز الشخصية المعنوية للمغرب الاسلامي حيث تعتبر الدولة الحمادية أول دولة بربرية خالصة امتد نفوذها من منطقة الزاب جنوبا إلى قسنطينة وبونة شمالا، إلى أشير و بجاية و جزائر بني مزغنة.

4. إن من أبرز النتائج التي تمخضت عن تحركات السكان داخل بلاد المغرب هو تغير مواقع انتشار القبائل التي لم تعد في المناطق التقليدية مواطن رسمية لها حيث استقر الكثير منها في مناطق أخرى، وهكذا حدث نوع من الاندماج القبلي و ذوبان العصبية تدريجيا ولاسيما بعد

دخول العرب مع منتصف القرن الخامس الهجري حيث أجبروا القبائل البربرية مغادرة مواطنها الاصلية، وقد ساهم ذلك إلى حد ما في تعمير بعض المناطق الصحراوية و الداخلية.

5. يلاحظ أن معظم الهجرات كانت تتجه نحو الغرب إما داخل بلاد المغرب أو نحو الأندلس، وقد يكون مرد ذلك إلى الظروف السياسية و المذهبية التي ميزت طرفي العالم الإسلامي، فالمشرق كان مهددا من طرف القرامطة، و الخلافة العباسية في بغداد سيطر عليها البويهيون الشيعة، وعليه كانت وجهة أغلب القبائل الأندلس التي كانت تتماشى و توجهاتها المذهبية.

ورغم ما قام به لبربر من أدوار عسكرية و سياسية في الأندلس خلال القرن الرابع هجري إلا أن واقعهم آل إلى أسوء حال خلال القرن الخامس الهجري بسبب الصراعات الطائفية أو نتيجة تكالب الإمارات المسيحية التي شنت حربا ضد المدن الإسلامية، وهكذا لم يكد يحل العقد الأخير من القرن الخامس الهجري حتى انتهت إمارات القبائل المغربية المهاجرة على أيدي بني جلدتهم من قبائل الملثمين أو من الإمارات العربية.

6. مثلت هجرة المغاربة إلى الأندلس بصفة خاصة إحدى حلقات التواصل بين عدوتي الغرب الإسلامي.

ولعل من أهم الملاحظات أو الاستنتاجات التي نلمسها من هذا الموضوع، أن هذه الفترة التاريخية ستكون مرجعية لواقع اجتماعي و ثقافي و جغرافي للمغرب الاسلامي و لسكانه كمثال على ذلك أن معظم البلدان و المدن تعود تسميتها إلى قبائل بربرية أو عربية عاشت و استقرت في المنطقة.

وفي الأخير هذا العمل لا أحسب نفسي أني قد وفيت هذا الموضوع حقه من البحث و التحليل و الدراسة، ولكن اعتبره مساهمة قد تكون فاتحة لمزيد من البحث و التدقيق و الغوص أكثر في جوانبه.

و بالله التوفيق

الملاحق

الرسالة التي بعث بها عبد الملك المظفر بالأندلس إلى المعز بن زيري بن عطية بولاية المغرب

"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد نبيه، من الحاجب المظفر سيف الدولة، دولة الإمام هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقائه، عبد الملك بن منصور بن ابي عامر إلى كافة (أهل) مدينتي فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله أما بعد : أصلح الله شأنكم وسلم أنفسكم وأديانكم " فالحمد لله علام الغيوب وغفار الذنوب ومقلب القلوب، ذي البطش الشديد المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه بل له الملك والأمر (و) بيده الخير والشر، إياه نستعين، وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى أله الطيبين وعلى جميع النبيين والمرسلين، والسلام عليكم أجمعين .

وإن المعز بن زيري بن عطية أكرمه الله تابع لدينا رسله وكتبه متنصلا من هنات دفعته إليها ضرورات ومستغفرا من سيئات حطتها من توبته حسنات، والتوبة محاءة للذنب (الإستغفار) منقذ من التعب، وإذا أذن الله بشيء يسره، وعسى أن تكرهوا شيء ولعل لكم فيه خيرا، وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة وحسن المعونة وخفة المؤونة، فوليناه ما قبلكم، وعهدنا إليه أن يعمل بالعدل فيكم، وأن يرفع عنكم أحكام الجور، وأن يعمر سبلكم، وأن يقبل من محسنكم، ويتجاوز عن مسيئكم إلا في حدود الله تبارك وتعالى، وأشهدنا الله عليه بذلك، وكفى به شهيدا .

وقد وجهنا الوزير أبا محمد علي بن حدلم أكرمه الله وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ ميثاقه، ويؤكد العهد فيه عليه بذلك، " وأمرنا بإحضاركم ذلك " وإشراككم فيه، ونحن بأمركم معتنون ولأحوالكم مطالعون، وأن يقضي فيكم (للأعلى) على الأدنى، ولا يرتضي فيكم من الأذى، فثقوا بذلك واسكنـــــــــــوا إليه . وليمض القاضي أبو عبد الله أكرمه الله أحكامه مشدودا ظهره بنا، معقودا سلطانه بسلطاننا، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فذلك ظننا به إذ

وليناه، واملنا فيه إذ قلدناه، والله المستعان وعليه التكلان، لا إله إلا هو تبلغو منا سلاما طيبا جزيلا ورحمة الله وبركاته والسلام عليكم[1].

و كتب في ذي القعدة من سنة سبع وتسعين وثلاثمائة .

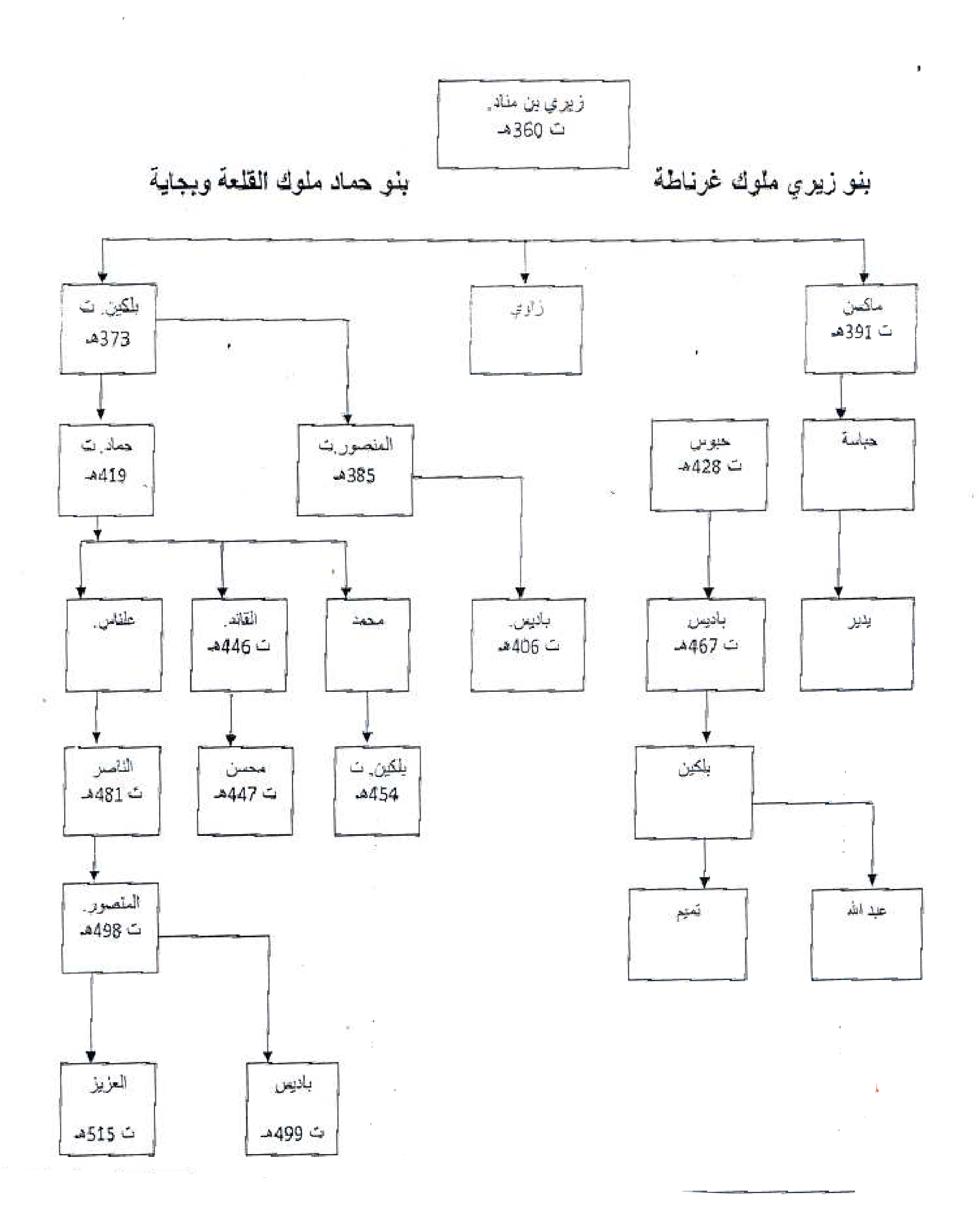
[1]- ابن خلدون : مج2-ص2084/ مفاخر االبربر : ص141-143.

الكلمة التي ألقاها زاوي بن زيري في قومه بالأندلس

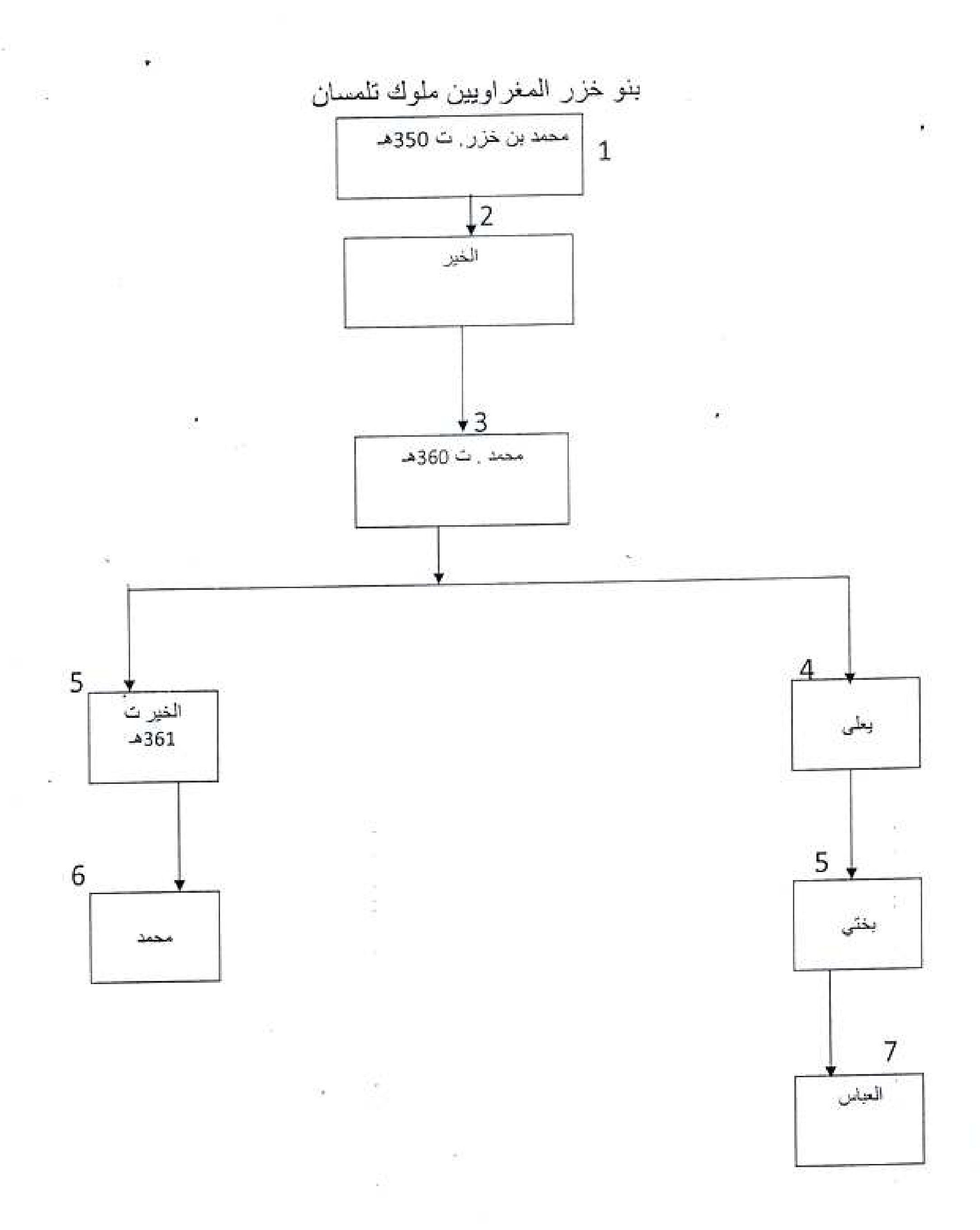
قال زيري بن مناد : كيف رأيتم ما قد خلصنا منه / فقالوا : عظيم، قال : فلا تتناسوه وتغالطوا أنفسكم، إن انهزام من رأيتموه لم يكن عن قوة منا إنما حده مع القضاء غدر ملوكهم لسلطانهم ليهلكوه كما فعلوا فإني رأيت ذلك من يوم نزولهم ولذلك كنت أقوي أنفسكم وقد نجانا الله منهم ومضى القوم ولم يقدموا إلا رئيسهم واستخلافه هين عندهم ولست أمن عودهم جملة إليكم فيما بعد، فلا يكون لنا قوام بهم فالرأي الخروج عن أرضهم، وإغتنام السلامة مع إحراز الغنيمة والرجوع إلى الجملة التي انفصلنا عنها كانفين للعيال والذرية مباعدين لما وراءنا من زناتة أعداءنا الذين لا يغفلون عنا ولا سيما وقد قرفنا قومهم ونبشنا أحقادهم المدفونة بيننا فإن فرغوا لنا على قلة عددنا أو ظاهروا علينا الأندلس وقعنا منهم بين لحيي أسد فاصطلمونا، وها أنا قد أديت لكم النصيحة وأنا راحل عن الأندلس فمن أطاعني فليرحل معي، فلم يساعده أحد من أهل بيته فرحل من المنكب واستوطن ابن أخيه غرناطة بعده وأورثها عقبه[1]

قيلت هذه الكلمة سنة 409هـ/1018 م

[1]- البيان المغرب : ج3-ص129

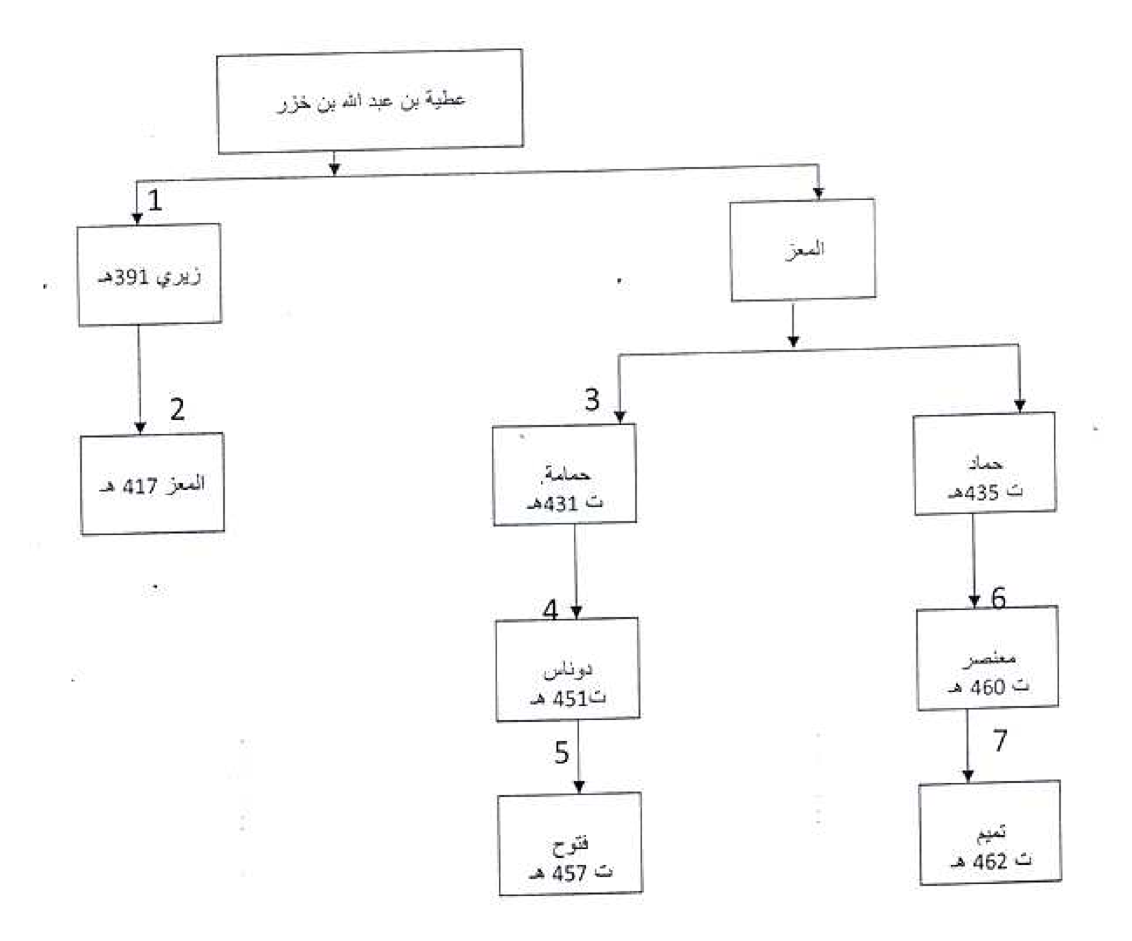


- ابن خلدون : مج2-ص1880-1881-ص2074
- البيان المغرب : ج3 ص263، ج1-ص250
- الاحاطة في أخبار غرناطة : ج1-ص521
- مفاخر البربر : ص106-107
- التبيان : ص57

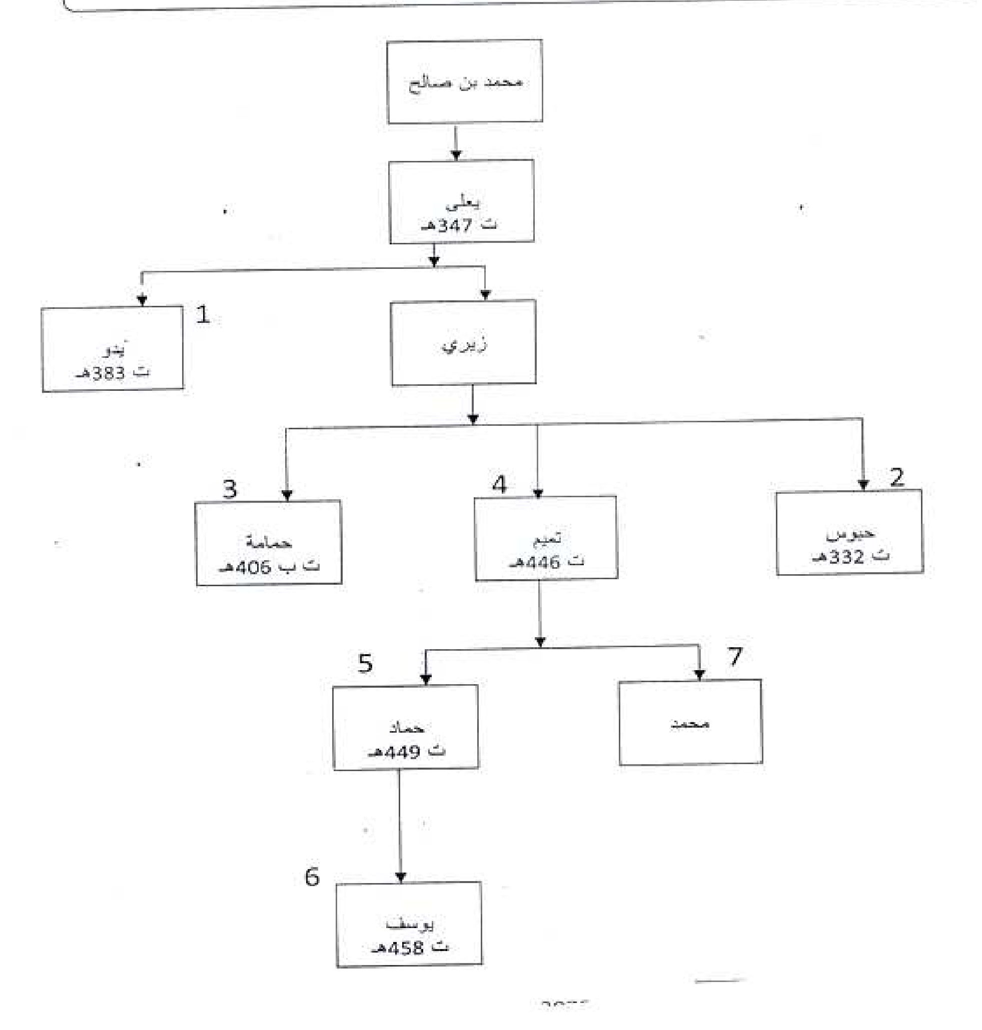


- ابن الأثير : مج2-ص 1785.
- مفاخر البربر : ص106-107

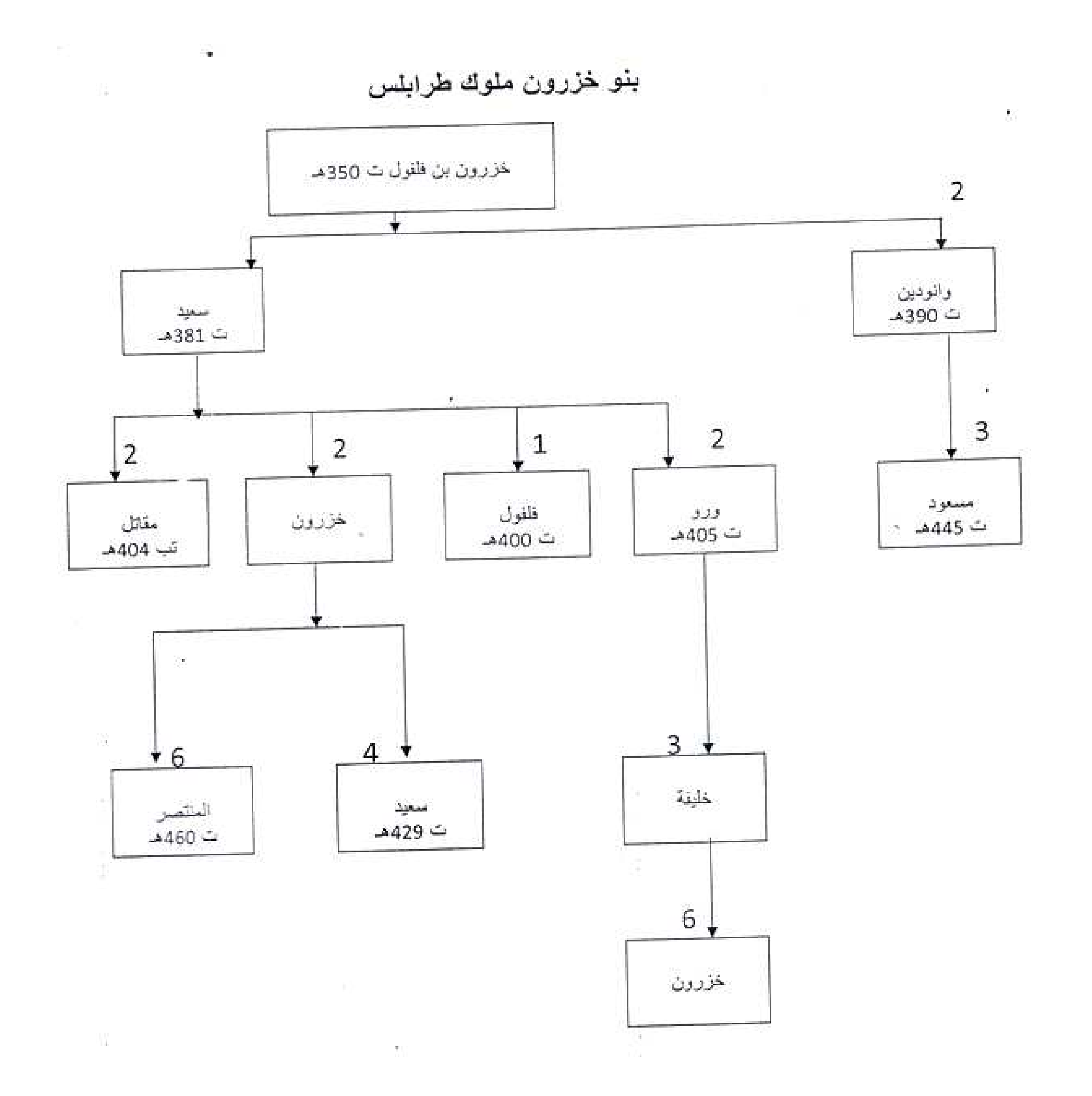
بنو عطية المغراويين ملوك المغرب الأوسط والمغرب الأقصى



- ابن خلدون :مج2-ص1883-ص1080-ص2084-ص2085-ص2090
- مفاخر البربر : ص141-ص143-ص144
- البيان المغرب : ج1-ص253

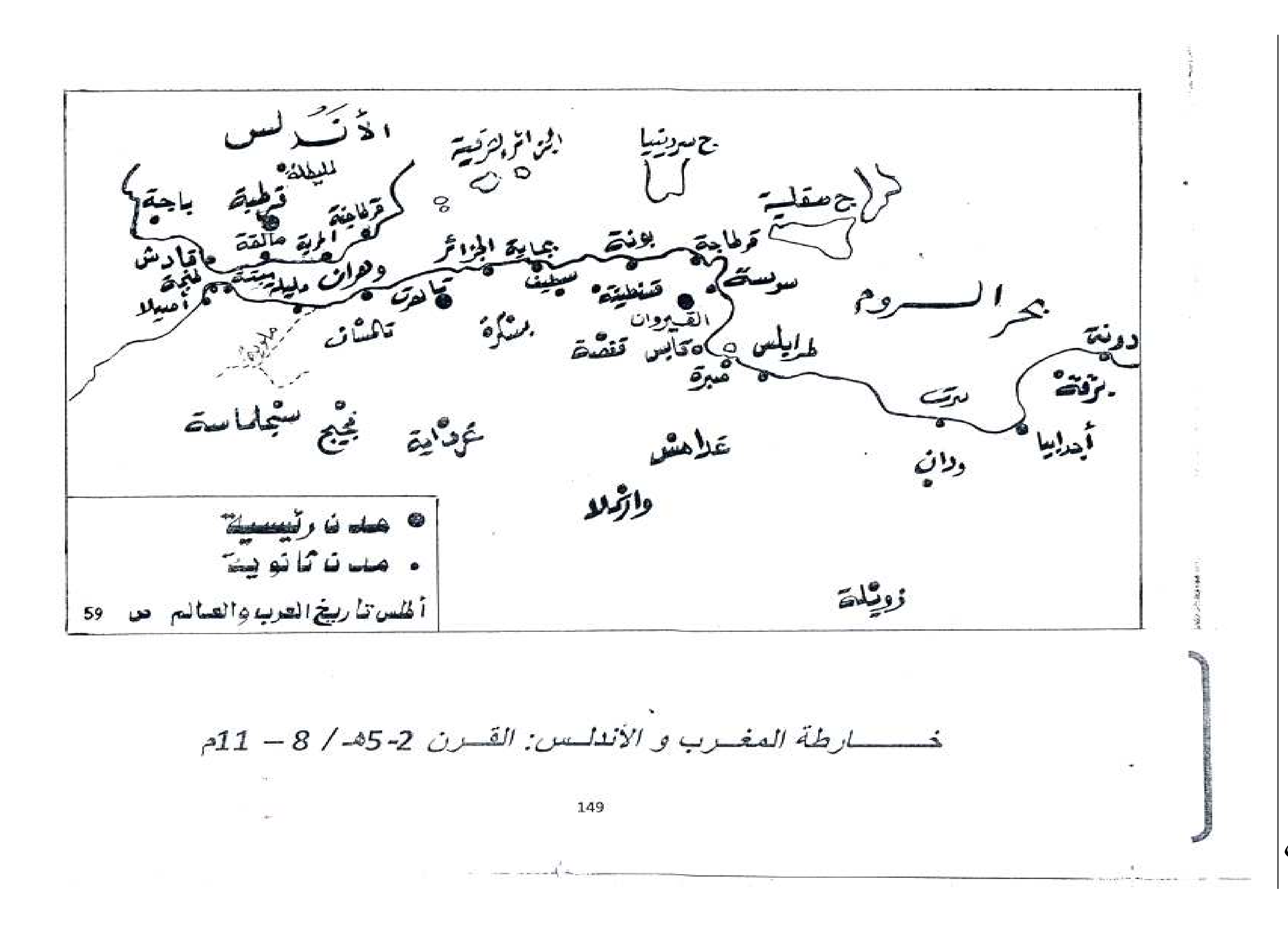


- ابن خلدون :مج1 –ص1072-مج2-ص2074-2075
- رابح بونار : المغرب العربي تاريخه و ثقافته : ص 222-223



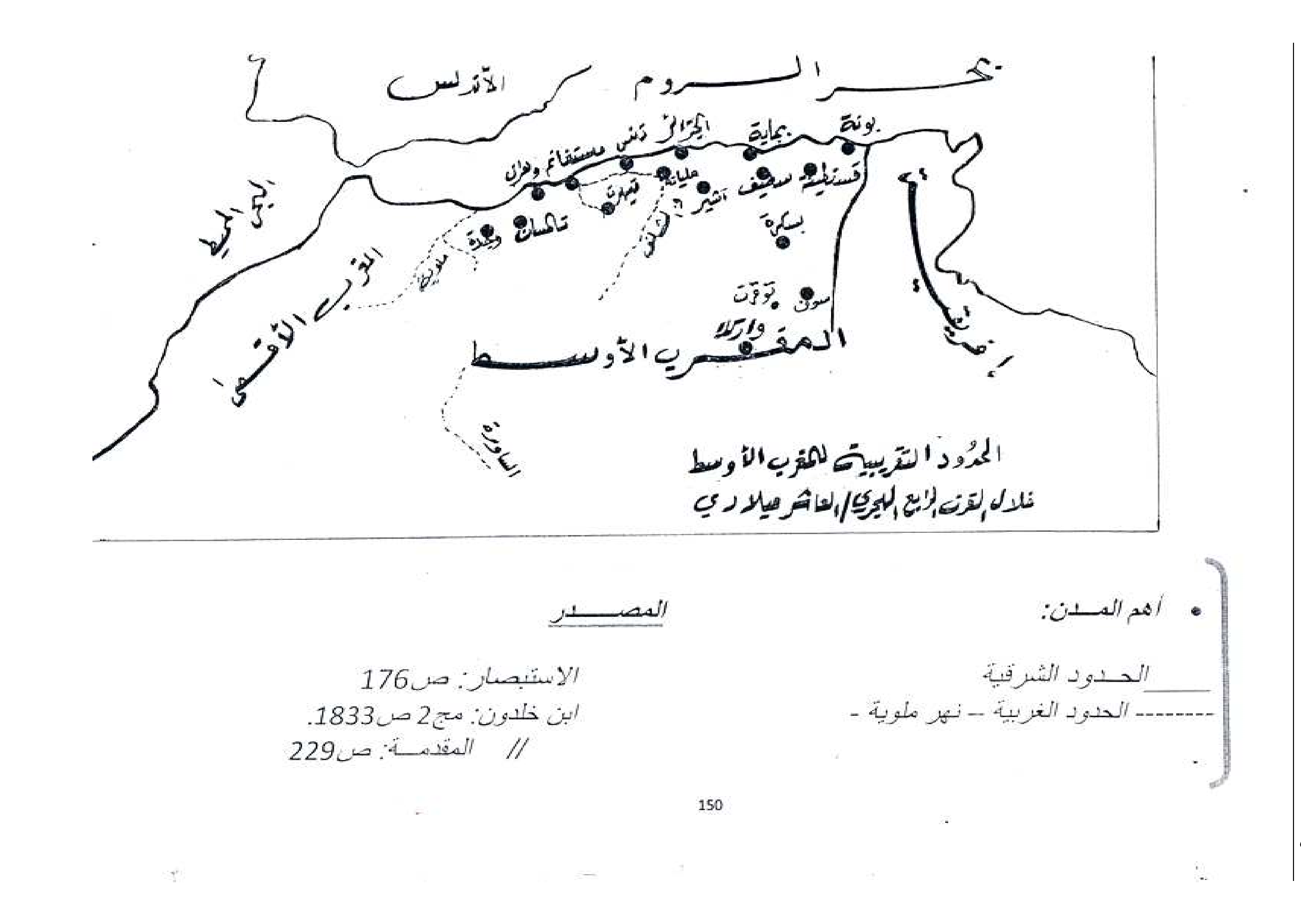
- ابن خلدون :مج2-ص2074-ص2086-ص2087-2088
- ابن الاثير : مج2- ص1803- ص1807
- البيان المغرب : ج1-ص230-ص246-ص251-ص254-ص258.
- مفاخر االبربر :ص117.

الخرائط



خـــارطة المغـرب و الأندلـس: القـرن 2-5هـ/ 8 – 11م

149



- أهم المدن:

____ الحدود الشرقية

-------- الحدود الغربية – نهر ملوية -

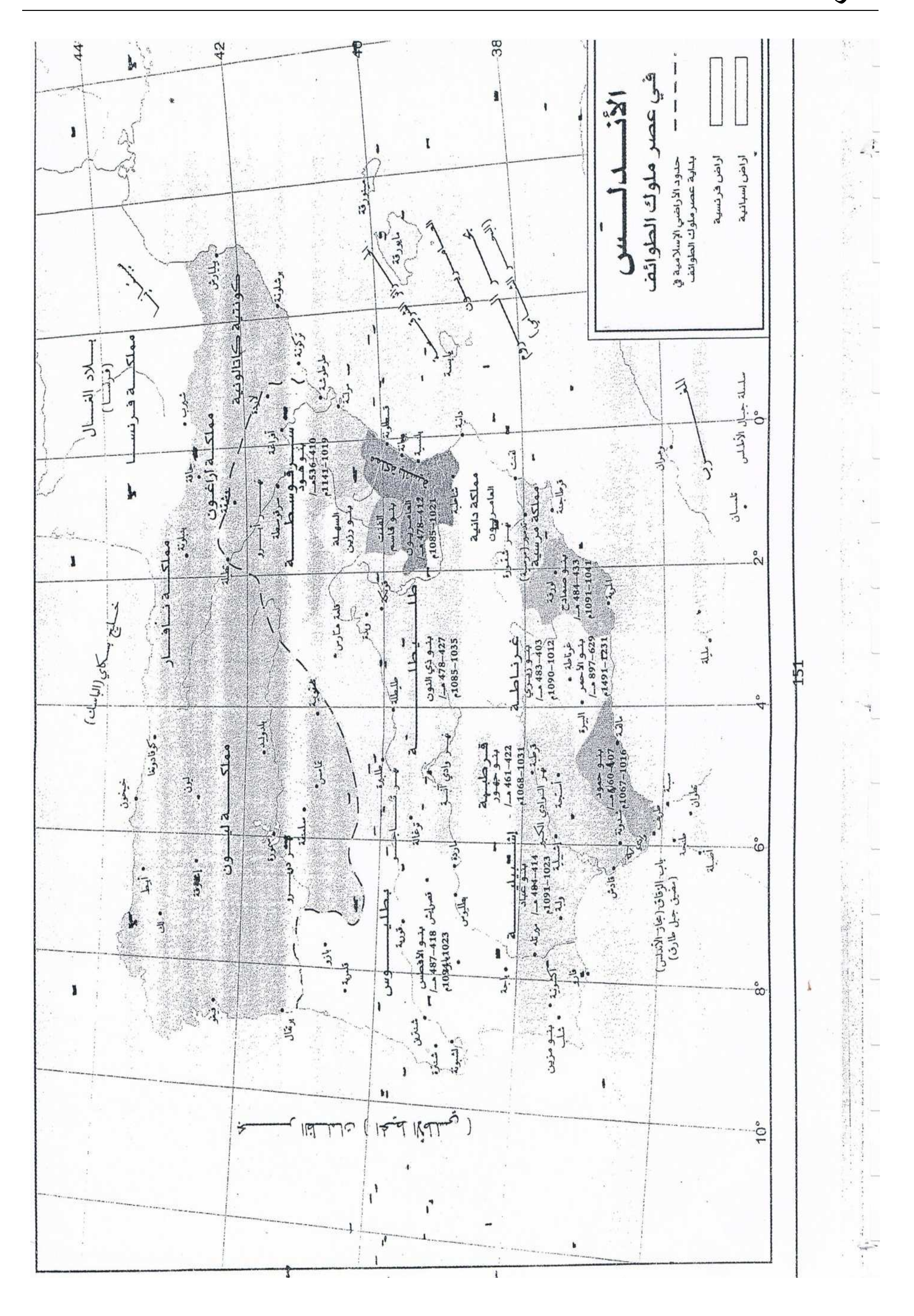
المصدر

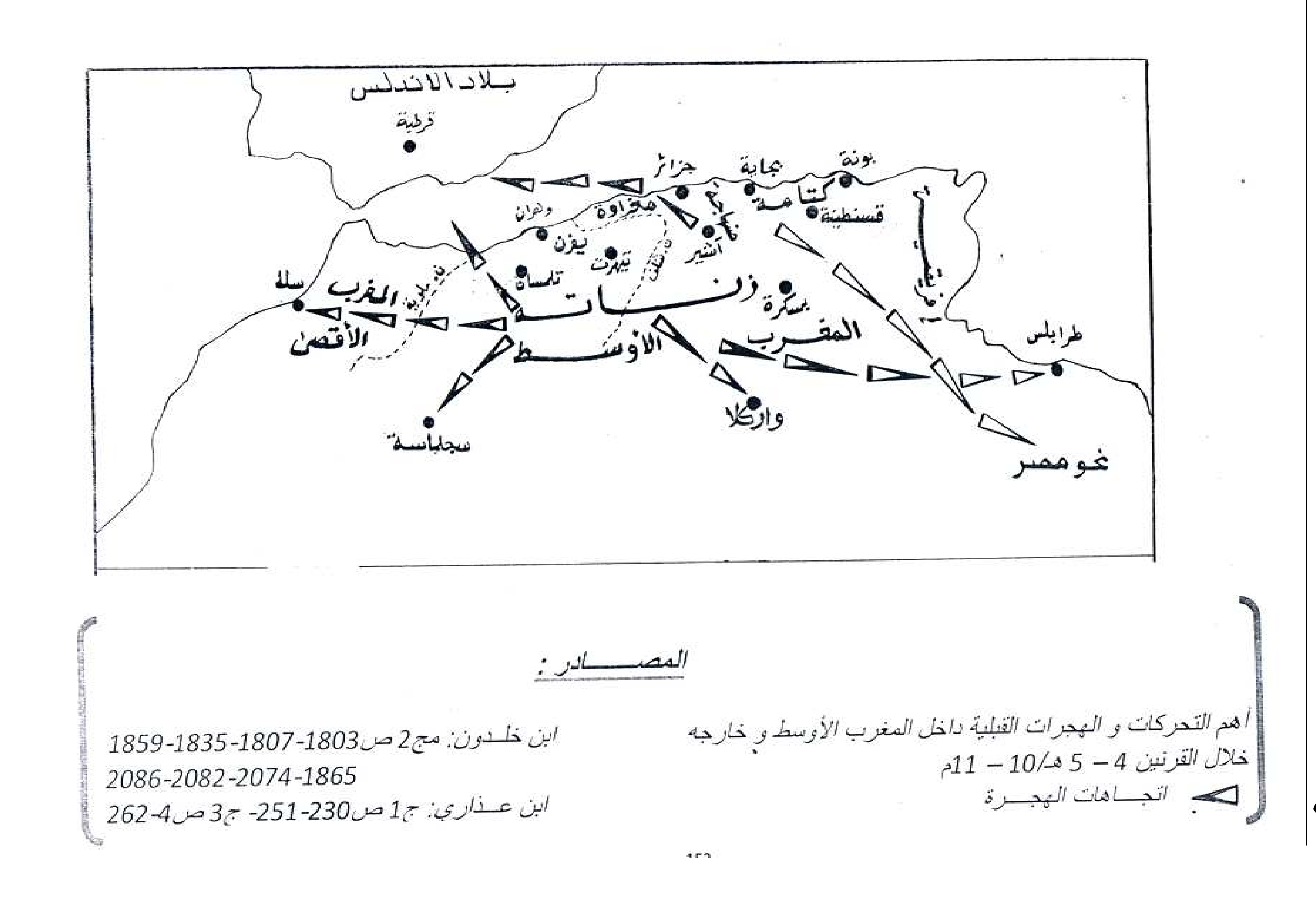
الاستبصار: ص176

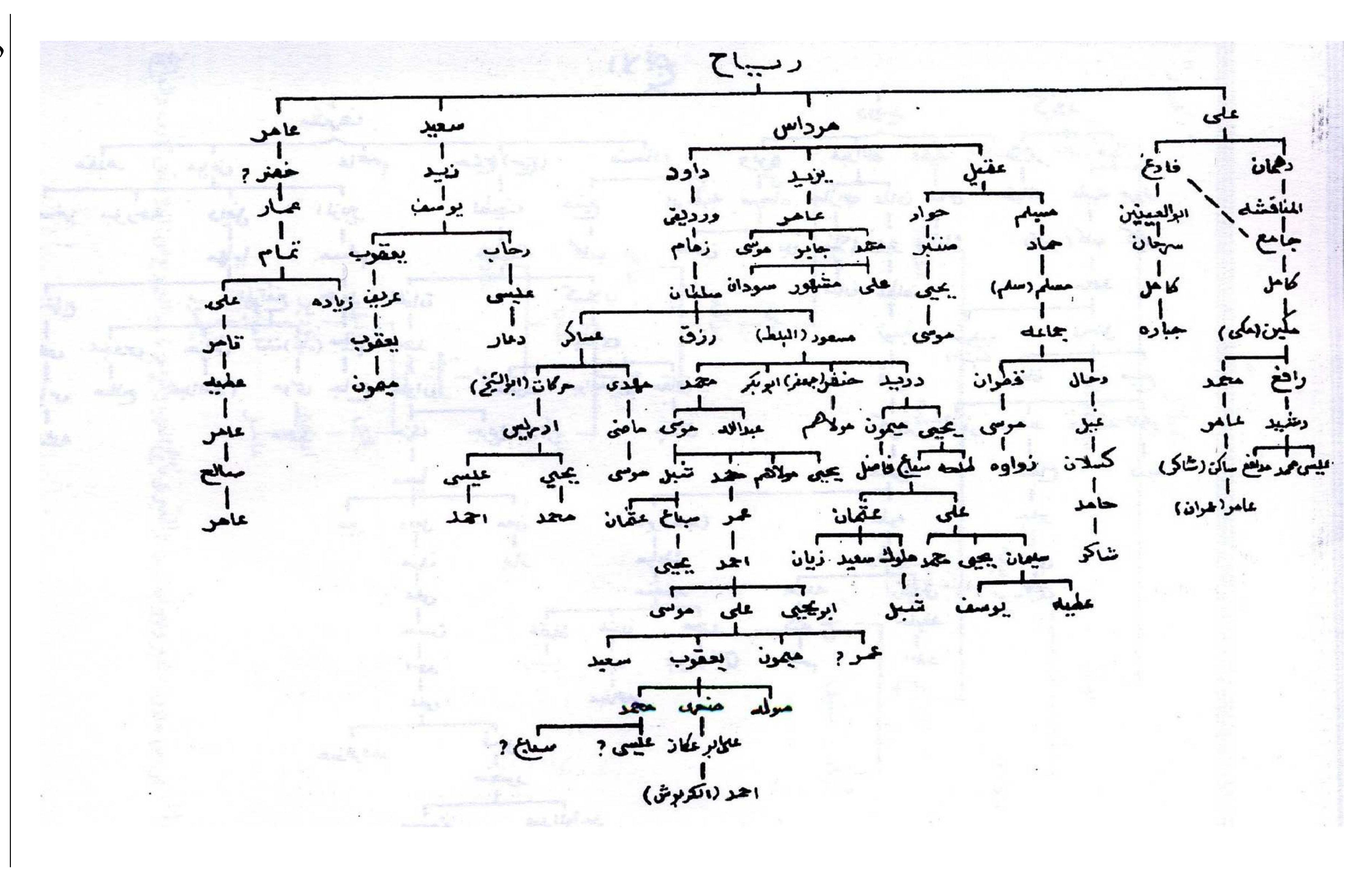
ابن خلدون: مج2 ص1833.

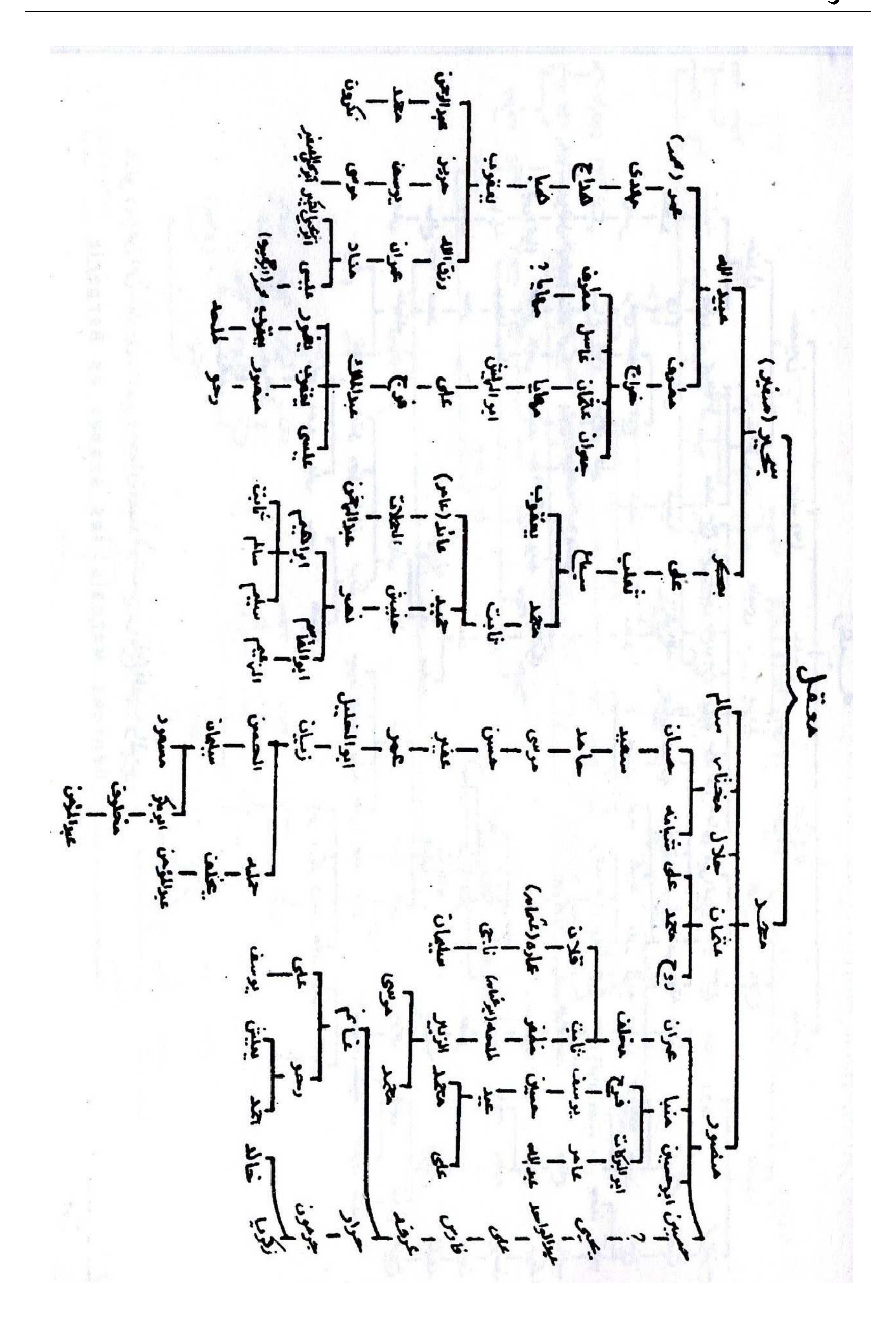
// المقدمة: ص229

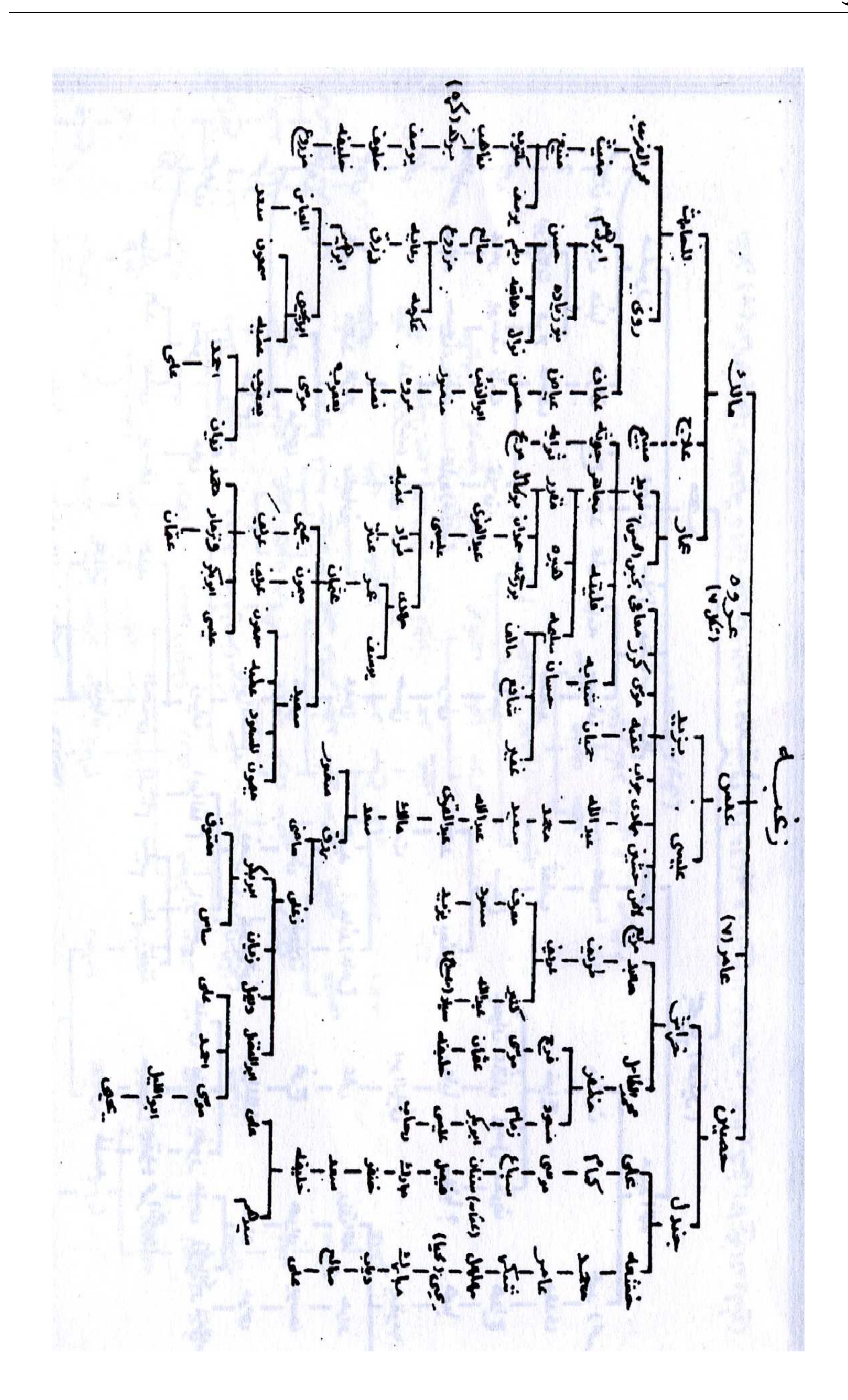
150

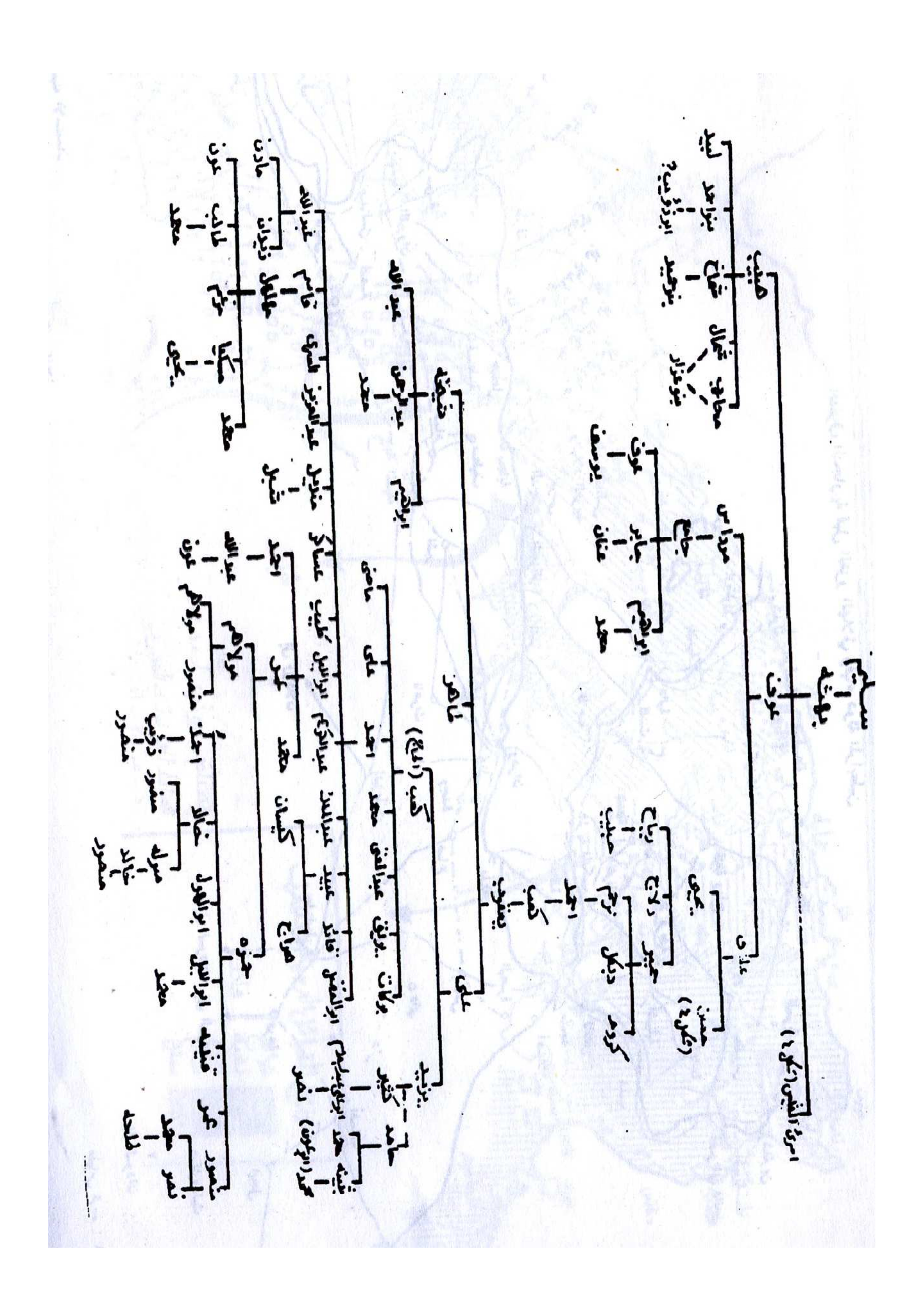

الأندلس
في عصر ملوك الطوائف
حدود الأراضي الإسلامية في بداية عصر ملوك الطوائف
أراضٍ فرنسية
أراضٍ إسبانية

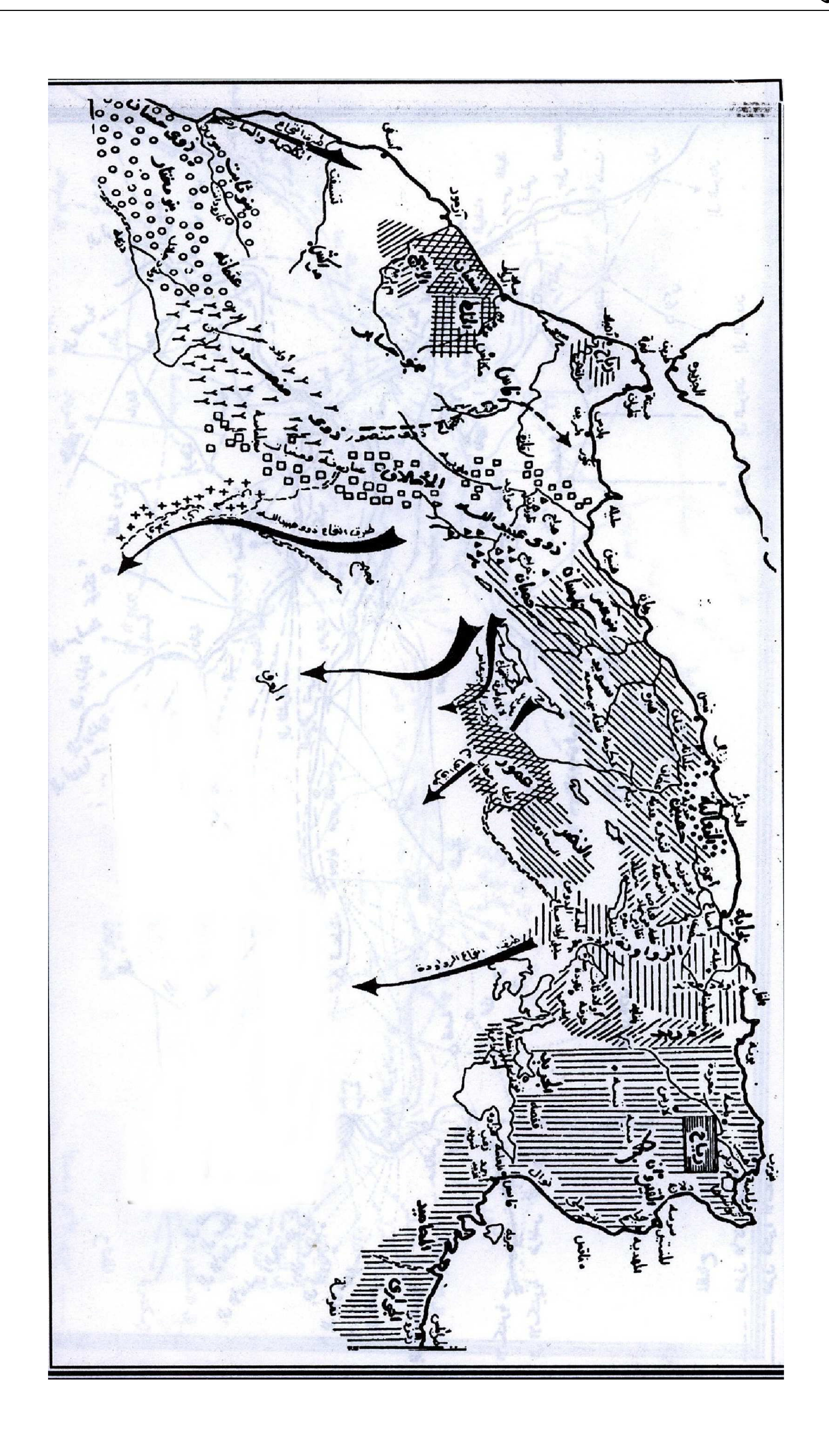

بلاد الاندلس
قرطبة
جزائر
بجابة
بونة
كتامة
قسنطينة
مغراوة
وهران
يفزن
تيهرت
آشير
تلمسان
زناتة
بسكرة
سلا
المغرب الأقصى
المغرب الأوسط
طرابلس
ورگلا
سجلماسة
نحو مصر
المصادر :
ابن خلدون: مج2 ص1803-1807-1835-1859
2086-2082-2074-1865
ابن عذاري: ج1 ص230-251- ج3 ص4-262
أهم التحركات و الهجرات القبلية داخل المغرب الأوسط و خارجه
خلال القرنين 4 – 5 هـ/10 – 11م
اتجاهات الهجرة

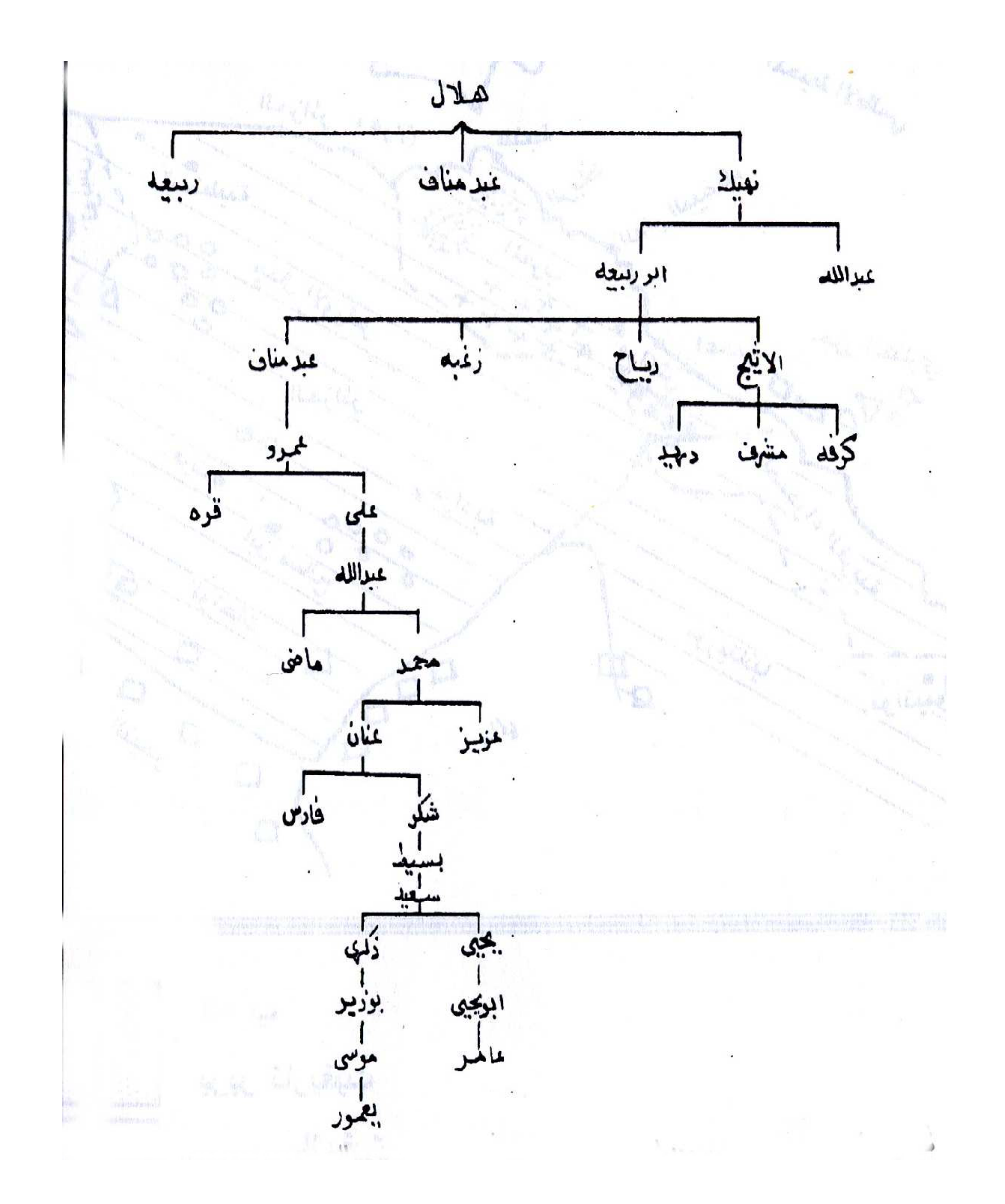

ربـياح
على هرداس سعيد عامر
دهمان فادع عقيل يزيد داود زيد خفير ؟
المناقشه البوالعيينين هيلم حوار عامر ورديق يوسف عمار
جامع سرحان حماد صنبر محمد جابر موسى زمام رحاب يعقوب تمام
كامل كامل مسلم (سلم) يحيى على مشهور سودان سلطان عيسى عريف زياده على
مكين (مكى) جباره جماعه موسى مسعود (البلط) رزق عساكر دعار يعقوب تامر
رافع محمد دحال قطوان دريد حنفر (جعفر) ابوبكر محمد مهدى حركات (البوالزيج) ميمون عطيه
رشيد عامر عبل موسى يحيى ميمون مولاهم عبدالله موسى ماضى ادريس عامر
عيسى محمد موافع ساكن (شاكى) كسلان زواوه لمطه سباح فاضل يحيى مولاهم محمد شبل موسى يحيى عيسى صالح
عامر (عمران) حامد على عثمان عمر صباح عثمان محمد احمد عامر
شاكر سليمان يحيى محمد هلوك سعيد زيان احمد يحيى
عطيه يوسف شبل ابويحيى على موسى
عمر ؟ ميمون يعقوب سعيد
مولله صنحى محمد
علي ابو عكاز عيسى ؟ صباح ؟
احمد (الكربوش)

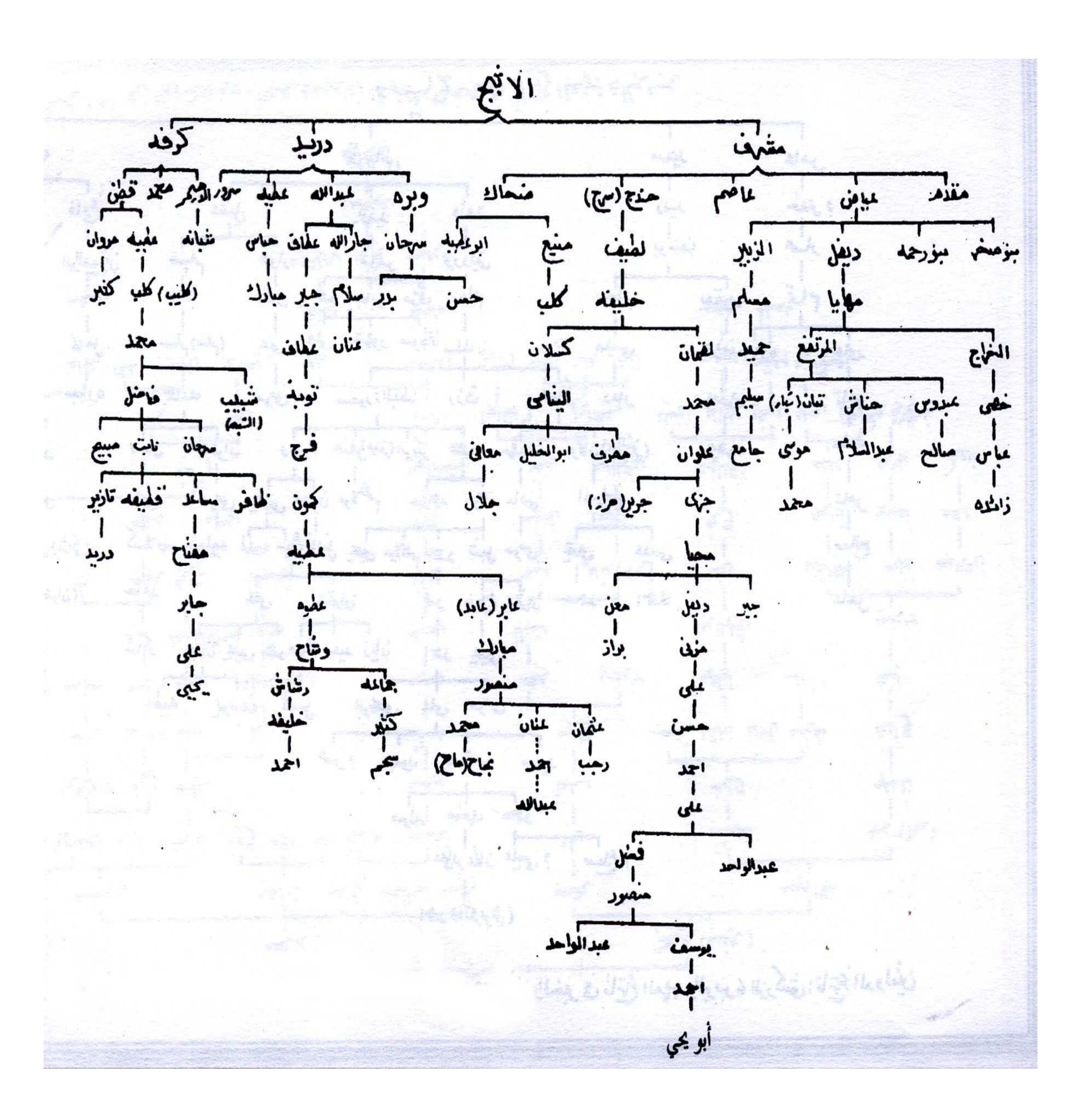









هلال
ربيعه
عبد مناف
نهيك
البر ربيعه
عبدالله
عبد مناف
رغبه
رياح
الاثبج
عمرو
دهيد
مشرف
كرفه
قره
على
عبدالله
ماضى
محمد
عثان
عزيز
فارس
شكر
بسيف
سعيد
ذلى
يحيى
بوزير
البريحيى
موسى
عامر
يعمور



الاثبج
دريد
عياض
عاصم
ضحاك
وبره
عبدالله
عطيه
محمد
لطيف
منيع
سرحان
عباس
جارالله
عطاف
شبانه
مطيه
حروان
خليفه
كلب
حسن
بدر
مبارك
جبر
سلام
كثير
مهايا
مسلم
الزبير
ديفل
كسلان
لقمان
حميد
المرتفع
الخراج
محمد
عطاف
عنان
توبه
الينامى
سليم
حناش
عبدوس
عباس
صالح
عبدالسلام
موسى
جامع
علوان
معافى
ابوالخليل
فرج
جلال
كمون
محمد
زائده
جزى
دريد
مفتاح
مطيه
محيا
جبر
ديفل
معن
عطيه
عابر (عابد)
جابر
مبارك
وشاح
براز
مرزى
على
منصور
رشاش
جماله
على
حسن
خليفه
كثير
محمد
عنان
عثمان
احمد
سجم
رجب
احمد
عبدالله
على
فضل
عبدالواحد
منصور
يوسف
عبدالواحد
احمد
أبو يحي

الفهارس

فهرس القبائل

فهرس الأعلام

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أ – القرأن الكريم .

ب – **البخاري** أبو عبد الله ابن إسمماعيل (ت 256هـ – 870 م) : صحيح البخاري– دار الكتب العلمية –بيروت –ط5– 1428–هـ/2007م.

1– **ابن الابار** : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت 658هـ 1260م) : الحلة السيراء –تحقيق علي ابراهيم محمود – دار الكتب العلمية – ط1 – 1428هـ /2008 م.

2– ابن أبي الفضائل محمد بن مالك (ت 470هـ /1077م) : كشف أسرار الباطنية و و أخبار القرامطة – تحقيق محمد عثمان الخشت – دار الهدى للنشر و الطباعة و التوزيع – الجزائر – 1991 م .

3– **ابن الأثير** أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 630 هـ/ 1233 م) : الكامل في التاريخ اعتنى به محمد العرب – المكتبة العصرية – بيروت – 1430 هـ/ 2009 م.

4– **ابن الأحمر** أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزرجي الأنصاري (ت 807 هـ/ 1404 م) : تاريخ الدولة الزيانية – تحقيق هاني سلامة – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ط1– 1421 هـ /2001 م .

5– **الإدريسي** أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الشريف (ت 558 هـ/ 1163 م) المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق – تحقيق – محمد حاج صادق – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر –1983 م.

6– **ابن بشكوال** أبو الاقسم خلف بن عبد الملك بن منسعود بن موسى (ت 578 هـ/1182 م) كتاب االصلة – تحقيق بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – تونس – ط1– 2010م

7- البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت 729 هـ/ 1037 م) الفرق بين الفرق – عناية و تعليق ابراهيم رمضان – دار المعرفة – بيروت – ط4- 1429هـ /2008 م.

8- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487 هـ/ 1094 م) المسالك و الممالك – تحقيق جمال طلبة – دار الكتبالعلمية – بيروت –ط1-2003م.

9- البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر بن داود (ت 279 هـ/ 892 م) فتوح البلدان – لجنة تحقيق التراث – مكتبة الهلال – بيروت – 1421 هـ /2000 م .

10- البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي(ت 555 هـ/ 1161 م) أخبار المهدي بن تومرت – تحقيق عبد الحميد حاجيات – الشركة للوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1394 هـ/ 1984 م.

11- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (كان حيا سنة 706 هـ/1306م) رحلة التجاني – تقديم حسن حسني عبد الوهاب – نشرية كتاب الدولة للتربية القومية و الشباب و الرياضة – المطبعة الرسمية – تونس -1958م.

12- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد (ت 456 هـ/1064م) : جمهرة أنساب العرب – تحقيق و تعليق عبد السلام هارون – دار المعارف – القاهرة – ط6-1999م.

13- الحسن الوازن بن محمد الفاسي (ت 957 هـ/1550 م) وصف افريقيا ترجمة عن الفرنسية محمد حجي و محمد الاخضر – دار الغرب الاسلامي – بيروت –ط2- 1983 م.

14- ابـن حماد الصنهاجي أبو عبد الله محمد بن علي (ت 626 هـ/1228 م) أخبار ملوك بنو عبيد و سيرتهم – تحقيق و تعليق جلول أحمد البدوي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984 م.

15- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت 688 هـ/1289 م) : جدوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس – الدار المصرية للتأليف و الترجمة – القاهرة –1966 م.

25- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت696 هـ/1296 م) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان – أكمله أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت 839هـ/1435م) تصحيح و تعليق ابراهيم شيوخ – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط1- 1968م.

26- الدرجيني أبو العباس أحمد ابن سعيد (ت 670هـ/1271م) طبقات المشايخ بالمغرب – تحقيق ابراهيم طلاي- مطبعة البعث – قسنطينة –د ت.

27- ابن دقماق صارم الدين ابراهيم بن محمد بن شمس الدين (ت 809هـ/1406م) الانتصار بواسطة عقد الأمصار – منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت –1839م.

28- ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي قاسم الرعيني القيرواني (ت110هـ/1699م) : المؤنس في أخبار افريقية و تونس – تحقيق محمد شمام المكتبة العتيقة – تونس – ط2–1967م.

29- الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ/1347م) : العبر في خبر من غبر – تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت .

30- الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ/1347م) : دول الإسلام – تحقيق و تعليق حسن اسماعيل مروة – دار صادر – بيروت – ط2- 1427 هـ/ 2006م.

31- أبن أبي زرع أبو الحسن علي ابن عبد الله (كان بقيد الحياة سنة 726هـ/1326م) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس – دار المنصور للطباعة – الرباط –1978م.

32- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الورجلاني (ت471هـ/1078م) : سير الأئمة و أخبارهم – تحقيق و تعليق إسماعيل العربي – المكتبة الوطنية – الجزائر –1399هـ/1979 م.

33- ابن سعد أبو عبد الله محمد (ت 230 هـ/844م) : الطبقات الكبرى – تحقيق مجموعة من الأساتذة الأهرام للطبع و الطباعة و النشر و التوزيع – القاهرة – 1993م.

34- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت 685 هـ/1226م) : كتاب الجغرافيا – تحقيق و تعليق اسماعيل العربي – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر –ط2–1982م.

35- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت 685 هـ/1226م) : المغرب في حلى المغرب – تحقيق و تعليق شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة –ط2– 1964م.

36- ابن سماك العاملي أبو القاسم محمد بن أبي العلاء (كان حيا سنة 812 هـ/1409م) : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية – تحقيق عبد القادر بوباية – دار الكتب العلمية – بيروت –ط1–2010م.

37- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م) : الملل و النحل – تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي – المكتبة العصرية – بيروت –1423هـ/2003 م.

38- صالح بن عبد الحليم الإيلاني (كان حيا سنة 712هـ/1312 م) : مفاخر البربر – دراسة و تحقيق عبد القادر بوباية – دار أبي رقراق للطباعة و النشر الرباط –ط2– 2008م.

39- الاصطخري أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت 346هـ/957م) : المسالك و الممالك – طبع في مدينة لندن –1927 م.

40- ابن الصغير (كان حيا سنة 290هـ/903 م) أخبار الأئمة الرستميين – تحقيق محمد ناصر و ابراهيم بحاز– دار الغرب الإسلامي – بيروت –1406 هـ/1986 م .

41- الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/1203م) : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس – تحقيق ابراهيم الأبياري – دار الكتاب المصري للطباعة و النشر و التوزيع – القاهرة – دار الكتاب لبناني للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت –ط1–1410هـ1989م.

42- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/923م) تاريخ الأمم و الملوك – دار الكتب العلمية – بيروت –ط2–1988م.

43- ابن ظهيرة عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الله (ت 849هـ/1445م) الفضائل الباهرة في محاسن مصر و القاهرة – تحقيق مصطفى السقا و كامل المهندس – وزارة الثقافة – مطبعة دار الكتب – مصر 1969م.

44- ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ/870م) : فتوح افريقية و الاندلس– تحقيق عبد الله أنيس الطباع – دار الكتاب اللبناني –د ت.

45- عبد الله بن بلكين : (توفي بعد 484هـ/1091م) : كتاب التبيان – تحقيق أمين توفيق الطيبي – منشورات عكاظ – الرباط –1995م.

46- ابن عذاري أبو عبد الله محمد بن أحمد المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م) : البيان المغرب في أخبار الاندلس و المغرب – تحقيق و مراجعة ج س كولان و ليفي بروفنسال – دار الثقافة – بيروت ط3–1983م.

47- أبو العرب محمد بن تميم التميمي(ت 333هـ/944م) طبقات علماء افريقية جمع و تحقيق محمد بن أبي شنب – ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر –2006م.

48- الغبريني : أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت714هـ/1314م) : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية – تحقيق محمد بن أبي شنب – دار البصائر – الجزائر –ط1–2007م.

49- أبو الفداء عماد الدين اسماعيل (ت732هـ/1331م): المختصر في أخبار البشر – المعروف بتاريخ أبي الفداء – دار المعرفة للطباعة و النشر – بيروت –د ت.

50- ابن فرحون القاضي ابراهيم بن نور الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت799هـ/1397م) : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب – دراسة و تحقيق مامون بن يحي الدين الجنان – دار الكتب العلمية – بيروت –ط1–1417هـ/1996م .

51- ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت 430هـ/1038م) تاريخ علماء الاندلس – تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي – دار الكتب العلمية – بيروت –ط1–1997م.

52- الفيروز أبادي محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم (ت 718هـ/1317م) القاموس المحيط – تحقيق يحي مراد – مؤسسة المختار للنشر و التوزيع – القاهرة –ط1–1429هـ/2008م.

53- القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي (544هـ/1149م) ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك – ضبط و تصحيح محمد سالم هاشم – دار الكتب العلمية – بيروت –ط1–1418هـ/1998م.

54- القاضي النعمان أبو حنيفة بن أبي عبد الله (ت363 هـ/974 م) : تاريخ افتتاح الدعوة و ابتداء الدولة – تحقيق فرحات الدشراوي – الشركة التونسية للتوزيع – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر –ط2–1986م.

55- ابن القطان أبو محمد حسن بن علي (عاش في القرن 7هـ/13م) : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان – دراسة و تحقيق محمود علي مكي – دار الغرب الاسلامي – بيروت – ط1-1990م.

56- القلشقندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م) : نهاية الارب في معرفة أنساب العرب – تحقيق ابراهيم الابياري – دار الكتاب اللبناني – ط3-1991م.

57- مجهول (عاش في القرن 9هـ/15م= : تاريخ الاندلس – دراسة و تحقيق عبد القادر بوباية – دار الكتب العلمية – بيروت –ط1- –2007م.

58- مجهول (عاش في القرن 6هـ/12م) : الاستبصار في عجائب الامصار – نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد – دار النشر المغربية – الدار البيضاء- 1985م.

59- المراكشي أبو محمد عبد الواحد بن عني التميمي (ت 647هـ/1249م) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب – تحقيق صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – بيروت –ط1-1426هـ/2006م.

60- ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد (كان حياسنة 1025هـ/1616م) : البستان في ذكر الاولياء و العلماء بتلمسان – نشر محمد بن ابي شنب – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1986م.

61- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م) مروج الذهب و معادن الجوهر – شرحه و ضبطه عفيف نايف حاطوم – دار صار – بيروت – ط1-1426هـ/2005م.

62- المقدسي أبو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت387هـ/997 م) : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم – مطبعة بريل – ليدن –1906م.

63- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م) : المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار و المعروف بالخطط المقريزية – تحقيق محمد زينهم و مديحة الشرقاوي – مكتبة مدبولي –ط1-1998م.

64- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م) : اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الحلفا – تحقيق جمال الدين الشيال – وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية – القاهرة–ط2–1996م.

65- المقري أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد (ت1041هـ/1631م) : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة التجارية – مصر – ط1–1949م.

66- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م) لسان العرب – تحقيق عامر أحمد حيدر – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1–2005م.

67- النميري أبو القاسم برهان الدين ابراهيم ابن عبد الله بن الحاج (ت ب 774هـ/1372 م) : فيض العباب و إفاضة قداح الاداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب – دراسة و تحقيق محمد بن شقرون – دار الغرب الاسلامي – بيروت – ط1–1990م.

68- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري (ت 732هـ/1331م) : تاريخ المغرب الاسلامي من كتاب نهاية الارب في فنون الادب – تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد – دار النشر المغربية – الدار البيضاء 1984م.

69- ابن الوردي أبو حفص سراج الدين عمر (ت861هـ/1456م) خريدة العجائب و فريدة الغرائب – تحقيق محمود فاخوري – دار الشرق العربي – د ت .

70- ابن الوردي زين الدين عمر (ت 749هـ/ 1348م) : تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي – تحقيق أحمد رفعت البدراوي – دار المعرفة – بيروت – ط1–1970م.

71- ياقوت الحموي أبو عبد الله شهاب الدين (ت 626هـ/1228م) : معجم البلدان – تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي – دار إحياء التراث العربي – بيروت –ط1– 1429هـ/2008م.

72- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284 هـ/ 897م) : كتاب البلدان – تحقيق أحمد أمين ضناوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1-2002م.

73- **يوليوس قيصر** (ت 46 ق م) : حرب افريقية 47-46-ق م – ترجمة محمد الهادي حارش – دار هومة – الجزائر -2000م .

المراجع العربية :

74-**ابو راس الناصر محمد بن أحمد** : عجائب الأسفار و لطائف الأخبار – تقديم محمد غالم – منشورات مركز البحث في الانتربولوجيا الاجتماعية و الثقافية – وهران – 2009م.

75-**ابو سيف سعد الحوتي** : الموسوعة العلمية في انساب القبائل العربية – مطبعة ابو العزم – مص – ط1-2002م.

76- **أحمد موسى عز الدين** : النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري –دار الشروق – بيروت –ط 1 1983م.

77- **أرسلان شكيب**: الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية – منشورات دار مكتبة الحياة –بيروت -1358هـ/1939م.

78-**اسماعيل العربي** : دولة بني زيري ملوك غرناطة – ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر -1982م.

79-**اسماعيل العربي** : دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية – الشركة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1980م.

80-**بلعيد صالح** : في المسألة الامازيغية –دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع – الجزائر – ط2-1999م.

81-**بن رمضان شاوش الحاج محمد** : باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر -1995م.

82-**بن عميرة محمد** : دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الاسلامي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر –1984م.

83-**بن منصور عبد الوهاب** : قبائل المغرب – المطبعة الملكية – الرباط –1968م.

84-**بن يوسف سليمان داود** : حلقات من تاريخ المغرب الاسلامي – مطبعة أبو داود- الجزائر –1993م.

85-**بوباية عبد القادر** : االبربر في الاندلس و موقفهم من فتنة القرن 5ه/11م – دار الكتب العلمية – بيروت –ط1-2011م.

86- **بودشيش ابراهيم القادري** : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الاندلس خلال عصر المرابطين – دار الطليعة – بيروت –ط1-1998م.

87- **بورويبة رشيد** : الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر –1977م.

88-**بوزياني الدراجي** : القبائل البربرية أدوارها مواطنها و أعيانها – دار الكتاب العربي – الجزائر –ط2-2003م.

89-**بونار رابح** : المغرب العربي تاريخه و ثقافته – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر–ط2-1984م.

90-**الثعالبي عبد العزيز** : تاريخ شمال افريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية – جمع و تحقيق أحمد بن ميلاد و محمد إدريس – تقديم و مراجعة حمادي الساحلي – دار الغرب الإسلامي – بيروت –ط2-1410ه/1990م.

91- **جان فرانسوا تراون** : المغرب العربي الإنسان و المجال – تعريب علي تومي و كارم راسي عبد الكريم سالم – درا الغرب الاسلامي – بيروت –ط1-1997م.

92-**الجوهري يسرى** : الوطن العربي دراسة في الجغرافيا التاريخية و الإقليمية – مؤسسة شباب الجامعة –مصر –1995م.

93-الحاجري محمد طه : مرحلة التشيع في المغرب العربي و أثرها في الحياة الأدبية – دار النهضة العربية – بيروت –ط1-1983م.

94- **حركات ابراهيم:** المغرب عبر التاريخ نشر و توزيع دار الرشاد الحديثة – الدرا البيضاء – ط2-1984م.

95-حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي و الثقافي و الاجتماعي –العصر العباسي الثاني 232-447 ه في الشرق و الغرب و الاندلس – دار إحياء التراث العربي – نشر مكتبة النهضة المصرية –ط7-1995م.

96- حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس – الدر التونسية للنشر – تونس – 1983م.

97- خالدي عبد الحميد : الوجود الهلالي في الجزائر – دار هومة للنشر و الطباعة و التوزيع – الجزائر 2007م.

98- الدشراوي فرحات :الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365ه/909-975م التاريخ السياسي و المؤسسات – نقله إلى العربية حمادي الساحلي – دار الغرب الاسلامي – بيروت –ط1-1994م.

99-روجي ادريس الهادي : الدولة الصنهاجية – تاريخ افريقية في عهد بني زيري من ق 12/10 م – نقله إلى العربية حمادي الساحلي –دار الغرب الاسلامي – بيروت – ط1-1992م.

100-الزياني بن يوسف محمد : دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران – تقديم و تعليق المهدي البوعبدلي – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – 1972م.

101-سرور جمال الدين : تاريخ الدولة الفاطمية – دار الفكر العربي –مصر – 1964م.

102-سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال – نشر منشأة المعارف – الاسكندرية –2003م.

103-**السيد عبد العزيز سالم** : تاريخ المسلمين و أثارهم من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة بقرطبة – دار النهضة العربية – بيروت -1988م.

104- **الشقراني أحمد بن عبد الرحمن الراشدي** : القول الوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط – تحقيق و تقديم ناصر الدين سعيدوني – دار الغرب الاسلامي – بيروت –ط1-1991م.

105-**شنيتي محمد البشير** : الاحتلال الروماني لبلاد المغرب 146 ق م – 40 م – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر –ط2-1985م.

106-**شنيتي محمد البشير** : التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر -1984م.

107-**طقوش محمد سهيل** : تاريخ الفاطميين في شمال افريقية و مصر و بلاد الشام – دار النفائس – بيروت –ط2-2007م.

108-**الطمار محمد** : الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج – ديوان المطبوعات الجامعية – اجزائر -2007م.

109- **طويل مريم قاسم** : مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403-483هـ/1012-1090 م – مكتبة الوحدة العربية – الدار البيضاء – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1-1994م.

110-**العبادي أحمد مختار** : في تاريخ المغرب و الاندلس – مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية -2008م.

111- **العروي عبد الله** : مجمل تاريخ المغرب – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط1-2007م.

112- **علي يحي معمر** : الإباضية في الجزائر – مطبعة الدعوة – مكتبة وهبة – القاهرة ط1-1969م.

113- **غانم محمد الصغير** : التوسع الفينيقي غربي البحر المتوسط – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1978م.

114- **غانم محمد الصغير** : المملكة النوميدية و الحضارة البونية – الامة للطباعة و النشر و التوزيع – الجزائر –1998م.

115- **فيلالي عبد العزيز** : العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الاندلس و دول المغرب – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر –1982م.

116- **القصير عبد القادر** : الهجرة من الريف إلى المدينة – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت –1992م.

117- **الكاتب سيف الدين** : أطلس تاريخ العرب و العالم : – دار الشروق العربي–بيروت – ط3–2009م.

118- **الكعاك عثمان** : موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي – تقديم و مراجعة أبو القاسم سعد الله و أخرين – دار الغرب الاسلامي – بيروت –ط1–2003م.

119- **لقبال موسى** : دور كتامة في الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5 هـ/11 م – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر –1979م.

120- **الميلي بن محمد مبارك** : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر –1984م.

121- **الناصر أحمد بن خالد السلاوي** : الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصا – تحقيق ولدي المؤلف جعفر الناصري و محمد الناصري – دار الكتاب – الدار البيضاء – 1954م.

3- المجلات بالعربية :

122- بن عميرة محمد : " الحركة النكارية " مجلة التاريخ – عدد 21– 1986 م – ص 45 –ص 71.

123- البوعبدلي المهدي : " ماضي المسيلة السياسي و الثقافي عبر التاريخ و الخلاف بين زيري بن مناد و جعفر بن علي أمير المسيلة " – مجلة التاريخ –عدد6-1978م.

124- الجنحاني الحبيب : " السياسة المالية للدولة الفاطمية في بلاد المغرب " مجلة الاصالة – عدد 49-50- السنة 6- سبتمبر / أكتوبر 1977م – ص 46-ص 65.

125- عمارة علاوة : " الهجرة الهلالية و أثرها في تغيير البنية الإجتماعية لبلاد الزاب " مجلة الأداب – عدد 10 -2004- ص 10-ص25.

126- موسى لقبال : " تاريخ بجاية " مجلة الأصالة – عدد 19- 1974 – ص3-ص10.

127- مياسي ابراهيم : " من تاريخ وادي سوف " – مجلة الثقافة – عدد 113- السنة 21- 1996م – ص 189-ص 228..

4- المراجع بالفرنسية :

128- Amar Dhina : grands tournants de l’histoire de l’islam- S.N.E.D –Alger 1978.

129- Dominique – valérien : bougie port maghrébin 1067.1510- école française de Rome -2006.

130- E.F.Gautier : le passe de l’Afrique du nord . les siècles obscurs nouvelle édition petite bibliothèque – payot – paris -1962.

131-Allaoua Amara -‘’ retour a la problématique du déclin du monde musulman médiéval – le cas du Maghreb Hammadide 11-12cle – the Maghreb revieu – vol 28 N° 1-2003-P P 1-27.

132- **Basset.H** : Essai sur les littérature des berbères، Carbonel ، Alger ، 1920.

133- Bel Alfred : la religion musulmane en berberie، tome **1 er**، parie، 1938.

134- George marcie : histoire de moene age، tome 3، parie 1936.

135- Golvin L : le magreb central a lepoque des zirides.

136- Idriss HADY ROGER : la berberie oriental sous les zirides، 10—12 siècle، tome seconde، librerai d'Amérique et d'orien ; parie.

فهرس الموضوعات

المدخل: الإطار الجغرافي للمغرب الاسلامي

الفصل الأول: القبائل البربرية في المغرب الإسلامي

الفصل الثاني:
التحركات والهجرات القبلية والسكانية خلال القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي

الفصل الثالث: الصراعات القبلية والمذهبية بالمغرب الإسلامي

الفصل الرابع
تطور ظاهـــرة الهجرة خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميـــلادي

فهرس الموضوعات